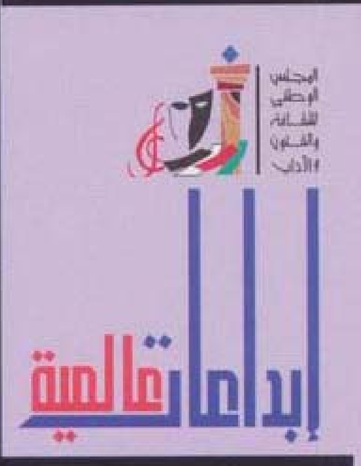


ديسمبر 2014

404

الرِّقَّة

رواية

تأليف: دافيد فونكينوس

ترجمة: كامل عويد العامري

مراجعة: د. ليلى عثمان فضل



الرِّقَّة

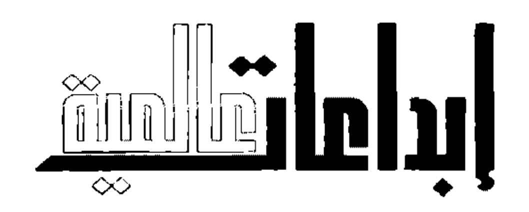
(روايـة)

تـــألــيـــف: دافيد فونكينوس

تـــرجـــمـــة: كامل عويد العامري

مـــراجـــعـــة: د.ليلى عثمان فضل

الرِّقَّة



تصدر كل شهرين عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.nccal.gov.kw

ebdaat_alamia@nccal.gov.kw

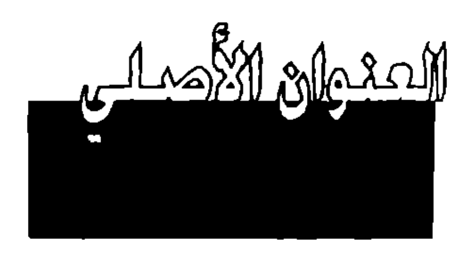
ebdaat_alamia@yahoo.com

رقم الإيداع: 2014/796

ردمك: 978-99906-0-438-2

• الرِّقة

رواية



La délicatesse

David Foenkinos

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014م

إبداعات عالمية - العدد 404

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

مقدمة

هــذه الروايــة تتحدث عــن حياة امــرأة تدعى ناتالي، ترســم الفصــول الأولــى منهــا صورة لامــرأة شــابة ترتمي فــي الحياة وتعيش مع زوجها فرانســوا الذي ســتفقده بعد ســبع ســنوات، وانطلاقــا من هذه اللحظــة التي يتوفى فيهــا زوجها فجأة في حــادث دهس ســيارة، تأخــذ القصة مســارا بطيئا، وتكشــف لنا عن مســيرة الحزن البطيء الذي يجب أن تنغمس فيه، وعليها أيضــا أن تخفي نقاط ضعفها وشــكوكها، ومــا تعانيه من كآبة، ولكنهــا مــا إن تعُد مرة أخرى إلى عالم العمل بنشــاط واندفاع حتــى تحاول نســيان فرانســوا.. فينشــغل بهــا مارك، رئيســها، منــذ أن قابلهــا للتوظيف في الشــركة، ويحاول التقــرب منــها، ولكنه يصــاب بخــيبة أمل، إذ إن ناتالي ســترفض دعوته للعشاء التــي دعاهــا إليها، ويلاحظ كل الموظفين فــي المكتب أنها تعمل بطريقــة وكأنهــا تريــد أن تنتحــر بالعمل، فترتبــط بعلاقة مع ماركوس، وهو رجل خجول، مرتبك.

لقد اســتطاع الكاتب فونكينوس أن يجعل من قصة بســيطة، تــكاد تكــون مألوفــة، ذات امتداد إنســاني في معالجــة الأحداث، مــن خلال تقنيات الســرد العجائبيــة، وتقنيات الســينماغرافيا، فــي طريقة متابعة الشــخصيات، وكأن القــارئ يحمل كاميرا في متابعتــه لتحركات وانتقالات الشــخصيات الروائيــة، لنجد بين الفصــول واللحمة الســردية أحاديث بوح ذاتية تضيف لمســة من الخيال لا يمكن تجاهلها.

إن موضوعات من مثل السعادة الزوجية والحزن وتوقد المشاعر والإحساسات، واكتشاف الآخر، وقضايا النفس والشغف، كلها موضوعات جاءت على امتداد 117 فصلا، بعضها قصير جدا، وبعضها استغرق عدة صفحات، ولكن ما تميزت بها هذه الفصول هو ما احتوته من ثيمات حكائية، أو ملاحظات لثيمات حكائية (سردية)، بلغ عددها 56 ثيمة أو ملاحظة، لها علاقة مباشرة بالسرد القصصي، وهذا أسلوب سردي جديد يمنح الحكي نكهة، بما فيه من غنائية ودعابة وتأمل تقود إلى خلق الدهشة الروائية بما تتضمنه من تفاصيل كتلك المتعلقة بالحساسية من الأسماك، أو طريقة ارتداء الملابس، أو استئجار ساقين لا وجود لهما.. وقد كان لي، بوصفي مترجما للرواية، أن تبادلت الرسائل مع المؤلف حول بعض الموضوعات التي احتجت توضيحا لها.. وكان الرجل مستجيباً في الرد على كل سؤال.

فقد ورد في الصفحة 101، طبعة الجيب، النص الآتي:

Il voulait se mettre sur son 31.
ce nombre meme etait trop petit pour elle.
Il aurait voulu se mettre au moins sur son 47، ou sur son 112، ou alors son 387.

وقد أجاب الكاتب بأن هذا النص يعني كلمة واحدة هي: «يتأنق»، وبالإمكان حذف التفاصيل الأخرى، وأضاف أن هذه العبارة تختص بفرنسا، ولا تختص ببلدان وشعوب أخرى (...)، ولكنني نتيجة البحث وجدت أن أحد مصادر هذه العبارة يعود إلى أن إحدى الفرضيات تقول إن هذا التعبير يعود إلى القرن

الخامس عشر، ويعني نسيجا من الدرجة الأولى، ولكن هناك فرضية أخرى تعود إلى القرن التاسع عشر وإلى بروسيا، ويعني يوم 31 من الشهر، وبما أنه لدينا سبعة اشهر تنتهي بـ 31، فيعد هذا التاريخ هو الذي يزور فيه الضباط معسكرات الجند، وهؤلاء يظهرون بكامل زيهم الأنيق، غير أن كتّابا كثيرين يرون أن هذا التعبير ما زال غامضا.

وهناك إحالات كثيرة إلى كتّاب معاصرين، من مثل مارغريت دوراس وألبير كوهين ودان فرانك وتوماس هاردي وميشيل بوتور وألبير كامو وسارتر وسترنبرغ وموباسان.. إلخ، وهي إحالات تستدعي من القارئ أن يكون على دراية بأعمال أولئك الكتّاب.

لقد تميزت هذه الرواية بنبرتها الغنائية، وأجوائها الرومانسية، مما استدعى الكاتب إلى تحويلها لفيلم لاقى نجاحاً متميزاً، فضلاً عن الجوائز العشر التي حصدتها قبل أن تتحول إلى فيلم سينمائي.

شخصيات الرواية

- ناتالي: هي الشخصية الرئيسة، وهي امرأة شابة تعمل في شركة سويدية، إنها جميلة، ذكية وعنيدة.

- فرانسوا: هو زوج ناتالي، توفي في بداية الرواية، صدمته سيارة أثناء قيامه بتمارين الركض، كان يعمل في مجال التمويل وكان هاويا للعب الألغاز. التقيا عندما كان عمرها عشرين سنة وعاشا معا لمدة سبع سنوات هو عمر الحياة الزوجية، عيشة

سعيدة خالية من المتاعب.

- تشارلز ديلامان: مدير الشركة السويدية التي تعمل فيها ناتالي، وهو متزوج، ولكنه يقع في حب ناتالي.

- شارلوت بارون: المرأة التي دهست فرانسوا، بائعة أزهار، كان عليها أن تقدم في ذلك اليوم باقة من الأزهار لمناسبة الذكرى السنوية للقاء، ولأن هذا الحادث كان يلاحقها، فإنه كان من الصعب عليها العودة إلى العمل، إنها ستترك في نهاية المطاف باقة من الورود على درجات السلم.

- كلوئه: وتعمل تحت إمرة ناتالي، وهي آخر من وصل والأصغر سنا، تحاول أن تصبح مقربة منها وصديقة لها.

- ماركوس: جزء من فريق ناتالي أيضا، هو في الأصل من أوبسالا في السويد، نمطي بما فيه الكفاية، يتمتع ببنية جسدية قاسية، يساري الميول والاتجاه، دقيق في مواعيده إلى أقصى الحدود، لقد أربكه سلوك ناتالي التي عانقته بحركة لا مبرر لها.

- مادلين: جدة ناتالي، تستقبل كلا من ماركوس وناتالي في منزلها بحرارة وببساطة من دون استعداد وبشكل غير متوقع. هذا النمط من الجدات يفضن عذوبة ولطفا، وتعد الواحدة منهن خزانة أطعمة عندما يمر الأطفال بهن.

المترجم

ليس بوسعي أن أتصالح مع الأشياء

ففي كل لحظة علي أن أبتعد عن الزمن

لكي أتصالح مع نفسي

سيوران

1

كان حريّــا بناتالــي أن تكون حصيفة (طــراز من الأنوثة السويسرية)، فقد اجتازت سن المراهقة من دون تصادم، وهي تمتثل لســلوك طرق المشــاة، وعندما بلغت من العمر عشرين عامــا، كانت تنظــر إلى المســتقبل بوصفه مبشــرا بالخير. تحب أن تمــرح، وتحب القراءة، وهما اهتمامان من النادر أن يتوافقــا، إذ إنهــا تفضل القصص الحزينــة، ولمّا كان التوجه الأدبي غيرَ ملموس بمــا يكفي ليدل على ميولها، فقد قررت مواصلة دراساتها في حقل الاقتصاد، لتترك قليلا من المكانة له تقريبا.

إنها تبقى ســاعات تترصد الخطوط البيانية لتطوّر الناتج المحلي الإجمالي PIB في أســتونيا، وابتســامة غريبة على وجهها. وفي الوقت الــذي بدأت حياتها بالنضج، كان يحدث لهــا أن تفكر ثانيــة بطفولتها أحيانا. لحظات من الســعادة الملتقطــة من بضعة أحــداث، دائما هي نفســها؛ تتردد على الشاطئ، وتستقل طائرة، وتنام بين ذراعَي أبيها، غير أنها لم تشــعر بأي حنين قط، فالحنين نادر بالنســبة لناتالي (هناك اتجاه واضح من الحنين لدى عائلة ناتالي).

2

معظم الأزواج مولعون برواية القصص، ويفكرون بأن لقاءهم يتخذ سـمة اسـتثنائية، وبأن تلك الائتلافات التي لا حصر لها، والتي تتشكل في الابتذال الأكثر عمومية، تعتني بتفاصيل تنطوي مع ذلك على نشـوة روحيـة صغيرة، وأخيرا فالمـرء يبحث عن التفسير في كل الأمور.

لقد تقابل كل من ناتالي وفرانسوا في الشارع، وإنه لمن اللطف أن يدنو رجل من امرأة، فتتساءل حتما:

- ألا يُمضي وقته في القيام بذلك؟

وغالبا ما يقول الرجال بأنها المرة الأولى، وعند الإصغاء إليهم تعتقد أن الطبيعة حبتهم فجأة نعمة فريدة سمحت لهم بالتصدي للخجل الأبدي. وترد النساء بطريقة آلية بأن لا وقت لديهن.

لم تخرق ناتالي هذه القاعدة، وكانت تلك حماقة، إذ ليس لديها من شيء كبير تقوم به.. وكانت تحب فكرةَ أن تكون متحرَشا بها. لكن لم يجرؤ أحد قط، لتطرح على نفسها السؤال مرات عديدة:

- هل يدل مظهري على أنني امرأة عابسة أو كسولة؟

وقد قالت لها إحدى صديقاتها:

- لـن يوقفك أحد قط، لأن لك هيئة امـرأة يلاحقها الزمن الذي يجري.

عندمـا يلتقي رجل بامرأة مجهولة، فذلك ليقول لها أشـياء جميلة، فهل يوجد هذا الانتحاري الذكوري الذي سـيوقف امرأة ليسألها:

- كيف تلبسين هذه الأحذية؟ وكأن أصابع قدميك في آلة تعذيب، إنها لفضيحة، فأنت دكتاتورة قدميك!

من يجرؤ على قول ذلك؟ بالتأكيد ليس فرانسوا، الذي يجيد أداء التحية. حاول أن يحدد الأمر بأدنى ما يمكن تحديده: القلق. لماذا أوقفها هي؟ لقد كان المقصود مشيتها على وجه الخصوص، كان يشعر بشيء جديد، بشيء صبياني تقريبا، كموسيقى المفاصل الكروية، كان يصدر عنها ما يشبه عفوية مؤثرة، وأناقة في الحركة، فظن: «أنها بالضبط طراز المرأة التي أود أن أقضي معها عطلة نهاية الأسبوع في جنيف»، وعند ذاك استجمع شجاعته، وبذل قصارى جهده في هذه اللحظة، وكانت حقا تلك هي المرة الأولى، ولا سيما بالنسبة له. هنا الآن، على هذا الرصيف سيلتقيان، إنه مدخل كلاسيكي من دون شك، وهو ما يحدد بداية هذه الأمور غالبا، والتي ستكون في حدها الأدنى، فيما بعد.

لقد تلجلج بالكلمات الأُولى، ولكنه فجأة انطلق دفعة واحدة، بطريقة رائقة. كانت كلماته تندفع إلى الأمام بهذه الطاقة المثيرة للعواطف، ولكنها مثيرة للشفقة أيضا، ومعبّرة عن يأس، إنها بالفعل لغرابة تتعلق بتناقضاتنا، إذ كان الموقف غير مريح بالمرة، لذلك كان يريد أن يجد له مخرجا بلباقة، وفي بحر ثلاثين ثانية حملها على أن تبتسم، كانت تلك ثغرة في الخفاء، لقد قبلت تناول القهوة، وأدركت أنها ليست على عجلة من أمرها، ووجد هو هذا الأمر في غاية الروعة، ذلك أن يتمكن من أن يقضي وقتا مع امرأة دخلت بالكاد للتو في مجال جاذبيته، وكان يحب دائما النظر إلى النساء في الشارع، بل ويتذكر بأن لديه نوعا

من المراهقة الرومانسية القادرة على ملاحقة الفتيات الشابات من ذوات العوائل المحمودة حتى أبواب بيوتهن، ويحدث له أن يغيّر العربة في المترو ليكون قرب راكبة عاينها من بعيد، ولمّا كان خاضعا إلى دكتاتورية اللذة الجسدية، فقد لا يبقى منه أدنى رجل رومانسي، وهو يظن أن عالم النساء يمكن أن يقتصر على امرأة واحدة.

سألها عمّا تريد أن تشربه، سيكون اختيارهما حاسما، وتخيّلَ أن تطلب قهوة من دون كافيين؛ «أنهضُ وأمضي»، ليس من حق أحد أن يشرب القهوة من دون كافيين في مثل هذا النوع من المواعيد، إنه الشراب الأقلّ ودّية مما يكون، أما الشاي فمن النادر أن يكون هو الأفضل. لقد التقيا بالكاد، ومنذ الآن يقيم في نوع من الشرنقة الهشة إلى حد ما. يشعر المرء بأنه سيقضي أيام الآحاد بعد الظهيرة في مشاهدة التلفزيون، وفي أسوأ الأحوال في بيت والدَي الزوجة. نعم، إن الشاي هو من يضفي على جو العائلة نوعا من المرح من دون منازع، إذن بماذا؟ بالكحول؟ كلا ليس ملائما في مثل هذه الساعة. يمكن للمرء أن يخشى من امرأة تتناول الشراب جرعة واحدة، بل إن كأسا من نبيذ أحمر لا يفرغ. كان فرانسوا يواصل انتظاره لها فيما تختار لتشربه، وهكذا كان يتابع تحليله المشروب لأول انطباع نسائي، ما الذي بقي الآن؟ الكوكا كولا، أو كل أنواع الصودا... كلا، ليس ممكنا، فهذا لا يثير اهتمام أي امرأة إطلاقا، الأحرى أن يطلب شيئا زهيدا، ما دامت هي هنا، وأخيرا حدّث نفسه عن عصير، فهذا سيكون مناسبا، أجل عصير، إنه ممتع، إنه مناسب، وليس عدوانيا كثيرا؛ يُشعِر المرءَ بالفتاة رقيقة ومتزنة، ولكن أي

عصير؟ من الأفضل تجنّب الكلاسيكيات الكبيرة، نتجنب التفاح والبرتقال، الأكثر اعتبارا، ينبغي أن يكون ذا شأن أقل أصالة، ومع ذلك ألا تشوبه شائبة، فعصير ثمرة الببابايا أو الجوافة يثير الخوف، كلا، الأفضل هو الاختيار بين الاثنين، كالبرقوق، وهذا ممتاز، فإذا ما اختارته أتزوّجها. هكذا كان يفكر فرانسوا، وفي هذه اللحظة تحديدا رفعت ناتالي مقدمة البطاقة، وكأنها استيقظت من تأمل طويل، وهو التأمل ذاته الذي قاد الشخص المجهول ليكون أمامها.

- أريد أن تناول عصيرا..

- ....؟

- عصير البرقوق، على ما أظن.

حدَّق فيها وكأنها كانت طريقة لتهشيم الواقع.

إذا ما وافقت على الجلوس مع هذا الغريب فهذا يعني أنها وقعت تحت تأثير الجاذبية، لقد أحبّت بشكل مباشر هذا المزيج بين الرعونة والوضوح، الموقف المفقود بين بيير ريشار ومارلون براندو. ومن الناحية الجسدية فإنه يمتلك شيئا مما تستلطفه عند الرجال: الخزرة الرقيقة، الرقيقة جدا والمنظورة مع ذلك. أجل، كان من المدهش أن تجد ثانية هذه التفاصيل لديه، وفوق كل ذلك إنه يُدعى فرانسوا، وهي التي تحب هذا الاسم دائما، لقد كان رشيقا وهادئا تماما، وهذا ما يتطابق مع ما كوّنته من فكرة عن أنه في الخمسين من العمر. كان يتحدث في هذه اللحظة بسلاسة أكثر فأكثر، لا توجد بينهما أية شكليات أو انزعاج أو توتر، وخلال عشر دقائق، كان مشهد التصادم الأساسي في الشارع قد تم نسيانه.

لقد حصل لديهما انطباع يفيد بأنه سبق لهما أن التقيا، وتقابلا لأنهما ضربا موعدا، لقد كان هذا نابعا عن تلك البساطة المحرجة، البساطة التي تريك كل المواعيد الأخرى السابقة، عندما كان عليه أن يتكلم، ويحاول أن يكون مضحكا، بذل جهودا كثيرة من أجل أن يبدو شخصا ظريفا، صار وضوحه مبعثا للضحك، أما ناتالي فقد كانت تحدق بهذا الصبي الذي لم يعد شخصا مجهولا، حيث إن الأحرف الأولى التي يتستر الاسم تحتها تتمحي بشكل تدريجي تحت عينيها، وهي تحاول أن تتذكر إلى أين ذهب في الوقت الذي التقت به. كان ذلك غير واضح، فهي ليست من النوع الذي يتنزه من دون هدف، لا تريد أن تسير مقتفية آثار رواية كورتازار التي فرغت من قراءتها للتو؟ كان الأدب حاضرا بينهما حينذاك، أجل وهو كذلك، فقد قرأت «الحجلة»، وأحبت تلك المشاهد التي يحاول فيها الأبطال اللقاء في الشارع على وجه الخصوص، بينما هم يجوبون بخطى واسعة «المسارات التي ولدت من جملة أطلقها شحاذ»، وفي المساء يباشرون جولاتهم اعتمادا على الخارطة، ليروا في أي وقت كان يجب عليهم أن يحققوا اللقاء، وفي أي وقت عليهم أن يقتربوا من بعضهم بشكل مؤكد، وهكذا كانت غارقة في أجواء الرواية.

3

الكتب الثلاثة المفضلة عند ناتالي هي:

- حسناء اللورد – لألبير كوهين.

- العاشق - لمارغريت دوراس.
- الانفصال - لدان فرانك.

4

كان فرانسوا يعمل في عالم المال، ويكفيه أن يمضي خمس دقائق في شركته ليجد ذلك أيضا بأنه في غير محله، مثله مثل ميل ناتالي التجاري، ربما هناك سلطة مطلقة ملموسة تقف في الضد من الكفاءات على الدوام، هذا ما كان يقال. من الصعوبة بمكان التخيل أن يكون بوسعه فعل شيء آخر، وعلى الرغم من أننا رأيناه خجولا في لحظة لقائه بناتالي، لكنه كان رجلا مملوءا بالحيوية، زاخرا بالأفكار والطاقة، ولأنه يتّقد عاطفة فإنه يمكن أن ينهض بأعباء أية مهنة، حتى لو القيام بمهنة ممثل للعلاقات. لقد كان رجلا يمكن أن نتصوره وهو يحمل حقيبة، ويصافح الأيدي عساه يشد على الأعناق، وكان يمتلك جاذبية توتر أولئك الناس الذين يمكنهم أن يبيعوك أي شيء. كان يمكن الذهاب معه لممارسة التزلج في الصيف، والسباحة في بحيرات آيسلندا، إنه من صنف الرجال الذين يتحرشون لمرة واحدة بامرأة في الشارع، ويعثر على المرأة المناسبة، لقد بدا النجاح يبتسم له، بما في ذلك عالم المال، ولم لا؟ لقد صار جزءا من هؤلاء التجار حديثي العهد الذين يلعبون بالملايين مع الذكرى الأخيرة لأسهمهم في البنك الاحتكاري، ولكنه ما إن كان يغادر مصرفه، حتى يصير رجلا آخر. لقد بقيت البورصة منعقدة بدورتها، ولم تمنعه مهنته من مواصلة حياته متنعما بأهوائه. إنه يحب ممارسة لعبة التسلية

التـــي تتكون من قطع عديدة، قد يبـــدو ذلك غريبا، ولكن ما من شـــيء يقنن من غلوائه ســـوى أن يقضي معظم أيام السبت وهو يجمـــع الآلاف من القطع. أما ناتالي فكانت تراقب خطيبها وهو مقرفص في الصالة؛ مشهد صامت، وعلى حين غرّة كان ينهض ويأخذ بالصراخ:

- هيا، تعالي لنخرج!

كان ذلـــك آخر شـــيء ينبغـــي أن يحدده، فهو لـــم يكن هاويا للانتقال من حال إلى حال، كان يحب الانقطاعات، والتحول من الصمت إلى الهيجان.

كان الزمن، مع فرانســـوا، يســـير بســـرعة جنونيـــة، ويمكن الاعتقاد بأنه كان يمتلك مقدرة القفز على الأيام، وابتكار أسابيع غريبة مـــن دون يوم خميس، فما كادا أن يلتقيا حتى احتفلا بما مضى لهما من سنتين.

مرّت ســـنتان من دون أن يكدر صفوهما شيء، أو تريكهما أية حماقة. نحدّق فيهما كما لو أننا ننظر إلى بطل بإعجاب، كانـــا يرتديان المايوه الأصفر الذي يرمـــز للحب. ناتالي تتابع دراستها بنجاح باهر، وهي تحاول جاهدة التخفيف من رتابة فرانســـوا اليومية، والواقع أن اختيار رجـــل أكبر منها بقليل، ويمتلك مكانـــة مهنية، أتاح لها مغادرة منـــزل العائلة، ولأنها لا ترغب في العيش عالـــة عليه، قررت أن تعمل خلال بعض الأماســـي في الأسبوع كعاملة في مســـرح، كانت سعيدة بهذا العمل الذي عوّض لها عن الوسط الجامعي الصارم. وذات مرة كان المشاهدون يجلسون في أماكنهم، أما هي فقد اتخذت لها مكانا في نهاية الصالة، وبعد أن جلســـت أخذت تتابع مشهدا

كانت تحفظه عن ظهر قلب، وقد حيّت الجمهور، وهي تحرك شفتيها بالإيقاع ذاته الذي تحرّك به الممثلات شفاههن، في الوقت الذي انطلق فيه التصفيق، قبل الترويج للمنهاج.

ولأنها تعرف المسرحيات، كانت تتسلى بتحشية يومها بالحوارات، والتجوال في الصالة وهي تموء بأن القط الصغير كان يحتضر، وكان الأمر يتعلق في تلك الأمسيات الأخيرة بمسرحية لورانزاسيو لموسيه التي مثلتها وهي تلقي إجابات من هنا وهناك في الفوضى، وفي حالة من التشوش التام: «تعال من هنا، الهنغاري على حق»، أو مرة أخرى: «من هناك في الوحل؟ من الذي يزحف على أسوار قصري بهذا الصراخ المرعب؟».

هذا ما سمعه فرانسوا في ذلك اليوم، حينما حاول استجماع أفكاره، وتساءل:

- هل تستطيعين إثارة قليل من الضوضاء؟
- نعم.
- إنني بصدد أن ألعب لعبة مسلية مهمة جدا.

عندئذ أخذت ناتالي حذرها، مراعية وضع خطيبها، فقد بدت هذه اللعبة المسلية مختلفة عن الأخريات، لم ير أحد فيها دوافع، أو قصورا، أو شخصيات، لقد كانت تعني قاعا أبيضَ تنفصل عنه حلقات حمراء؛ حلقات تتكشف عن كونها حروفا، لقد كانت رسالة على شكل تلك اللعبة المسلية. تركت ناتالي الكتاب الذي فتحته منذ قليل، لتراقب تقدم اللعبة، وكان فرانسوا يلتفت بين الفينة والأخرى نحوها، وكان مشهد الكشف يتقدم نحو خاتمته، ولم يبق سوى بضع قطع، وناتالي

تكهنت فيما سبق برســالتها، الرسالة المبنية بدقة، بمساعدة مئات من القطع، أجل بوسعها القراءة الآن ما يكتبه:

- هل تريدين أن تصبحي زوجتي؟

5

منصة بطولة العالم للعبة التسلية

التي تجري في مانسك

من 27 أكتوبر إلى الأول من نوفمبر

1 - أولريش فواغت- ألمانيا: 1464 نقطة

2 - محمد مراد سفيم - تركيا: 1266 نقطة

3 - روجر باركان - الولايات المتحدة: 1241 نقطة

6

لكــي لا يكون هناك ما ينتقص من هــذه الآلية الجميلة، كان الاحتفــال قد نجح نجاحا باهرا، وهو احتفال بســيط وطريف، ليس فيه مغالاة، كما ليس فيه شــيء من التحفظ، فهناك قنينة شــمبانيا واحدة للمدعو، كان ذلك تقليدا، والبهجة واقعية. لقد وجــب أن يكون احتفــالا مخصصا لزواج، ولأنــه أكثر من كونه عيــد ميلاد فقد كان هناك نظام تسلســلي من الالتزام بالفرح، والــزواج في قمة هذا الهرم. ينبغي توزيع الابتســامات، وينبغي الرقــص، وينبغي فيما بعــد حث الكبار مــن أجــل الذهاب إلى النــوم، ولا ننسَ أن نوضح جمال ناتالي الذي نشّط من ظهورها،

في حركة تصاعدية، وهي تعد منذ أسـابيع شـأنها ومظهرها، اسـتعداد مسـيطَر عليه تماما؛ لقد كانت في أوج جمالها، وكان ينبغي تجميد هذه اللحظة الفريدة، مثل آرمسـترونغ الذي غرز العلم الأمريكي على سطح القمر. كان فرانسوا يراقبها بانفعال، وهو الذي سمّر في ذاكرته هذه اللحظة أكثر من الجميع. ها هي زوجته أمامه، وكان يعرف أن تلك الصورة هي التي سـتمر أمام عينيه في لحظة احتضاره، وهكذا كان في قمة السعادة. عندئذ نهضت وتسلمت المايكروفون، وغنت لحنا من ألحان أغاني البيتلز (Here، There and Every where 1966). كان فرانسوا مجنونا بجون لينون، فقد كان يرتدي الملابس البيضاء تكريما له، وهكذا عندما رقص الزوجان امتزج بياض هذا في بياض ذاك.

ولسوء الحظ، أخذت السماء تمطر، وقد منع هذا المدعوّين من الاسـتراحة تحت السماء، وتأمل النجوم بالإيجار، وفي الحالات هـذه، كان الناس مولعـين بذكر أقوال مأثـورة مضحكة، وفيما يخص الحالة الراهنة: «زواج مطري، زواج سـعيد». لماذا نخضع وعلـى الدوام إلى مثل هـذا النوع من العبـارات غير المنطقية؟ بالتأكيد لا يشـكل ذلك خطورة، فالسـماء كانـت تمطر، وهذا ما كان يشـي بشـيء من الحزن بالضبط، هذا كل ما في الأمر، لم تعد الأمسـية بتلـك الضخامة بعد أن اقتطعـت من أزمنتها شـم الهواء في الخـارج، لقد ضاقوا ذرعا وهـم يرقبون هطول المطر بازدياد كبير، سـيذهب البعض بشكل أكثر من المتوقع، أما البعض الآخر فسيستمر في الرقص بالطريقة نفسها التي كانت تتسـاقط ثلجا، بينما كان هناك آخـرون يترددون. هل كان ذلك له من الأهمية بالنسـبة للزوجين؟ تأتي ساعة من السعادة فيها

يكون المرء وحيدا بين الحشـــد، أجل، لقد كانا وحيدين في دوامة من الأنغام وموسيقى الفالس، ينبغي الدوران أطول وقت ممكن، كما يقال، الدوران إلى الحد الذي لم يعد يعرف فيه المرء إلى أين يمضي. لم تعد تفكر بشيء، فقد كانت الحياة ولأول مرة معيشة في كثافتها الفريدة والشاملة، إنها الحياة الحاضرة.

أمســك فرانســوا ناتالي من خصرها ليجرها نحو الخارج، اجتازا الحديقة، وهما يركضـــان، قالت له: «أنت مجنون»، لكنه كان الجنون الذي جعلها تطير من الفرح، وهما مبتلّان يســتتران الآن بالأشــجار. في الليل، تحت المطــر، ينبطحان على الأرض مباشرة، الأرض التي صارت موحلة، لم يعد بياض ملابسها سوى ذكرى، رفع فرانسوا ثوب زوجته، وهو يعترف بأن هذا هو ما كان يريد أن يقوم به منذ بداية الأمســية، كان يود أن يقوم بذلك في الكنيسة نفسها، «نعم» تلك كانت طريقة مباشرة لتمجيد الاثنين، لقد كان ممسكا بزمام رغبته، حتى هذه اللحظة، أما ناتالي فقد كانت مندهشـــة من قوته، ولم تعد تفكر منذ تلك اللحظة، لحقت بزوجها، وهي تحاول اســتعادة أنفاسها بطريقة سليمة، وتحاول عدم الاستســلام إلى مثل هذا الهــوى، لقد كانت رغبتها تلاحق رغبة فرانســوا، كانت بها رغبة شديدة بأن يضمها الآن في أول ليلــة لهما كزوج وزوجة، كانت تنتظر، وتنتظر، غير أن فرانســوا حرف الســفينة باتجاه آخر، كان فرانســوا يتمتــع بطاقة هائلة وبشهية لا حدود لها من المتعة، ولكنه شعر في لحظة ما بأنه كان مشــلولا وحســب، ربما كان الجزء الذي يمت بصلة إلى الخوف من السعادة الحية بإفراط، ولكن كلّا، كان هناك شيء آخر، شيء آخر أعاقه في هذه اللحظة، منعه من المواصلة، فسألته:

- ما الذي حدث؟

فأجاب:

- لا شيء.. لا شيء.. إنها فقط المرة الأولى التي أمارس فيها الحب مع امرأة متزوجة.

7

أمثلة من أقوال مأثورة مضحكة يعجب الناس تداولها:

تفقد واحدة، تجد عشرة

* * *

من أجل أن نعيش سعداء، علينا أن نعيش في الخفاء

* * *

المرأة الضاحكة في السرير إلى النصف

8

لقد سافرا في رحلة العرس، والتقطا صورا عديدة، ثم عادا. عليهما الآن أن يفتتحا الجزء الحقيقي من حياتهما، كانت ناتالي قد أنهت دراساتها منذ أكثر من عشرة أشهر، وهي حتى الآن، كانت تستخدم العذر في التحضير للزواج بغية عدم البحث عن عمل، إن التدبير للزواج يعني ذلك وكأنه تشكيل حكومة بعد حرب. إذن ماذا يفعل المتعاونون؟ هنالك قدر من التعقيد الذي يبرر هذا الزمن المستغل الذي لا يقوم إلا بذلك. وأخيرا لم تكن الحقيقة تماما، فقد كانت تريد أن تمضي بعض الوقت من أجل

نفسها بالخصوص، بعض الوقت للقراءة، والتجوال، كما لو كانت تعرف أن الوقت هذا، لم تعد تسـتطيع امتلاكه بالتالي، ذلك أن الحياة المهنية قد اختطفتها، وحياتها الزوجية بلا ريب.

لقد حـان الوقت لتجاوز الأحاديث، فبعـد عدة محاولات، أدركت أن الأمر ليس بالبسـاطة، الحيـاة الاعتيادية هل كانت هكذا؟ ومع ذلك فكّـرت بالحصول على دبلوم معترَف به، وأن تجربة بعض الدورات المهمة لم تكن كافية للخدمة في المقاهي بين نسختين مصورتين اثنتين، لقد حصلت على موعد من أجل عمل في شـركة سويدية، وكانت مندهشة للغاية إثر الاستقبال المباشـر من قبل رئيس الشـركة، وليس من قبل مدير الموارد البشرية، ففيما يخص التعيين، كان يريد أن يدقق تدقيقا تاما، تلك هي إدارته الرسـمية، لقد كانـت الحقيقة براغماتية إلى أبعد الحدود؛ دخل إلى مكتب إدارة الموارد البشـرية، وشـاهد صـورة عن ملف سـيرة حياة ناتالي، لقد كانـت صورة غريبة إلى حد كبير؛ ليس بالإمكان حقا إعطاء تقويم حول جسـدها، بالتأكيد نحن نشك بأنها لم تكن خالية من الجمال، ولكن ليس هذا هو ما لفت انتباه رئيس الشـركة، وإنما شـيء آخر، شيء لم يتوصل إلى تحديده حقا، شـيء كان يشبه إحساسا متزايدا بالوداعة، أجل، ذلك ما شـعر به، كان يرى أن هذه المرأة تبدو حصيفة.

لم يكن شارل ديلامان سويديا، ولكن يكفي الدخول إلى مكتبه لتتساءل فيما لو لم يكن له من الطموح ليحققه، بالتأكيد من أجل أن يرضي مساهميه، على طاولة من الدرجة الأولى، كان يمكن أن نرى صحنا فيه قطعا صغيرة من الخبز التي تشكل فتاتا كثيرا.

- لقد كشفت عن مسيرتك بكثير من الاهتمام.. و..
- نعم؟
- تحملين خاتم زواج، هل أنت متزوجة؟
- آه.. نعم.

كان هنالك بياض، تأمل شارل في سيرة حياة هذه المرأة الشابة مرات عديدة، ولم يجد سوى أنها امرأة متزوجة، في اللحظة التي قالت فيها «نعم»، ألقى نظرة سريعة على سيرة حياتها، إنها متزوجة فعلا، كان ذلك وكأن الصورة قد خلطت في ذهنه موقف المرأة الشخصي، وبعد كل ذلك، أكان ذلك مهما حقا؟ ينبغي الاستمرار بالمقابلة لكي لا يترك لأدنى مضايقة يمكن أن تتسع.

استأنف:

- وكم لديك من الأطفال؟

أجابت ناتالي من دون أدنى تردد:

- ليس لدي في الوقت الراهن.

كان يمكن أن يبدو هذا السؤال طبيعيا بالمطلق في أثناء مقابلة التشغيل مع امرأة شابة متزوجة للتو، لكنها شعرت بشيء مختلف، من دون أن تكون قادرة على تحديده. توقف شارل عن الكلام، وأخذ يتفحصها، وأخيرا، نهض وتناول قطعة بسكويت.

- هل تريدين الخبز السويدي المحمص؟
- لا شكرا.
- لا بد لك.
- هذا لطف، لكنني لست جائعة.
- كان عليك أن تجربي، نحن لا نأكل سواه هنا.

- تريد أن تقول: إن...؟
- أجل.

9

كان لدى ناتالي انطباع بأن الناس يحسدونها على سعادتها، وهو انطباع مشتت، إذ لا شيء ملموس حقا، إنه شعور عابر تماما، لكنها تشعر به ثانية عبر عديد التفاصيل والابتسامات التي ترتسم بالكاد، وتتطق بالكثير، وعبر طرائق النظر. ما من أحد يستطيع أن يتخيل أنها كانت تخشى السعادة هذه، الخشية التي يمكن أن تتضمن التهديد بالتعاسة، لقد حدث لها أن استدركت عندما قالت: «أنا سعيدة»، بنوع من التطيّر، ونوع من الذكرى التي تنتمي لكل هذه اللحظات التي كانت الحياة فيها في نهاية المطاف تتبنى الجانب السيئ.

كانت العائلة والأصدقاء الذين حضروا الزواج يشكلون ما يمكن أن نطلق عليه «حلقة الضغط الاجتماعي الأولى»، الضغط الذي كان يطالب بولادة طفل، أكان يقتضي أن يضجرا عند هذه النقطة من حياتهما من أجل الاهتمام بحياة الآخرين اهتماما كبيرا؟ دائما كان الأمر على هذه الشاكلة. لقد كان العيش تحت شرط رغبات الآخرين، ما كان كل من ناتالي وفرانسوا يريدان أن يصبحا مسلسلا لمحيطهما. في الوقت الحاضر هما يحبان فكرة أن يكونا ثنائيين، وحدهما في العالم، في صورة اعتيادية من الرخاء العاطفي. لقد عاشا مذ التقيا، في فورة من الحرية المطلقة. مولعان بالسفر، ويغتنمان أدنى عطلة مشمسة في نهاية

الأسـبوع، لقد جابا أوروبا ببراءة رومانسية، وربما كان عدد من شـهود حبهما قد اسـتطاعوا رؤيتهما في روما، في لشبونة، أو في برلين. كانا لديهما شـعور بأنها يتوحـدان مع بعضهما أكثر مما كانا وهما مشتتان. لقد كانت هذه الرحلات تترجم عندهما أيضا معنى حقيقيا للرومانسـية، كانا شـغوفين بالأماسي التي فيها يرويان لقاءهما من جديد، فيتذكران التفاصيل بانشـراح، ويفتخران بالدقة الموضوعية. لقد كانا، فيما يختص بأسـطورة حبهما كالأطفال الذين يحكى لهم الحكاية ذاتها من دون كلل.

عندئذ نعم، كان يمكن لهذه السعادة أن تثير الخوف.

لم تخدشـهما الحياة اليوميـة، وكانا وهما يعملان معا أكثر فأكثر، يحاولان بشـكل ما أن يلتقيـا، أن يتناولا فطورهما معا بسـرعة، أن يتناولا فطورهما «على عجل» كما يقول فرانسوا، أمـا ناتالي فقد أحبت هذا التعبير، كانت تتصور لوحة حديثة، تمثل زوجـين وهما يتناولان فطورهما على عجل، كما لو أنهما يتناولان الفطور فوق العشب، تلك هي اللوحة التي رسمها دالي، كمـا تقول، وهناك أيضا عدة عبـارات أحيانا مثيرة للإعجاب وسـامية، بينما من قالها لم يحقق منها أي شيء. كان فرانسوا يحب قدرة لوحة دالي هذه، يحب أن تتمكن زوجته من أن تبتكر، وحتى تغير، قصة الرسـم. كان ذلك شكلا من أشكال البساطة المتوجهـة إلـى أقصى حد. همـس بأنه كانت لديـه رغبة بها الآن، رغبـة أن يأخذها إلى مكان ما، أي مكان، ولكن كان ذلك مسـتحيلا، إذ عليها أن ترحل، وعندئذ سـينتظر حتى المساء، وسـيرتمي عليها برغبة متراكمة منذ ساعات مضت في حالة من الحرمان، فحـياته الجنسية، مع مرور الزمن، لا يبدو أنها

أصبحت تافهة. شيء ما نادر: ما تزال هناك بينهما آثار من يومهما الأول في كل يوم.

كانا يحاولان الاحتفاظ بحياة اجتماعية، والاستمرار باللقاء مع الأصدقاء، والذهاب إلى المسرح، والقيام بزيارات مفاجئة لأجدادهما، كانا يحاولان عدم السماح لنفسيهما بأن تسجنا، واللعب بفخ التعب. لقد مضت السنوات هكذا، وكل شيء كان يبدو بسيطا جدا، في حين كان الآخرون يبذلون الجهود. لم تفهم ناتالي هذا التعبير: «زوجان، يعني أنهما يعملان»، كانت الأمور بسيطة أو أنها لم تكن، بحسب وصفها، إنه لمن السهولة بمكان التفكير بذلك عندما يكون كل شيء صريحا، عندما لا يوجد هناك غموض، وأخيرا بلى، أحيانا. ولكن كان قد وجب التساؤل فيما لو أنهما لم يتشاجرا من أجل متعة التصالح بكل بساطة، حينئذ ماذا؟ لقد صار ذلك مقلقا إلى حد ما بهذا القدر من النجاح، كان الوقت يمر على هذه الحياة المطمئنة، وعلى مهارة الأحياء النادرة.

10

ناتالي وفرانسوا
يتأملان وجهات مستقبلية
برشلونة

* * *

ميامي

* * *

لابول

11

يكفي أنــك تتنفس من أجل أن يمر الوقــت، وهذا ما يجعل من ناتالي، قبل خمس سنوات من العمل في مؤسستها السويدية، خمس ســنوات من العمل بكل أنواعه، تروح وتغدو في الممرات والمصاعد، بمســافة قد تعادل ما بين باريس وموســكو، خمس ســنوات وألف ومئتان واثنتا عشــرة حافلة مقهى سيّارة، حيث إن ثلاثمئة وثمانين موعدا من أصل أربعمئة وعشرين موعدا انتظمت فيها مع الزبائن. كان شارل في غاية الفرح وهو يعدها بين المساهمين المقربين، فليس عجيبا أن يدعوها إلى مكتبــة، بالضبط ليقدم لها التهاني، بالطبع كان يتصرف هكذا، مفضلا المســاء، عندمــا يكون الناس قد رحلوا جميعــا، ولكن لم يكن ذلك بالتصرف غير المهذب، كان يجرّب كثيرا مــن التودد إليها، وكان يســتلطف هذه اللحظــات التي كانا يجدان نفسيهما فيها وحدهما. بالتأكيد، كان يحاول أن يخلق أرضية مواتية للبــس، فما مــن امرأة يمكن أن تكــون مغررا بها بمثــل كذا حيلة، غيــر أن ناتالي كانت تعيش في ضبابية غريبــة فيما يخص الزواج الأحادي، عن حب. عفوا عن هذا الحب الذي يلغي الرجال الآخرين، ولكن بكل رؤية موضوعية من محاولات الإغواء. كان شــارل يتسلى بذلك، ويفكر بفرانســوا، بوصفه أسطورة، ربما هذه الطريقة التي شــعرت بها لكونها لم تكن من الإغواء بشــيء قد بدت له بوصفها نوعا من التحدي. قد يتوصل إلى أن يبتكر بين ليلة وضحاها أرضية مضطربة صغيرة بينهما. أحيانا، كان يغير من الموقف جذريا، ويندم على استخدامها، كان ينهكه التأمل اليومي بهذه الأنوثة المنيعة.

إن علاقـة ناتالي مـع رب العمل، والتي يراهـا البعض أنها علاقة مميزة، كانت قد خلقـت أزمات عديدة، وقد حاولت هي التخفيف منها، من خلال عدم الخوض في صغائر الأمور بالحياة المكتبية، وإذا ما كانت قد احتفظت بمسـافات مع شـارل، فكان ذلك أيضا من أجل هذا السـبب، من أجل ألا تخسر نفسها في دور المحظية القديم. لقد فرضت عليها أناقتها وهالتها في نظر رب العمل أن تكون أكثر صرامة، هذا ما كانت تشعر به، من دون أن تعـرف فيما لـو كان ذلك مبررا، كان الجميع يُجمع بحسـب توقعاتهم لهذا المرأة المتألقة، الحيوية، الشـغولة، بأنها ستحصل على مستقبل باهر في المجتمع. لقد علم المساهمون السويديون، مرارا وتكـرارا، بمبادراتها الممتازة، كانـت الغيرة التي تظهرها تتجسـد من خلال أعمال ماكرة، كانت هنـاك عدة محـاولات لزعـزعـتها، ولكنهـا لم تكن تتبرم، ولم تك قط من النوع الذي يتشكى في المساء، عندما تلتقي بفرانسوا، وكانت تلك أيضا هي طريقة في التعبير عن أن مشهدا قصيرا من فوضى الطموحات ليـس له مـن الأهمية أكثر مـن ذلك. هذه المقـدرة على تمرير المشـكلات كانت تعرف بالقوة، ربما كان ذلـك ينم عن مقدرتها القوية، المقدرة التي لا تسمح لضعفها بالظهور.

12

المسافة بين باريس وموسكو

2478 كيلومتر

13

كانت ناتالي منهكة في عطلة نهاية الأسبوع، ففي يوم الأحد، كانت تحب القراءة، وهي ممددة على الأريكة، وهي تحاول تناوب الصفحات والأحلام عندما يحملها الاسترخاء فوق الخيال، كانت تضع غطاء على ساقيها، ماذا أقول غير ذلك: آه، نعم، كانت تحب إحضار إبريق الشاي الذي تشرب منه عدة أكواب، برشفات صغيرة وكأن الشاي كان ينبوعا لا ينضب. في يوم الأحد ذاك، الذي حدث فيه كل شيء، كانت تقرأ قصة روسية طويلة، لكاتب أقل شهرة من تولستوي ودوستويفسكي، وهو الذي استطاع إثارة التأمل بعدم عدالة الأجيال القادمة. لقد كانت تحب ضعف شخصية البطل، وعجزه عن التصرف، وعن التعبير عن طاقته اليومية. لقد كان هنالك قدر من الحزن في هذا الضعف.. مع الشاي تحب الروايات الطويلة.

مرّ فرانسوا قريبا منها: «ماذا تقرئين؟»، قالت إن هذا كاتبا روسيا، ولكنها لم تحدد، إذ بدا لها أنه لم يطرح السؤال إلا بطريقة مهذبة، وبطريقة آلية. في يوم الأحد ذاك كانت تحب القراءة، وتحب الجري، كانت ترتدي الشورت الذي وجدته مثيرا للسخرية، لم تكن تستطيع أن تعرف أنها تراه للمرة الأخيرة، إنه «ينطنط» في كل مكان، وهذه الطريقة هي التي يسخن نفسه بها في صالته، ويستعيد أنفاسه بقوة قبل أن ينطلق، وكأنه يريد أن يترك فراغا كبيرا بعده. قد ينجح، وهذا مؤكد، فقبل أن يرحل انحنى على زوجته، وأخبرها ببعض الأمور، ومن الغريب

أنها لم تتذكر هــذه الكلمات، وقد يتبخر لقاؤهما الأخير، ومن ثم خلدت للنوم.

عندما اســتيقظت بدا لها مــن الصعوبة بمكان معرفة كم من الوقت كانت قد غفت. عشـــر دقائق أم ســـاعة؟ تناولت قليلا من الشـــاي، كان ما يزال ساخنا، وتلك كانت علامة، إذ يبدو أن شيئا لم يتغيـــر، وكان ذلك تماما هو الموقف نفســـه قبل أن يحل وقت نومها. أجــل، كان ذلك هو هو. رن الهاتف خلال هذه العودة إلى الذات، امتزجت ضجة رنينه ببخار الشـــاي، في توافق غريب من الأحاسـيس، تراجعـــت ناتالي، وبعد دقيقة، لـــم تعد حياتها هي ذاتها، وبشكل عفوي وضعت شارة الصفحة في كتابها، وأسرعت إلى الخارج.

14

بعد أن وصلت إلى صالة المستشفى، كانت لا تعي ما تقول وما تفعل، لقد بقيت من دون حركة مدة طويلة، في صالة الاستقبال، أشـــاروا عليها أين تجد زوجها، ثم وجدته ممددا، جامدا، ظننت ربما كان نائما، لم يحرك ســـاكنا قط فـــي الليل، وهنا، في هذه اللحظة، كانت ليلة ككل الليالي تماما.

سألت ناتالي الطبيب:

- كم هي فرصه المؤاتية؟

- ضئيلة.

- ماذا تعني ضئيلة؟ هل معنى ضئيلة أنها معدومة؟ وفي هذه الحالة، قل لي إنها معدومة.

- ليس بوسعي أن أقول لك ذلك، سيدتي.. الفرصة ضئيلة، لا نعرف قط.

- ولكن إلى هذا الحد، عليك أن تعرف! إنها مهنتك في المعرفة!

لقد أخذت تصرخ بهذه العبارة بكل قواها لمرات عديدة، ثم توقفت. وعند ذاك أخذت تحدق بالطبيب، الذي كان هو الآخر جامدا، متشنجا. لقد شاهد مشاهد ومواقف حزينة عديدة، لكن هنا، من دون أن يكون لديه القوة على أن يوضح السبب، كان يشعر وكأن درجة فائقة من التسلسل الدرامي، كان يتأمل وجه هذه المرأة، وهي تتلوى من الألم، وهي غير قادرة على البكاء إلى حدّ أن الألم كان يجففه. تقدمت نحوه، ضائعة، غائبة، قبل أن تنهار.

عندما عادت إلى رشدها، رأت أبويها وكذلك أبوَي فرانسوا، وكانت قبل ذلك، منهمكة في القراءة، وهكذا لم تعد في بيتها. إن الحقيقة كانت قد تشكلت ثانية، أرادت أن تتقهقر في النوم، تتقهقر في يوم الأحد، ليس ذلك ممكنا، لم يكن ذلك ممكنا، ذلك هو الذي لم يكف عن التكرار في لائحة طويلة ومملة من الهذيان، لقد أوضحوا أنه في غيبوبة، وعلى الرغم من أن شيئا لم يضع، ولكنها كانت تشعر بأن كل شيء قد انتهى، كانت تعرف ذلك، ولم تكن تمتلك الشجاعة لتقاتل، ماذا تفعل؟ أتحتفظ به حيا لمدة أسبوع؟ وماذا بعد؟ لقد رأته، لقد رأت جموده، لم يصح أحد من مثل هذا الجمود، ولم يبق هكذا إلى ما لا نهاية.

أعطيتْ له بعض المسكنات، كان جميع الناس حولها في حالة انهيار، وكان عليه أن يتكلم، وأن يشد من عزمه، ولكن لا طاقة له بذلك.

- سأبقى بجانبه لأهتمّ به.

قالت لها أمها:

- كلا، هــذا لا يجدي نفعــا، من الأفضل أن تعودي إلى بيتك وتأخذي قسطا من الراحة.

- لا أريــد أن آخذ قســطا من الراحة، قــررت أن أبقى هنا، قررت أن أبقى هنا.

كانــت وهي تقول ذلك، على وشــك أن يغمــى عليها. حاول الطبيب إقناعها بأن ترافق أبويها.

تساءلت:

- ولكن ماذا إذا استيقظ وأنا لست إلى جانبه؟

حينذاك ســاد صمت مطبق، لم يكن أحد بوســعه أن يصدق بيقظته. حاول البعض، واهما، أن يهدّئ من روعها:

- ســنخبرك فــي الحال، ولكن هنا، من المستحســن حقا أن تأخذي قسطا من الراحة.

لــم ترد ناتالي، وألــحّ عليها الجميع بأن تســتلقي، وأن تتابع الحركة الأفقية، وعندئذ ذهبت مع أبويها. أعدت لها أمها حساء لم تســتطع ابتلاعه، تناولت ثانية قرصين من الدواء، ثم انهارت على فراشــها في غرفتها، وهي غرفــة طفولتها، كانت في ذلك الصباح ماتزال امرأة، وتنام الآن مثل طفلة صغيرة.

15

حدود العبارات التي تلفظ بها فرانسوا

قبل أن يذهب للجري.

أحبك.

* * *

أهيم بك.

* * *

بعد الرياضة، التشجيع.

* * *

ما الذي نأكله هذا المساء؟

* * *

قراءة ممتعة يا حبيبتي.

* * *

إنني على عجل لألتقي بك ثانية.

* * *

ليس في نيتي أن أحطم نفسي.

* * *

ينبغي حقا أن نتناول العشاء مع برنار ونيكول.

* * *

ينبغي مع ذلك أن أقرأ كتابا أنا أيضا.

* * *

سأمضي للاعتناء بربلة ساقي على وجه الخصوص.

* * *

في هذا المساء، نكوّن طفلا.

16

بعـد بضعة أيام توفي، وكانت ناتالي فـي حالة غير طبيعية، مرهقة بسـبب المسـكّنات، ولم تتوقف عـن التفكير مرة أخرى باللحظة الأخيرة التي كانت بينهما، لقد كانت لحظة لا معنى لها، كيف أن قدرا من السعادة كان يمكن أن يتحطم هكذا؟ لقد انتهت على رؤية مثيرة للسـخرية لرجل كان يتقافز في الصالة، ومن ثم تلـك الكلمات الأخيـرة التـي همسها لها فـي أذنها، لم تتذكر منها شـيئا قط، ربما همس لها في العنق بكل بساطة، في وقت رحيله، كان بالتأكيد شبحا، بشكل إنسان بالتأكيد، ولكنه لا ينتج سوى الصمت، لأن الموت كان قد حّل.

فـي يوم الدفن، لـم يتغيب أحد، كل النـاس كانوا موجودين في منطقـة طفولة فرانسـوا، كان يمكن أن يكون سـعيدا بهذا الجمع، هكـذا فكرتْ، ومـع ذلك لا، كان من العبث التفكيـر بهذا النوع من الأمور، كيف أن ميتا يمكن أن يكون سعيدا، مهما يكن من أمر فلقد كان يأخذ بالتحلل بين أربعة ألواح من الخشب، كيف بوسعه أن يكون سـعيدا. كانت ناتالي، وهي تسير خلف النعش المحاط بأقاربه، قد خطرت ببالها فكرة أخرى؛ إنهم المدعوون أنفسـهم الذين دُعوا إلى زواجنـا، أجل إنهم جميعا هنا، تماما يشـبه ذلك اليوم، وبعد مضي عدة سـنوات يجد المرء نفسـه، والبعض منهم وهو يرتدي ملابسه بالطريقة ذاتها، قد أخرجوا بدلاتهم الوحيدة الداكنة، الملائمة أيضا للفرح والأسـى في آن معا، الاختلاف الوحيد هو الطقس، فقد كان الوقت مشمسا هذا اليوم، وكان يمكن للمرء أن يشعر بالدفء.

والأمــر برمته في شــهر فبراير، نعم، إن الشــمس فيه غير ساطعة، وكانت ناتالي وهي تحدق فيهــا، وقد احترقت عيناها إلى حدٍّ مــا في النظر هكذا، قد تشوشــت رؤيتها في هالة من الضوء البارد.

لقد دفنوه في الأرض، وانتهى كل شيء.

بعد مراســم المأتم، كانت تستبد بناتالي رغبة عارمة وهي أن تظــل وحدها، لم تكن ترغب بالعودة إلــى بيت والديها، ولم تعد تريد أن تشعر بنظرة الحنو هذه في أن تشفق عليها، كانت تريد أن تنزوي، وتحبس نفســها، وتعيــش في مقبرة. رافقها عدد من الأصدقاء، وطوال المســافة في السيارة، لم يعرف أحد ما يقوله، اقترح الســائق قليلا من الموســيقى، ولكن ناتالي طلبت منه أن يطفئ بسرعة، كانت الحالة لا تطاق، كل لحن يذكرها بفرانسوا، وكل نغمــة كانت صدى لذكرى، ولحكاية، ولضحكة، ولقد أدركت أن ذلك سيكون مرعبا، لقد كان لديها، في خلال سبعة أعوام من الحياة المشــتركة متسع من الوقت لأن تتشتت في كل مكان، وأن تترك أثرا على كل الأنفاس، وهي تدرك أنها قد لا تطيق الحياة التي يمكن أن تجعلها تنسى موته.

لقد أعانها أصدقاؤها على تدبر شــؤونها، ولكنها رفضت أن يتدخلوا.

- أقترح عليكم عدم البقاء، إنني متعبة.
- هل تعدينني بأن تستدعينا إن كنتِ بحاجة لأي شيء كان؟
- نعم.
- هذا وعد؟
- نعم، هذا وعد.

عانقتهم، وشــكرتهم. كانت تشعر بارتياح لأنها بقيت وحدها، بينمـا هناك آخرون ليس بوســعهم أن يتحملــوا العزلة في هذه اللحظــة. فكرت ناتالــي بذلك، ومع ذلــك كان الموقف يزيد من الطين بلة. تتخطى في صالتها، وكل شــيء كان هناك، لم يتغير، لم يتحرك أي شيء من مكانه؛ الغطاء دائما على الأريكة، وإبريق الشــاي على الطاولة المنخفضة، مع الكتــاب الذي كانت تقرؤه، وكان محجــوزا بعلامة مؤشــر الصفحة علــى وجه الخصوص، كان الكتاب قــد قطع إلى نصفين، الجزء الأول منه قد قُرئ في عهد حياة فرانســوا، وتوفي عنــد الصفحة 321، ما العمل؟ هل بالإمكان متابعة قراءة الكتاب التي قطعتها وفاة زوجها؟

17

لم يســمع أحد أولئك الذين يقولــون بأنهم يريدون أن يكونوا وحدهم. الرغبــة بالعزلة هي نزوة مرضية حتما، ومع أن ناتالي كانــت تحــاول طمأنة كل النــاس، فقد كانوا يذهبــون لرؤيتها، وأصــرّوا على أن تتكلم، ولكنها لا تعرف ما تقول، لقد كان لديها انطبــاع بأن عليها أن تبدأ من الصفر بما في ذلك التدريب على اللغة. ربما هم، في الواقع، على صواب في أن يرغموها على أن تكون اجتماعية إلى حدّ ما، وأن يرغموها على الاغتسال، وعلى ارتداء ملابســها، واســتقبال الناس. لقد كان معارفها يتناوبون عليهــا، وكان ذلك واضحا وضوحا تاما. كانت تتصور ما يشــبه خلية الأزمة التي تدير الدراما بمســاعدة ســكرتيرة، وهي أمها بالتأكيد، وهي تلاحظ كل شــيء على وفق خطة هائلة، كي تتوع

-بمهارة- الزوار الذين ينتمون إلى الأسرة والزوار الأصدقاء. كانت تصغي إلى أعضاء هذه العصبة من المساعدين الذين يتكلمون فيما بينهم، ويعلقون على أدنى مآثرها.

- والحالة هذه كيف يكون حالها؟ وماذا تفعل؟ وماذا تأكل؟

لقد كان لديها انطباع بأن تكون على حين غرة مركزا للعالم، عندما لم يعد لعالمها وجود.

كان من بين الزوار شارل، وهو الأكثر حضورا، حيث أمضى مدة اليومين أو الثلاثة، وكانت تلك أيضا طريقة، بحسب قوله، للبقاء على تواصل مع الوسط المهني. حدثها عن تطور الملفات التي يجري العمل فيها، وكانت هي تحدق فيه وكأنه معتوه. ما الذي يمكن أن يصنعه له ذلك والتجارة الصينية الخارجية تعيش أزمة في هذا الوقت؟ هل سيعيد لها الصينيون زوجها؟ كلا. حسنا، وعندئذ، لا يفيد هذا بشيء. شعر شارل بأنها لم تكن مصغية إليه، ولكنه كان يعلم بأن ذلك سيكون له تأثير شيئا فشيئا، وأنه يقطر مثل حقنة قطرة إثر قطرة، وأن الصين والسويد بالذات قد يعيدان أفق ناتالي. كان شارل جلس إلى مقربة منها تماما:

- بوسعك أن تستأنفي، إن أردت ذلك. ينبغي أن تعلمي أن الشركة كلها من ورائك.

- شكرا، هذا لطف منك.

- وأنت تعلمين أنه يمكن أن تعتمدي عليّ.

- شكرا.

- حقا تعتمدين عليّ.

لم تكن تفهم لِمَ يخاطبها منذ وفاة زوجها بصيغة الـ أنتِ! ما الذي كان يمكن أن يعنيه هذا؟ ولكن لمَ تبحث عن معنى لهذا

التبـــدل المفاجئ؟ ليس لها طاقة بذلك. ربما أحسّ بمســـؤولية، مســـؤولية أن كل جانب من حياتها لـــم يكن يهتز، ولكن مع ذلك، كانـــت المخاطبـــة بـ «أنـــتِ» غريبـــة، ومن ثم لا، هنـــاك عبارات للمواساة. ينبغي إزالة المسافة لكي يتمكن من التلفظ بها، ينبغي أن تكـــون بصيغـــة حميمية. لقد وجدت أنه قـــد تقدم قليلا في الغالـــب، وقد حاولـــت أن تجعله يفهم، ولكن لـــم يصغ أحدٌ إلى أولئك الذين يبكون.

صـــار أكثر إلحاحـــا، وذات مســـاء، وبينما هـــو يتحدث لها، وضع يده على ركبتها، لم تقل شـــيئا، ولكنهـــا وجدت أنه يفتقد اللياقة بشكل مخيف. هل كان يريد أن يستغل حزنها ليحل محل فرانســـوا؟ إنه من طراز الرحالة. ربما كان يريد أن يجعلها تفهم بكل بساطة أنه هنا إذا ما كانت بحاجة إلى الحنان، إذا ما كانت بحاجـــة للحب، فمـــن النادر أن تدفعك مقاربـــة الموت من نطاق الجنـــس، ولكن هنا حقا لا، من المســـتحيل أن تفكر برجل آخر. وعند ذاك، أبعدت يد شـــارل، حيث شـــعرت بأنه كان قد مضى بعيدا جدا من دون شك.

قالت:

– قد أستأنف العمل عما قريب.

من دون أن تعرف ماذا كان يعني.

18

لماذا اقتبس رومان بولانسكي رواية تيس دور بيرفيل لتوماس هاردي؟
(هـذه الروايـة ترجمها إلـى العربية فخري أبو السـعود - المترجم).
ليـس تماما بوصفها قـراءة قطعها الموت، ولكن شـارون تات، زوجة رومان بولانسكي، وقبل أن تموت ميتة وحشية على يد شارل مانسون، كانت قد أشارت لزوجها بهذا الكتاب، قائلة له بأنه سيكون مثاليا إذا ما اقتبسـه للسينما. هذا الفيلم أُخرج للسينما بعد اثنتي عشرة سنة، مع ناستاسيا كينسكي بدور رئيس، وقد أهدي إليها.

19

لم يرغب كل من ناتالي وفرانسوا بأن ينجبا طفلا في الحال، كان هذا المشروع متروكا للمستقبل، هذا المستقبل الذي لم يعد له وجود منذ الآن، سـيبقى طفلهمـا افتراضيا، يمكـن أن نتصور كل هؤلاء الفنانين الذين توفوا، ونتسـاءل عن أيـة أعمـال هـي أعمالهم إذا ما عاشوا؟ وما الذي يمكن أن يؤلفه جون لينون في عام 1992 لو لم يمت في عام 1980؟ وما حياة هذا الطفل الذي لم يولد قط؟ ينبغي أن نفكر بكل هذه المصائر التي أخفقت على ضفاف إمكانياتهم.
كان يبـدو على مظهرهـا بأنها مجـنونة إلـى حد ما، خلال أسـابيع عديدة، جاحدة بالموت، وهي مستمرة في تخيل كل يوم،

وكأن زوجهــا كان هنــا، كانت قادرة علــى أن تترك بضع كلمات تســترعي انتباهه علــى الطاولة في الصالة، فــي الصباح قبل الانطلاق للتنزه، لقد مشــت ساعات، تحدوها رغبة وحيدة وهي أن تختفي في الزحام. لقد حدث لها أيضا أن دخلت في كنائس عديــدة، وهي لم تكــن متدينة، ولم تؤمن قــط. لقد كانت تجد صعوبة فــي فهم هؤلاء الذيــن يحتمون بالدين ويتســترون به، وصعوبة في أن تفهم أن أحدا يستطيع أن يدخل قلبه الإيمان بعد أن يكون قد عاش مأســاة. ومع ذلك، كان المكان يشد من عزمها وهي تجلس بين الكراسي الفارغة، في عز الظهيرة، كان تسكينا طفيفا، ولكن في ومضة خاطفة، نعم، شــعرت بحرارة المســيح، فركعت، كانت مثل قديسة يرتع الشيطان في قلبها.

كانــت تذهب إلى المــكان الذي التقيا فيــه أحيانا، على هذا الرصيف الذي مشت عليه، مجهول الاسم بالنسبة لها، قبل سبع سنوات، وتســألت: «وإذا ما كان هناك شخص آخر يقترب مني الآن، فكيــف ســيكون رد فعلي؟»، ولكن ما مــن أحد جاء وقطع خلوتها.

كانــت تذهب أيضا إلى المكان الذي انصرع فيه زوجها، حيث كان وهو يعدو بالشــورت والموسيقى في أذنيه، لقد عبر من دون أن ينتبــه، فكانت حماقته في نهاية المطــاف. كانت تجلس على قارعة الطريق، وتأخذ بمراقبة مرور الســيارات، لماذا لم تنتحر في المكان نفســه؟ ولماذا لم تمتزج آثــار دمائهما في آخر اتحاد معتل؟ لقد بقيت مدة طويلة من دون أن تدرك ماذا تفعل، والدموع تنهمــر على وجهها، كان ذلك في الأيام الأولى، بعد الدفن، حيث كانــت تأتي إلى هذا المكان، وهــي لا تعرف لماذا هي بحاجة إلى

إيلام نفسها كثيرا. كان من العبث أن تكون هنا، من العبث أن تتخيل قساوة الصدمة، من العبث أن تجعل من وفاة زوجها شيئا ملموسا. هل كان يعني ذلك الحل الوحيد في حقيقة الأمر؟ لا توجد أية وسيلة، كل واحد يقرأ ما يكتبه جسده. وكانت ناتالي ترضى بهذا الدافع بأن تكون هنا، لتبكي على قارعة الطريق، لتهلك نفسها وهي تذرف الدمع.

20

مجموع أسطوانات جون ليون
لو لم يمت في عام 1980

* * *

لا يزال يوكو (1982)

* * *

أمس وغدا (1987)

* * *

برلين (1990)

* * *

الموسيقى التصويرية لتيتانيك (1994)

* * *

أحياء - البيتلز (1999)

21

حياة شارلوت بارون منذ اليوم
الذي دهست فيه فرانسوا

لولا هجمات 11 سبتمبر 2001 لما أصبحت شارلوت بائعة زهور على الإطلاق، لقد كان الحادي عشر من سبتمبر هو يوم عيد ميلادها، وكان أبوها في رحلة إلى الصين، قدم لها باقة من الأزهار، صعد جان ميشيل درجات السلّم من دون أن يعلم أن الزمن على الرغم من أنه فقد توازنه لكنه قرع الجرس، فرأى وجه شارلوت الشاحب، لم تستطع أن تتلفظ بأية كلمة، وهي تتناول الأزهار، وسألت:

- هل أنت على علم؟
- بماذا؟
- تعال...

أمضى جان ميشيل وشارلوت ذلك النهار معا، كانت تجلس على الأريكة محدقة بتحليق صور الطائرات وهي تصطدم بالأبراج، عاش الاثنان تلك اللحظة سوية، لقد صارا لا يفترقان، بل حدثت لهما القصة منذ عدة شهور قبل أن يستنتجا بأنهما أصدقاء أكثر من كونهما عاشقين.

وبعد مدة وجيزة أنشأ جان ميشيل شركته الخاصة به لتوزيع الأزهار، فاقترح على شارلوت العمل معه. ومنذ ذلك الوقت، ارتكزت حياته على إعداد باقات الورد. وفي يوم الأحد الذي حدث فيه الحادث، كان جان ميشيل على أتم الاستعداد، فقد كان الزبون يريد أن يطلب من خطيبته الزواج، وبعد أن تسلمت

الأزهار وفهمت الرسالة وهي نوع من الإشارة الملغزة بينهما، كان يقتضي أن تكون الأزهار قد سلّمت في يوم الأحد، إنه عيد ميلاد لقائهما، وقبل أن يخرج جان ميشيل، تسلم نداء من أمه: «لقد أدخل جدك إلى المستشفى للتو». قالت شارلوت إنها ستهتم به. كانت تحب قيادة الشاحنة الصغيرة، وعلى وجه الخصوص إذا لم تكن سوى تسليمة واحدة، حيث عليها ألا تكون على عجلة من أمرها. كانت تفكر بهذين الزوجين، بالدور الذي تلعبه في قصتهما: قدر مجهول. كانت تفكر بكل ذلك، وبأشياء أخرى أيضا، ومن ثم عبر رجل كيفما اتفق، فأوقفت عربتها، ولكن بشكل متأخر.

لقد دمّر الحادث شارلوت، حاول الطبيب النفساني أن يجعلها تتكلم، أن يقوم بشيء يجعلها تفرغ التصادم بسرعة جدا، وأن الصدمة لم تتلف اللاشعور، فتساءلت بسرعة: أكان عليّ أن أكون على اتصال مع الأرملة؟ ولكنها في نهاية المطاف اعتبرت ذلك عديم الفائدة. من جهة أخرى، ماذا يكون بوسعها أن تقول؟ «إنني أعتذر»؟ هل يعتذر المرء في هذه الحالات؟ ربما كان بوسعها أن تضيف: «لقد كان زوجك أحمق وهو يجري كيفما اتفق، لقد أفسد حياتي أيضا. هل تدركين ذلك؟ هل تعتقدين من السهولة بمكان أن يستمر الإنسان في عيشة وقد قتل شخصا ما؟»، كانت تشعر في بعض الأحيان بنوبات حقيقية من الحقد على هذا الرجل، وعلى تناقضها، ولكنها كانت تصمت معظم الوقت، تبقى جالسة في صمت، صمت هذه الساعات يوحدها مع ناتالي، فالاثنتان كانتا تبحران في تخدير من الإرادة الأدنى، وخلال أسابيع التماثل للشفاء، ومن دون أن تعرف السبب، لم تتوقف

عن التفكير بالأزهار التي كان يجب أن تسلمها في يوم الحادث، كانت هــذه الباقة المهملة صورة للزمن الخائب. إن اســتعراض الحدث كان يمر أمام عينيها بطريقة متواصلة، صوت الاصطدام مــرة أخرى ثم مرة أخرى، والأزهار هنــاك دائما، في الصدارة، تشوش لها بصرها. لقد كانت تلك الأزهار هي الوشاح الذي كفن نهارها وهاجسها على شكل بتلات زهور.

كان جان ميشــيل أشــد قلقا على حالتها، وقد نفد صبره وهــو يدعوها إلى اســتئناف العمل.. كانــت محاولة مثل كل المحــاولات الأخرى لإيقاظها، محاولة ظافرة، ذلك أنها رفعت رأســها، وأشــارت بنعم مثلما تفعل ذلك الفتيات الصغيرات اللواتــي يوعدن بــأن يكونّ عاقلات بعــد أن يرتكبن حماقة. كانــت تعلم جيدا، في الواقع، أنها لا تمتلك خيارا، وأن عليها أن تستمر. بالتأكيد لم يكن تحريضا مفاجئا من زميلها الذي كان يحرضها. كل شيء تمت استعادته، كالسابق، هكذا فكرت شــارلوت، وعلينــا أن نطمئــن. ولكن لا، ما من شــيء يمكن اســتعادته كالســابق، بعض الأمور كانت قد تحطمت بقسوة خلال ســير الأيام. كان يوم الأحــد ذاك حاضرا دائما، تجده فــي يوم الإثنــين ويوم الخميس، ويســتمر فــي المقاومة يوم الجمعة أو يوم الثلاثاء. يوم الأحد ذاك لم ينته، كان يســتمد السلوكيات من قذارة الأمر، وهو يرش نفسه في كل مكان على المســتقبل. كانت شارلوت تبتسم، وكانت شارلوت تأكل، ولكن القلق يرتســم على وجه شارلوت، حرف أو حرفان من اسمها اختفيا في الغبش، لقد بدت الفكرة تستحوذ عليها، فتساءلت على حين غرة:

- الأزهار التي كان علي أن أسلمها في ذلك اليوم.. هل سلمتها أخيرا؟

- لدي شيء آخر في رأسي، سألتحق بك في الحال.

- ولكن ألم تطلب الرجل؟

- بلى، بكل تأكيد، هاتفته في اليوم التالي، لم يكن راضيا عن أي شيء. لم تتسلم خطيبته أي شيء.

- وماذا بعد ذلك؟

- وماذا بعد.. أوضحت له.. أخبرته بأن حادثا قد حدث لك.. وأن رجلا كان في غيبوبة..

- لم أعد أعرف أكثر من ذلك.. لقد اعتذر.. ومن ثم غمغم بكلمات.. أظن أنه فهم أنه رأى في ذلك ما يشبه علامة، رأى شيئا سلبيا تماما.

- تريد أن تقول.. تعتقد أنه لم يطلب الفتاة للزواج؟

- لا أعلم.

هذه الحكاية عكرت صفو شارلوت، وأذنت لنفسها بأن تطلب الرجل موضوع الحديث. لقد أكد أنه قرر تأجيل طلبه للزواج، هذا الخبر ترك فيها أثرا عميقا، لم يمر هذا بسلام، فكرت بربط المواقف، الزواج وقد تم تأجيله، وربما أن كثيرا من الأحداث ستكون متغيرة للتو؟ هذا ما كان يزعجها في القول بأن كل الحيوات ستكون متباينة. وفكرت: إذا ما أصلحتُها، وكأن شيئا لم يكن، إذا ما أصلحتها، قد أستأنف حياة اعتيادية.

مضت إلى خلفية الدكان لتعدّ باقة الورد نفسها، ثم استقلت سيارة تاكسي. سألها السائق:

- هل هذه لعقد قران؟

- كلا.
- لعيد ميلاد؟
- كلا.
- لـ.. مناسبة تخرج؟
- كلا.. إنهـا من أجل ما كان يجـب أن أفعله تماما في ذلك اليوم الذي دهست فيه شخصا.

استمر السـائق في طريقة صامتا. نزلت شارلوت، ووضعت الورد على دواسـة عتبة باب المرأة، ظلـت برهة من الوقت أمام هـذه الصورة، ثم قررت أن تنتـزع بعض الورد من الباقة. رحلت واستقلت سيارة تاكسـي أخرى، لقد كانت منذ ذلك اليوم الذي وقع فيـه الحادث، تحتفظ بعنوان فرانسـوا معها. كانت تفضل عدم اللقـاء بناتالي، وبالتأكيد إنها اتخذت قـرارا حكيما، لقد كان مـن الصعب جدا أن تعيد البناء ثانية داسـة أنفها في حياة مخرّبة. ولكن هناك حافز يدفعها، لا تريد أن تتأمل، كانت سيارة التاكسـي تسـير، وها هي تتوقف. لقد وجدت شارلوت نفسها، وللمـرة الثانية وفي بضع ثوانٍ علـى صحن درج امرأة، فوضعت بعض الورد الأبيض أمام باب ناتالي.

22

فتحت ناتالي الباب، وتسـاءلت: أكانت لحظـة مواتية؟ لقد توفي فرانسوا منذ ثلاثة أشـهر، وثلاثة أشهر كانت قليلة جدا. لم تشـعر بأدنى تحسـن، لقـد كان حراس الموت يمشـون على جسـدها بطريقة لا تكل. نصحها أصدقاؤها بأن تشرع بالعمل،

وألا تستسلم، وأن تشغل وقتها، بحيث لا يكون وقتا لا يطاق. وهي تعرف جيدا أن ذلك لا يغير من الأمر شيئا، وربما سيكون الأسوأ، وبخاصة عند المساء، عندما تعود من العمل، ولا تجده هنا، بل ولن يعود هنا أبدا. ألا تستسلم، يا له من تعبير غريب! تستسلم على أية حال. الحياة ترتكز على الاستسلام، وهي، وكل ما كانت تريده الاستسلام، لم تعد تشعر بثقل كل ثانية، كانت تريد أن تكتشف البساطة، وكانت لا تطاق.

لم تكن ترغب بإجراء اتصال هاتفي قبل ذلك، كانت تريد الوصول هكذا. فجأة، من أجل جعل الحدث أكثر بساطة، في الصالة، وفي السلّم، وفي الممرات، كان عدد من زملائها يلاقونها، والجميع، عند هذا الدرب، كانوا يحاولون وكأن لديهم القدرة على أن يعربوا لها بقليل من الدفء، بكلمة، أو بإشارة، أو بابتسامة، أو بالصمت أحيانا، وهناك العديد من مواقف الأشخاص، ولكن هذه الطريقة المجمع عليها والرصينة في إسنادها تؤثر فيها بشكل عميق. وعلى نحو متناقض كانت أيضا هنالك كل هذه المظاهر التي جعلت منها مترددة الآن. فهل هي راغبة بذلك؟ وهل تريد أن تعيش في بيئة فيها كل شيء لم يكن سوى شفقة وضجر؟ وإذا ما كانت تعود ثانية، فعليها أن تمثل مهزلة الحياة، بحيث إنها تمثل بأن كل شيء يسير على ما يرام، وهي قد لا تتحمل أن ترى في نظرات الآخرين المودة التي كانت تعد في نهاية المطاف مدخلا للشفقة.

ترددت وهي واقفة متسمرة أمام باب مكتب مديرها. كانت تشعر فيما لو دخلت، فإن ذلك من أجل العودة في الحقيقة. وأخيرا قررت ودخلت من دون أن تطرق الباب. كان شارل

مســتغرقا في قراءة معجم لاروس، تلك كانــت نزوته؛ كان يقرأ تعريفا كل صباح.

سألت ناتالي:

- هل أنت بخير؟ لا أريد أن أزعجك؟

رفع رأســه، وقد أدهشته رؤيته لها، كانت مثل شبح، انعقدت حنجرته، وخشي من عدم قدرته على الحركة، وقد شلّه الانفعال. اقتربت منه:

- هل أنت منهمك بقراءة تعريفك؟

- نعم.

- ما هو هذا اليوم؟

- كلمة «عذوبة»، وهذا لا يدهشــني إن كنت تظهرين في هذه اللحظة.

- إنها كلمة جميلة.

- إنني سعيد بلقائك، هنا، وأخيرا أتمنى عودتك.

ثم ســاد صمت عندئذ، كان ذلك شــيئا غريبــا، ولكن هناك دائمــا لحظة لا يعرفان ما يقــولان فيها، وفي هذه الحالات كان شــارل يقترح أن يقدم لها الشاي، وكان ذلك كالوقود لكلماته، ثم استأنف، وهو في قمة الإثارة:

- لدي عدد من المساهمين في السويد، في الواقع أنت تعرفين أنني أتكلم قليلا من اللغة السويدية الآن؟

- لا.

- أجل.. لقد طلبوا مني أن أتعلم اللغة الســويدية.. إنه حظّي هذا، حقا إنها لغة سخيفة.

- ....

- ولكن حسنا، أنا مدين لهم بذلك، ومع ذلك كانوا دمثين بما يكفي.. وأخيرا.. أجل، أقول لك هذا.. لأنني حدثتهم عنك.. وكان الجميع متقفين على أن نسعى مثلما تتمنين ذلك، فإذا ما قررت العودة، فبوسعك أن تقومي بذلك على وفق إيقاعك، كما تريدين.
- هذا كرم.
- ليس كرما، نحن بحاجة إليك هنا، حقا.
- ....
- أنا بحاجة إليك.

لقد نطق هذه الجملة وهو يحدق فيها بجدّية. بهذا النمط من النظر الملحاح الذي يزعج يمكث الزمن في العين دهرا: ثانية. إنه خطاب، وفي الحقيقة لا يمكن أن ينكر شيئين: الأول هو أنها كانت تشغله دائما، والثاني هو أن جاذبيتها كانت قد ازدادت منذ وفاة زوجها، لقد كان من الصعب الاعتراف بهذا النوع من الميل. أكان ذلك توافقا غير طبيعي؟ كلا، ليس اضطرارا، كان وكأنه قد سما بمأساتها، وكان حزن ناتالي يفاقم من طاقتها الإيروتيكية بشكل كبير.

23

تعريف كلمة «رقة» في معجم لاروس

رقة: اسم مؤنث.

1 - رقيق، عذب.

2 - أدبيا: أن تكون رقيقا مع شخص ما في حالة برود، ذي علاقة سيئة مع شخص ما.

24

كانت ناتالي تجلس في مكتبها، منذ بداية صباح عودتها، لقد كانت قبالة شيء مرعب ألا وهو التقويم. واحتراما لها فإن احدا لا يتعرض لشؤونها، ولم يتصور أحد إلى أي حد سيكون هذا الأمر قاسـيا بالنسبة لها وهي تكتشف تاريخ يومها الأخير قبل المأساة مثبتا على مكتبها، التاريخ السابق بيومين من حادث زوجها، على هذه الصفحـة كان ما يزال حيا. تناولت الشـيء، وأخذت تقلب الصفحات، كانت الأيام تمـر تحت ناظريها، وكانت قد عدت كل يوم، منذ وفاة فرانسوا، وكأنه كان يحمل ثقلا هائلا، وعند ذاك، وفـي خلال بضع ثوانٍ، وهي تقلّب الأيام، اسـتطاعت أن تلاحظ الدرب الذي تم السـير فيه بشـكل حسـي، كل هذه الصفحات، وكانت ما تزال هناك. أما الآن فكان هذا اليوم.

ومن ثم حانت اللحظة التي فيها التقويم الجديد.

كانت ناتالي قد اسـتأنفت العمل منذ أشـهر عـدة، وكان أن اسـتثمرت ذلك بطريقة اعتبرها البعض مفرطة. يبدو أن الزمن يسـتعيد مجراه، كل شيء كان يبدأ من جديد: رتابة الاجتماعات، والمظهر العبثي للملفات التي رقّمتها كما لو أنها لم تكن سوى تركة مـن مواد لا أهمية لها، فضلا عن ذلك المرتبة العالية من العبثية، إذ ستخلدنا الملفات. أجل، ذلك ما حدّثت به نفسها وهي تؤرشف الوثائـق، بحيث إن كل هذه الأوراق التالفـة تتفوق علينا في كثير مـن النواحي، كما أنها لم تكن معرضة للمرض أو للشـيخوخة أو للحادث، أي ملف لم ينقلب قط وهو يعدو في يوم الأحد.

25

تعريف كلمة «رقـــة» حســـب معجم لاروس، لأن كلمة «رقـــة» لا تكفي لكي تفهم الرقة.

صفة.. دقيق، رقة، رقيق، مرهف..:Délicat (e)

1 - ذو رقة عالية، لذيد، مرهف، وجه ذو ملامح دقيقة، عطر لطيف.

2 - من تبدو عليه الهشاشة، صحة واهنة.

3 - صعوبة الإدارة، خطر، حالة خطرة، عمل خطر.

4 - من يبدي شعورا عاليا، أو رقة. رجل رقيق، التفاتة حسنة.

التحقيري: صعوبة الإرضاء، تكره.

26

كان شـــارل منذ عـــودة ناتالي، في مزاج رائـــق، حتى إنه كان يستمتع بدروسه الســـويدية، كان هناك شيء ما قد نسج بينهما علـــى درجة من الثقـــة والاحترام، ولقد وســـعت ناتالي الفرصة لكونهـــا كانـــت تحت إمرة رجل متســـامح معهـــا، ولكنها لم تكن مغفلة، فلقد شـــعرت جيدا بأنها كانت تنال إعجابه، فتركته يقوم بتلميحاتـــه الرقيقة إلى حد ما. لم يذهب بعيدا أبدا، لأنها كانت قد أنشأت مسافة بدت له عقبة كأداء. لم تدخل في لعبته، لأنها وبكل بســـاطة غير قادرة على اللعب، فقد كان ذلك فوق قواها. لقـــد احتفظت بكل طاقتها من أجل عملها، وكان قد حاول مرات

عديدة دعوتها إلى تناول العشـــاء، محاولات غير مثمرة يرفضها الصمت. أما هي فلم تســتطع الخروج بكل بســاطة مرة أخرى مع رجــل. لقد وجدت ذلك غير منطقي، فلــو أنها كانت تمتلك الشجاعة لاشتغلت طوال يومها، وهي تركز انتباهها على ملفات عديمة الأهمية، فلماذا لا تمنح نفسها وقتا من الراحة؟ لقد كان ذلـــك مرتبطا بمفهوم المتعة، لم تكن تشــعر بأن من حقها القيام بأي شـــيء مهما كان ســطحيا. كان الأمر هكـذا؛ لم تبـلغ ذلك، ولم تكن متأكدة قط من القوة التي تبلغها من جديد.

قد تكــون الأمور مختلفة هذا المســاء، لقد قبلــت في نهاية المطاف، وذهبا لتناول العشـــاء سوية. استل شارل ذريعة لا يمكن تجنبها، كان له أن يحتفل بمناسبة ترقيتها لأنها أجل حصلت على ترفيع رفيع، وهي ستدير بدءا من الآن، مجموعة تتكون من ستة أشخاص، وإذا ما بررت كفاءاتها هذه بالتقدم المهني تماما، فإنها كانـــت مع ذلك تتمنى: يا ليت أنها لم تحصل على ذلك إشـــفاقا عليها. وللوهلة الأولـــى أرادت أن ترفض، ولكن كان ذلك تعقيدا بعدم قبول الترقية، وبالتالي، وبعد أن اكتشفت اندفاع شارل من أجل إعداد هذه الســهرة، ظننت أنه لم يعجل في ترفيعها المهني وحسب بهدف تناول العشـــاء. كل شيء كان ممكنا، لقد كان من غير المفيد محاولة فهم ذلك. كانت تقول في نفسها إنه كان على حـــق تماما، وإن هذه فرصة مواتية لترغم نفســـها على الخروج، لقد مضت لإعادة العلاقة ربما بنوع من اللامبالاة الليلية.

27

يعد هذا العشاء بالنسبة لشارل مغامرة كبيرة، وكان يعرف أن ذلك قد يكون حاسما. استعد بالتخوف نفسه الذي انتابه في أول موعد له أيام المراهقة، وفي النهاية لم يكن هناك إحساس شديد الغرابة، لقد كان وهو يفكر بناتالي يستطيع أن يتصور إلى حد ما أنها هذه هي المرة الأولى التي يذهب فيها لتناول العشاء مع امرأة، وكأنها كانت تمتلك القدرة العجيبة على تدمير كل ذكريات حياته الشهوانية.

أراد شارل أن يتجنب المطاعم ذات الشموع، بعدم مفاجئتها وبطريقة رومانسية، فقد تظن أنها في غير موضعها. كانت الدقائق الأولى على أحسن ما يرام؛ تناولا الشراب وهما يتبادلان الكلام بعبارات قصيرة، وكانت مدد الصمت القصير التي تحل أحيانا لا تثير أي انزعاج. لقد أحبت أن تكون هنا، لتتناول الشراب. عنّت لها فكرة أنها قد تخرج في وقت مبكر، وأن البهجة كانت تحصل من سير الأحداث، بل كانت تستبد بها رغبة الانتشاء. ومع ذلك، إن شيئا ما كان يربطها ثانية بالحياة الدنيا، ولم تستطع الهرب أبدا من شرطها. كانت تستطيع أن تشرب قدر ما تريد، ولكن لا يغير ذلك من الأمر شيئا، كانت هنا تماما، في غاية الصفاء، وهي ترى نفسها وكأنها ممثلة على خشبة المسرح. كانت ترقب، وهي مشطورة إلى نصفين، بعين مذهولة للمرأة التي لم تعد هي، المرأة التي استطاعت أن تعيش الحياة والإغواء. كانت هذه اللحظة تضع في الضوء الذي

ما يزال شـــديدا، كل تفاصيل عجزها في الوجود. غير أن شارل لم يكن يرى شـــيئا بالمرة، مرتبكا في أول السلّم، يحاول أن يحثها على أن تشـــرب، لكي يقترب إلى قليل من الحياة معها، لقد كان مسحورا، كان يرى أنها روسية، ولم يكن يعرف حقا ما يعني ذلك، ولكنه كان هكذا، ففي قرارة نفســـه هي ذات قوة روســـية، وذات حزن روسي، ولقد سافرت أنوثتها من سويسرا إلى روسيا.

سألت:

- إذن.. لم هذه الترقية؟

- لأنـــك قمت بعمـــل رائع.. ووجدتكِ رائعـــة، هذا كل ما في الأمر.

- هذا كل ما في الأمر؟

- لماذا تسألينني ذلك؟ هل تشعرين أن هناك أمرا آخر؟

- أنا؟ لا أشعر أبدا.

- وإذا ما وضعت يدي هنا، ألا تشعرين بشيء؟

لا يعرف كيف تجرأ، فقال في نفسه إن كل شيء كان يمكن مواجهته هذا المســـاء، كيف باستطاعته أن يكون بعيدا جدا عن الحقيقة؟ كان وهو يضع يده على يدها، يتذكر في الحال اللحظة التي وضعها فيها علـــى ركبتها. حدقت فيه بالطريقة ذاتها، غير أنه لم يســـتطع إلا أن يتراجع، كان يكفي له أن يهاجم حائطا، وأن يعيش دوما في الأشـــياء التي لا يستطيع البوح بها، كان يريد أن يوضح الأمور.

- لم أكن لأعجبك، أليس كذلك؟

- ولكن.. لماذا تسألني هذا؟!

- وأنتِ لماذا تطرحين أسئلة عديدة؟ ولماذا لا تردين قط؟

- لأنني لا أعرف..

- ألا تعتقدين بأنه يجب أن تتقدمي، لم أطلب منك نسيان فرانسوا.. ولكن لا تذهبي فتسجني نفسك طوال حياتك.. أنت تعرفين إلى أي مدى يمكن أن أكون هنا من أجلك..

- ولكنك متزوج..

اندهش شارل وهي تنوه إلى زوجته، كان يمكن أن يبدو ذلك جنونا، ولكنه نسيها، فالذي يتناول العشاء مع امرأة أخرى لم يكن رجلا متزوجا، إنه رجل يعيش في لحظته الآنية. نعم، كان متزوجا، لقد كان غارقا فيما يطلق عليه «الحياة الزوجية الهادئة»، لم يقض وطرا مع زوجته، وعندئذ كان مندهشا لأنه كان صادقا في ميله حيال ناتالي.

- ولكن زوجتي، لماذا تكلمينني عنها؟ إنها ظل!

وكادا يتماسّان.

- لا يبدو هذا كذلك.

- لأنها راهنت على المظهر، عندما تأتي إلى المكتب، كان ذلك من أجل التباهي فقط، ولكن لو كنت تعرفين كم كانت مثيرة للشفقة، لو كنت تعرفين..

- وعندئذ اتركها.

- من أجلك، أتركها على الفور.

- ليس من أجلي.. وإنما من أجلك أنت.

كان هناك بياض، زمن لاستعادة الأنفاس مرات عديدة، وتناول جرعات عديدة. كانت ناتالي مصدومة من تنويهه إلى فرانسوا، ومن أنه يحاول تحريف السهرة، بسرعة جدا وبقليل من التباهي باتجاه ساذج، فانتهى بها المطاف معلنة رغبتها بالعودة إلى منزلها. شعر شارل بأنه ذهب بعيدا جدا، وأنه أضاع السهرة

بتصريحاتــه. ماذا يفعل ليفهم بأنها ليســت اللحظة المناســبة؟ ولأنها لم تكن على أهبة الاســتعداد، ينبغي عليه أن يتقرب منها بلطف وبالتدريج، ثم يمضي إليها مثل مجنون بمنتهى الســرعة، محاولا الإمساك بسنوات الشــوق ثانية بدقيقتين. كل ذلك كان بســبب بداية الســهرة، وكانت مدخلا جيدا، يدعو إلى التفاؤل، وهو الذي دفعه إلى الثقة بالرجال المتعجلين.

ثم اســتدرك: بعد كل شــيء، كان من حقــه أن يبوح بما كان يعتمل في شــعوره، لم يكن ذلك جريمة سوى أنه يكشف عما في قلبه. عندئذ، أجل، كان كل شــيء ثقيلا معها، وهيئتها الجامدة كأرملة عقدت كثيرا من الأمور، ففكر بأنه كان بوسعه أن يستثمر كثيرا من الفرص المواتية لإغوائها ذات يوم لو لم يكن فرانســوا متوفيا. ولما كان قد قتل فقد جمد حبهما. لقد دفعهما في أبدية ثابتة. كيف يخطف أي شــيء كان عند امرأة في هذه الظروف؟ امرأة تعيش في عالم متوقف. حقا، كــان عليه أن يتســاءل لــو لم يكن قد اســتعجل بالانتحار، لكي يطيل من حبهما إلى الأبد. يفكر البعض بأن للوجد نهاية تراجيدية حتما.

28

خرجا من المطعم، وكان الشعور بالانزعاج يزداد قوة، لم يجد شارل الكلمة المناسبة والنكتة، أو حتى الدعابة، التي قد تتيح له أن يســتدرك ما فاته ولو كان قليــلا للتخفيف من التوتر. وعبثا كانا يحاولان، لكنهما كانا غارقين، لقد كان شارل منذ عدة أشهر رقيقا ومجاملا، وكان محترما ومخلصا، ولكن هاهي كل قواه من

أجل أن يكون رجلا طيبا قد تبددت لأنه لم يكن يعرف السيطرة على رغبته. كان جسده مثل هذيان متقطع، فكل عضو منه كان يمتلك قلبا مستقلا بذاته. حاول أن يقبّل ناتالي على خدها، وكانت محاولة أرادها أن تكون وقحة وودية، غير أن رقبتها كانت عنيدة، لقد استمر هذا الوقت الخانق لبضع لحظات أيضا، كتتابع بطيء للثواني المتكلفة.

وفجأة ابتسمت له ناتالي ابتسامة عريضة. كانت تريد منه أن يفهم أن كل ذلك لا يشكل خطرا جسيما. كان يريد أن ينسى تلك السهرة بالفعل، وهذا كل ما في الأمر. قالت إنها تريد أن تتمشى قليلا، وتمضي على وفق هذه النغمة العذبة. استمر شارل يراقبها، متابعا إياها من ظهرها، لم يستطع الحراك، كان متسمرا من جراء خيبته. كانت ناتالي تبتعد، وأصبحت صغيرة شيئا فشيئا في مركز مجال رؤيته، ولكنه كان هو من ينهار، وهو الذي يتصاغر في الحال، وعندئذ توقفت ناتالي، واستدارت نصف دورة.

كانت تمشي باتجاهه، هذه المرأة التي كانت قبل لحظة قد تلاشت من مجال رؤيته، وأخذت تكبر كلما اقتربت منه. ماذا تريد؟ كان ينبغي عليه ألّا يتسرع، بالتأكيد نسيت مفاتيحها، أو وشاحها، أو واحدا من الأشياء العديدة التي درجت النساء على نسيانه، ولكن لا، ليس الأمر كذلك، ظهر ذلك من الطريقة التي تمشي بها، إذ يشعر المرء بأن الأمر ليس قضية مادية، إنها عادت إليه لتكلمه، لتخبره ببعض الأمور. كانت تمشي بطريقة رشيقة، مثل بطلة الفيلم الإيطالي عام 1967، وكان يريد أن يتقدم، هو أيضا، نحوها، وفي انسياقه الرومانتيكي كان يفكر بأنه ينبغي

أن تمطر، وأن كل الصمت في نهاية وجبة الطعام لم يكن سوى ارتباك. كانت تعود ليس من أجل أن تتكلم، وإنما من أجل أن تقبّله، لقد كان ذلك مذهلا حقا؛ في الوقت الذي فيه رحلت، كان لديه شعور مسبق بأن عليه ألا يتحرك، منذ أن عادت للتو، لأنه من الواضح أنها كانت هنالك بعض الأمور العفوية والبسيطة بينهما، أمور قوية وهشة، وهكذا كان منذ البداية. كان عليه أن يفهمها حتما، ليس بالأمر الهين بالنسبة لها أن تعترف بشعورها بأن زوجها قد توفي منذ عهد قريب، كان ذلك أمرا مريعا، ومع ذلك، كيف تقاوم؟ قصص الحب كانت في الغالب قصصا لا أخلاقية.

كانت على مقربة منه الآن تماما، عصبية ورائعة، وهو تجسيد مثير للأنوثة التراجيدية، ها هي حبيبته ناتالي:

- اعذرني لم أستطع الرد في الحال.. إنني مضطربة.
- نعم أفهم ذلك.
- إنه من الصعوبة أن أنطق بكلمات عما أشعر به.
- أعرف ذلك يا ناتالي.
- لكنني أظن أنني أستطيع أن أرد عليك: أنت لم ترق لي، بل أظن أنني لم أكن مسرورة بطريقتك التي تحاول فيها إغرائي، إنني متأكدة من أنه لن يكون هناك أي شيء بيننا، ربما لأنني لم أكن قادرة على محبة أحد بكل بساطة، لم أكن أفكر بذلك يوما ما أبدا، وأعرف أنه قد لا تكون أنت.
- .....
- لم أكن أستطيع العودة ثانية هكذا، وأفضل أن يكون محددا.
- إنه محدد، لقد قلت ذلك، نعم إنه محدد، إذا ما كنت قد

سمعت ذلك، فذلك هو أنك قلته، لقد قلته، نعم.

راقبت ناتالي شارل الذي انتابته حالة الشهقة، كلمات معلقة، وقد التهمها الصمت بشكل تدريجي، كلمات كعينَي محتضر، رسمت شارة تودد، مربّتة بيدها على كتفه، ثم استدارت حيث أتت، انطلق ثانية نحو ناتالي الصغيرة جدا، أراد شارل البقاء واقفا، ولم يكن ذلك بالسهل، لم يحتمل ذلك، ولا سيما النبرة التي كانت تتكلم بها، كان عليه أن يعترف بواقع الحال ببساطة متناهية، ومن دون أدنى إساءة: لم يكن يروقها، ولن يروقها أبدا. لم يُصب بأي غضب، كان ذلك مثل نهاية غير متوقعة لأمر كان يتوقد فيه منذ سنوات عديدة، نهاية احتمال، كانت الأمسية تتخذ مسار تيتانيك؛ في البدء الاحتفال، ثم تموت غرقا. لقد كانت للحقيقة مظهر جبل الجليد في الغالب، وكانت ناتالي في ميدان رؤيته دائما، ثم إنه كان يريد أن يراها وهي تنطلق بأقصى سرعة ممكنة، حتى إن النقطة الصغيرة التي كانت هي، كانت تبدو له لا تحتمل بشكل لا حدود له.

29

مشى شارل قليلا، حتى موقف السيارات، وفي الحال، صار في سيارته، دخن سيجارة، فما كان يشعر به كان متطابقا تماما مع أضواء النيون ذات اللون الأصفر العدواني. انطلق، فتح المذياع، كان المذيع يتكلم عن سلسلة غريبة من الألعاب الرياضية المتعادلة في ذلك المساء، والتي كانت تخلق وضعا راهنا في تصنيف الدوري الأول. كل شيء كان متماسكا، لقد كان مثل

ناد خســر البطولة بالنقاط، كان متزوجا، ولكنه كان يشعر بفراغ هائل.

وحــده كان حلم ناتالــي من يمتلك القدرة علــى أن يبث فيه الحيــاة، كل هذا كان قد انتهى، محطما، ومدمرا، مســلوبا. كان بإمكانــه تقييد المترادفات، غير أن هذا لــم يعد يغير من الأمر شــيئا، عندئذ أخذ يفكــر بأن هناك بعض الأمور الســيئة التي يمكــن أن ترفضها امرأة يحبهــا؛ كان عليه أن يلتقي بها كل يوم، ويجد نفســه في كل لحظة إلى مقربة منها، في الرواق، لم يفكر بالرواق مصادفة، كانت جميلة في المكاتب، لكنه كان يفكر دائما بأن شبقه كان يتسع بقوة متزايدة في الأروقة، نعم، في ظنه، إنها كانت امرأة رواق، والآن، فقد أدرك أن عليه أن يعيدها أدراجها.

مقابــل ذلك، من أجل أن يعود إلى بيته، عليه ألا يعود على أعقابه. كانت سيارة شــارل تسير في طريقها المعتاد كل يوم، ربما يعتقد المرء أن المسافة بالمترو متطابقة. توقف في المرآب، ودخن ســيجارة للمرة الثانية في موقف الســيارة الذي يعود للعمــارة التي يقطن فيها، وما إن فتح باب بيته، لاحظ زوجته، تجلــس أمام التلفاز، ليس ســوى لورنس التــي كانت في ذات يوم قد توقدت بنوع من الجنون الجســدي، كانت تتسل ببطء ولكن في أنموذج برجوازي مكتئب، وما يثير الغرابة، أن شارل لم تؤثر فيه هذه الصــورة، فتقدم ببطء نحو التلفاز، وأطفأه. عبرت زوجتــه عن احتجاجها، من دون قناعــة كبيرة، اقترب منها، واحتضنها بقوة بين ذراعيه، أرادت أن تقاوم، ولكن لم يند من فمها أي صوت، والحقيقة كانت تحلم بهذه اللحظة، تحلم أن يلامســها زوجها، وتحلم أن يتوقف عند مروره بقربها كما

لو أنها لم تعد موجودة. لقد كانت حياتهما ترويضا يوميا على الانزواء، ومن دون أن يتبـادلا أية كلمة، اتجها نحو غرفتهما، كان السرير معدا، وفجأة صار ممتعا، قلب شارل لورنس. لقد منحه رفض ناتالي الرغبة بممارسـة الحـب مع زوجته، وأن يحتضنها بعنف إلى حد ما.

30

نتائـج الدوري الأول في اليوم الذي فيه أدرك بأنه لن يعجب ناتالي أبدا:

أوكسير - مارسيليا: 2-2

* * *

لنس - ليل: 1-1

* * *

تولوز - سوشو: -1 0

* * *

باريس سان جرمان - نانت: 1-1

* * *

غرينوبل - لاهانس: 3-3

* * *

سانت إثيان - ليون: 0-0

* * *

موناكو - نيس: 0-0

* * *

رينس – بوردو: 1-0

* * *

نانسي – كاين: 1-1

* * *

لوريان – لوهافر: 2-2

31

بعد هذا العشاء، لم تكن العلاقات هي ذاتها، فقد بقي شارل بعيدا، وهذا ما أدركته ناتالي بالطبع، أصبح التعامل فيما بينهما، وهـو نادرا ما يحدث، تعاملا مهنيـا صرفا. وكانت تتطلب إدارة ملفاتهمـا الخاصة قليلا من التداخل. لقـد صارت ناتالي، منذ ترقيتها، تدير مجموعة من ستة أشخاص، (وهي منذ أن تسلمت مهامها الجديدة، اشـترت ثلاثة أزواج من الأحذية)، اسـتبدلت مكتبهـا، وهذا ما جلب لها منفعة أكبر. كيف أنها لم تفكر بذلك في السابق؟ هل يكفي تغيير الديكور لتغيير الحالة الروحية؟ كان عليها، ربما أن تنوي تغيير المسـكن، ولكن بالكاد كانت تستحضر هذه الإمكانية التي تنطوي على أنها قد لا تمتلك الشجاعة. في الحـزن قوة متناقضـة، قوة مطلقة تدفع بقـدر ما نحو ضرورة التغيير بقدر ما هو نحـو رغبة مرضية في الإخلاص للماضي. ولهذا، فإنها تركت لحياتها المهنية مهمة أن تتجه نحو المسـتقبل، يبدو مكتبها الجديد، في الطابق الأخير من البناية، وكأنه يلامس السـماء، وهي كانت مغتبطة بعدم شعورها بالخوف من الفراغ. وها هو الفرح العام الذي كانت تحسبه بسيطا.

كانت الأشــهر التالية ما تزال موسومة بشراهة الاندفاع إلى العمل، وكانت أيضا تتردد بأن تأخذ دروســا في الســويدية، في الحالة التي ستضطلع فيها بمهام جديدة. لم يكن بوسعنا إلا القول بأنها كانت طموحة. كانت تحاول أن تتناسى الملفات وحسب، كان محيطها مســتمرا في قلقه، عادا طريقتهــا المفرطة في العمل تشــبه صيغة الانهيار، وهذه النظرية تزعجهم إلى أبعد حد، أما بالنســبة لها، فإن الأمور كانت بسيطة، فقد كانت تريد أن تعمل كثيرا وحسب من أجل ألا يراودها التفكير بأنها تعيش في وسط الفراغ. هناك من يكافح من يســتطيع، أما هي فكانت تتمنى من مقربيها، بدلا من إعداد النظريات المشــهورة، العمل على دعمها فــي معركتها. لقد كانت فخورة بما وصلــت إلى تحقيقه. كانت تمضــي وقتها في المكتب حتى في عطلة نهاية الأســبوع، وتأخذ العمل إلى بيتها، كانت تنسى ساعات الدوام، وربما هناك لحظة ستنهار فيها من الإعياء حتما، ولكن في هذا الوقت فإنها لم تكن تتقدم إلّا بفضل هذا الأدرينالين السويدي.

لقد كانــت طاقتها تؤثر في كل الناس، ولأنها لم تعد تبدي أي نقطــة ضعف، فــإن زملاءها أخذوا ينســون ما كانت قد عاشته، وأصبح فرانســوا مثل ذكرى بالنسبة للآخرين، وربما أصبح أيضا الشــيء نفســه بالنســبة لها. لقــد جعلت منها ســاعات حضورها الطويل غير مشــغولة، ولا سيما بالنسبة لأعضاء مجموعتها. كانت كلوئه (Chloé) وهي الأخيرة التي وصلت تتمتع بالشــباب أيضا، كانت تحب أن تكشف عن قلبها لناتالي على وجه الخصــوص، وبخاصة همومها مع خطيبها، وقلقها المســتمر، لقد كانت غيورة بشــكل مرعب، وهي تعرف

أن ذلك كان لا جدوى منه، ولكنها لم تستطع السيطرة على نفسها، فتتصرف بشكل منطقي؛ كانت حكايات كلوئه الملونة بعدم النضج، قد أتاحت لناتالي الارتباط ثانية بعالم مفقود، عالم ينتمي إلى شبابها، وعالم ينتمي إلى خشيتها من عدم العثور على رجل تعيش معه عيشة هانئة، كان هناك في كلمات كلوئه ما يشبه التعبير عن ذكرى تتسج ثانية.

32

مقتبس من سيناريو فيلم لرقة.

مشهد 32: في داخل حانة.

ناتالي وكلوئه تدخلان حانة، وهذه ليست المرة الأولى التي يرتادان فيها هذا المكان. ناتالي تسير وراء كلوئه، تجلسان في زاوية على مقربة من نافذة.

في الخارج هناك إمكانية لسقوط المطر.

كلوئه بطريقة عفوية: كيف الحال؟ هل أنت بخير؟

ناتالي: نعم بالتمام.

تحدق كلوئه بناتالي.

ناتالي: لِمَ أنت تحدقين بي هكذا؟

كلوئه: وددت أن تكون علاقاتنا أكثر توازنا، وأتمنى أن تحدثيني كثيرا عنك، الأمر طبيعي، لأنني لم أتكلم إلا عن نفسي.

ناتالي: ما الذي تريدين معرفته؟

كلوئه: لقد توفي زوجك منذ وقت طويل.. و.. و.. هذا ما يضايقك عندما يتكلم أحد عن ذلك؟

تبدو ناتالي مندهشة، فما من أحد يتناول الموضوع وفق أسلوب المواجهة أيضا. تمضي برهة، ثم تستأنف كلوئه.

كلوئه: حقا.. أنت شابة، وجميلة.. انظري إلى ذلك الرجل الذي يقف هناك، إنه لم يتوقف عن التحديق بك منذ أن دخلنا الحانة.

تلتفت ناتالي وتلتقي نظراتها بنظرة الرجل الذي يحدق بها.

كلوئه: حقا إنه لا بأس به. من وجهة نظري هذا عقرب، وبما أنك سمك، فهذه فكرة خيالية.

ناتالي: إنني بالكاد أراه، وأنت دائما ما تمارسين النبوءات.

كلوئه: آه، ولكن علم التنجيم مهم، إنه مفتاح المشكلة مع رفيقي.

ناتالي: عندئذ، لا قيمة له، أليس كذلك؟ فهو لن يستطيع أن يغير من البرج.

كلوئه: كلا، سيكون الثور دائما هذا الأبله.

مقطع على الوجه من دون أن ينم أي تعبير من ناتالي.

قطع..

33

كانت ناتالي تجد من المضحك أن تكون هنا، وعلى وفق هذا النمط من النقاش مع فتاة ما تزال في ريعان الشباب، ولا سيما أنها ما زالت لم تعش اللحظة الراهنة. إن الألم ربما هو هذا طريقة مستمرة بأن تكون منقطعا عن الزمن الحاضر، كانت تنظر إلى مجاملة البالغين بلا مبالاة، وكانت قادرة على القول:

- إنني لم أكن هنا.

وكانت كلوئه تحاول، وهي تحدثها عنه بقدرة الزمن الحاضر الجريئة، أن تذكرها، وأن تدفعها إلى التفكير:

- إنني هنا.

ولم تتوقف عن الحديث لها عن هذا الرجل، وها هو قد يفرغ كأسه تماما، وكنا نشعر بأنه كان يتردد في القدوم نحوها، ولكن ليس العبور من النظرة إلى الحديث، من العين إلى الكلمة.. بالأمر الهين. كان يشعر، بعد يوم طويل من العمل، في هذه الحالة من الراحة التي تدفعك أحيانا إلى الإقدام، ويعد التعب أحيانا في مركز المواجهة، كان مستمرا في مراقبة ناتالي، وبصراحة: ما الذي كان عليه أن يفقده؟ لا شيء، ربما ما عدا بعضا من جاذبية كائن مجهول.

دفع ثمن كأسه، وغادر مركز المراقبة، تقدم بخطوة قد تكون الخطوة الجريئة، وكانت ناتالي على بعد بضعة أمتار منه؛ ثلاثة أو أربعة ليس أكثر، فأدركت أن هذا الرجل قادم ليلتقي بها، فاستوقفتها فكرة غريبة على الفور: إن هذا الرجل الذي تقدم نحوي، ربما سيموت مدهوسا في خلال سبع سنوات، هذه اللحظة كانت تعكرت صفوها بشكل لا مناص منه، وتزيد من تعبها. كل شخص يدنو منها سوف يذكرها حتما بلقائها مع فرانسوا، ومع ذلك، فإن ذلك الرجل لا علاقة له بزوجها، كان يتقدم بابتسامته المسائية، بابتسامته التي تنتمي إلى العالم البسيط، ولكنه توقف وبقي صامتا أمام الطاولة، كانت لحظة معلقة، ثم قرر أن يدنو منهما، ولكنه لم يدّخر في جعبته أدنى عبارة للهجوم، ربما كان متأثرا وحسب، كانت

الفتاتان تعدان هذا الرجل، وهما في غاية الدهشة، متسمرا مثل علامة تعجب.

وأخيرا، أفلت، من دون إيحاء:

- مسـاء الخير.. هل أسـتطيع أن أسمح لنفسي وأقدم لكما كأسا؟

قبلت كلوئه، فجلس قريبا منهما يتملكه شعور بأنه قطع نصف الطريـق، وما إن جلس حتى فكرت ناتالي بأنه أبله؛ «اقترح عليّ كأسـا فيما كان كأسـي مملوءا إلى حد ما!»، ومن ثم، على حين غرة غيّرت من رأيها، قالت في نفسها إن تردده في لحظة اقترابه منهما كان مثيرا للعواطف، ولكن عادت العدوانية تستجمع قواها ثانية، واستولت عليها حركة مستمرة لأمزجة متناقضة، لا تدري بماذا تفكر بكل بسـاطة، فكل حركة مـن حركاتها كانت تخضع لإرادة متناقضة.

أخذت كلوئه الحديث علـى عاتقها، وهي تكثر من الحكايات الإيجابية حول ناتالي، مبينة مؤهلاتها، وليتبين من السماع إليها أنها امرأة معاصـرة ومتألقة وهزلية ومثقفة وديناميكية ودقيقة وسـخية وحازمة.. كل ذلك في خمس دقائـق، بحيث إن الرجل لم يكن لديه سـوى سؤال وحيد يدور في رأسه، وهو: وما العيب الذي فيهـا؟ لقد حاولت ناتالي خـلال كل خطاب من خطابات كلوئه الغنائية المحلقة الإعراب عن ابتسامات تنم عن التصديق، ملطفـة وجنتيها، وعندئذ بـدت من خلال قهقهـات قليلة أنها طبيعيـة، ولكن هذه الطاقة قد أنهكتها، ما الفائدة من السـعي نحو الشهرة؟ ما الفائدة من بذل قواها لتبدو اجتماعية ولطيفة؟ ومن ثم ما الذي سـيكون التالي؟ موعـد آخر؟ ضرورة أن تكون

على اطلاع بالسر أكثر فأكثر؟ وفجأة بدا كل ما كان بسيطا وشفافا في يوم نحس، لقد أدركت، من خلال الحديث التافه أن دوامة حياتيهما مخيفة معا.

لقد اعتذرت، ونهضت للذهاب إلى دورة المياه، وأمام المرآة لاحظت زمنا طويلا مرتسما على كل تفاصيل وجهها، مررت قليلا من الماء على خديها، هل وجدت نفسها جميلة؟ هل لديها فكرة حول نفسها؟ حول أنوثتها؟ كان عليها أن ترتقي ثانية، وكان هذا يتطلب دقائق عديدة من أجل أن تكون هناك، ثابتة في تأملها، في حركة رؤاها. وعندما عادت إلى طاولتها، أمسكت بمعطفها، دعت شيئا ما، ولكنها لم تألُ جهدا في أن تبدو جديرة بالتصديق، تلفظت كلوئه بعبارة لم تكن قد سمعتها، هي الآن في الخارج، وفيما بعد تساءل الرجل وهو نائم، فيما لو كان أخرقَ.

34

أبراج أعضاء مجموعة ناتالي

* * *

كلوئه: الميزان

* * *

جان - بيير: الحوت

* * *

البير: الثور

* * *

ماركوس: العقرب

* * *

ماري: العذراء

* * *

بنوا: الجدي

35

فـــي صباح اليوم التالي، اعتذرت بســرعة من كلوئه، من دون الدخــول في التفاصيل، وفي المكتب كانت مديرتها، وكانت امرأة قوية. لقد أوضحت أنها لم تكن تشــعر بأنها قادرة على الخروج في الوقت الحاضر.

همست زميلتها الشابة:

- يا لَلخسارة.

لقد كان ذلك كلّ ما في الأمر، كان ينبغي أن يذهب إلى شيء آخــر. بعد تبــادل الكلمات هذه، بقيت ناتالي فـــي الرواق برهة من الوقت، ثم عـــادت إلى مكتبها، كل الملفات بدت لها في نهاية المطاف ضمن اهتمامها اليومي؛ من دون أدنى اهتمام.

لم تكن بعيدة عن العالم الحسي بشكل كامل أبدا، ولم تتوقف عــن كونها أنثى، بما في ذلك اللحظــات التي تمنت فيها الموت، ربما كان ذلك إكراما لفرانسوا، أو بكل بساطة للفكرة التي يكفي أن تتجمــل أحيانــا لتبدو بكامل حيويتها. لقــد توفي منذ ثلاث سنوات، وثلاث ســنوات كافية لتفتيت حياة في الفراغ، لقد كان هناك من اقترح عليها أنْ تنفصل عن الذكريات، وتلك كانت ربما

هي الطريقة المثلى للتوقف عن العيش في الماضي. لقد فكرت ثانية بالتعبير: «أن تنفصل عن الذكريات»، كيف يمكن للمرء أن يغادر ذكرى واحدة؟ من أجل هذه الغايات، وافقت على الفكرة، لم تكن تحتمل حضور هؤلاء الذين يهتم بهم، وعند ذاك، لم يعد يبقى لديها شيء مهم، ما عدا هذه الصورة المرتبة في الدرج الكبير في مكتبها، صورة بدت مفقودة، كانت تتطلع إليها أحيانا، وكأنها تريد أن تقنع نفسها بأن هذا التاريخ كان موجودا بالفعل، في الدرج، هنالك أيضا مرآة، تتناولها كي تتمرى فيها، كما قد يفعل ذلك رجل يراها للمرة الأولى. نهضت وأخذت تمشي، ذهابا ومجيئا في مكتبها، ويداها على وركيها، وبسبب الموكيت لم يسمع أحد صوت كعبيها المدببين، الموكيت، هو قتل للشهوانية، ولكن من ذا الذي ابتكر الموكيت؟

36

طرق الباب شخص ما بصرامة، وبإصبعين لا أكثر. قفزت ناتالي، وكأن هذه الثواني الأخيرة جعلتها تظن بأنها كانت تستطيع العيش وحيدة في العالم. قالت:

- ادخل.

دخل ماركوس، وكان أحد الزملاء، وهو يعود أصله إلى أوبسالا، المدينة السويدية التي لم تستهوِ أناسا كثيرين، حتى سكان أوبسالا كانوا منزعجين، ذلك أن اسم مدينتهم يرن مثل اعتذار تقريبا، في السويد تعد نسبة الانتحار هي الأعلى في العالم، وكان البديل للانتحار هو الهجرة إلى فرنسا. هذا ما

كان على ماركوس التفكير به. لقد حبُي بجسد حريّ به أن يكون جســـدا بغيضا، ولكن لم يســـتطع أحد أن يقول كذلك بأنه كان قبيحا، إنه يمتلك طريقة خاصة بارتداء ملابســـه، لا أحد يعرف إن كان قد استرجع أموره في بيت جده في أيموس، أو في أسمال على الموضة. كان الجميع يشكلون مجموعة متجانسة إلى حد ما.

قال:

- جئت أقابلك من أجل الملف رقم 114.

بالإضافـــة إلى ذلك أكان ينبغي عليه فـــي ظهوره الغريب أن يتلفـــظ بعبـــارات بليدة؟ لم تكن لـــدى ناتالي أيـــة رغبة بالعمل هـــذا اليوم، وهذه هـــي المرة الأولى منذ زمـــن طويل. لقد كانت تشعر وكأنها يائسة، ربما تستطيع القيام برحلة إلى أوبسالا في العطلة، وهذا متفق عليه. حدقت بماركوس الذي لم يتحرك، أما هـــو فكان يتطلع إليها بإعجاب، فبالنســـبة له كانت ناتالي تمثل لـــه هذا النوع من الأنوثة التي مـــن الصعوبة بمكان النفاد إليها، والمزدوجة الخيـــال الذي يطوره البعض فيمـــا يتعلق بكل رئيس مباشـــر، بكل كائن في موقع يهيمن عليهم. لقد قررت عندئذ أن تســـير نحوه، أن تســـير على مهل، حقا على مهل، بحيث يتصور البعض أن بوســـع المرء أن لديه متســـعا من الوقت لقراءة رواية خلال هذا المســـيرة، يبدو أنها لا تريـــد أن تتوقف، حتى وجدت نفســـها على مقربة جدا من وجه ماركوس، قريبة جدا حتى كاد أنفاهما يتلامسان، انقطعت أنفاسه، ما الذي تريده منه؟ لم يعد لديه متسع من الوقت لصياغة هذا السؤال في رأسه بالتفصيل، لأنها شـــرعت تقبّله بعنف، قبلة طويلة قوية، بقوة المراهقة هذه، ومن ثم تراجعت فجأة:

- بالنسبة للملف 114، سنرى فيما بعد.

فتحت الباب واقترحت على ماركوس أن يخرج، كم كان ذلك صعبا، لقد كان هو آرمسترونغ على القمر، وهذه القبلة كانت خطوة كبيرة بالنسبة لإنسانيته، بقي برهة من الزمن ثابتا لا يتحرك أمام باب المكتب. أما ناتالي، فقد نسيت تماما ما حدث للتو، إن عملها ليس له أي علاقة مع تتابع الأحداث الأخرى التي مرت في حياتها، وهذه القبلة، كانت الإعلان عن فوضى مفاجئة في أعصابها، هي ما يمكن أن نطلق عليه: الفعل المجاني.

37

ابتكار الموكيت

يبدو من الصعوبة بمكان أن تعرف من الذي ابتكر الموكيت، فحسب معجم لاروس، فإن الموكيت ليس سوى «سجادة تباع بالمتر»، وهذا التعبير يبرر الطبيعة البائسة لوجوده.

38

كان ماركوس رجلا دقيقا، وكان يحب العودة إلى بيته في الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة بالضبط. كان يعرف توقيتات المترو مثلما يعرف الآخرون عطور زوجاتهم المفضلة، لم يكن سعيدا بهذا العمل اليومي، ولكنه توصل إلى قناعة بأن يكون صديقا مع هؤلاء الغرباء الذين كان يلتقي بهم كل يوم. في ذلك المساء كانت تتملكه رغبة بالصراخ، وأن يحكي قصة حياته

لـكل الناس؛ حياته مع شـفتَي ناتالي المطبوعتين على شـفتيه، أراد أن يقـف وينـزل في أول محطة قادمـة، هكذا، تماما لكي يشعور بالتخلي عن العادة، أراد أن يكون مجنونا، وكانت تلك هي التجربة التي لم تتحقق.

وبينما هو يسير باتجاه مسكنه، كانت صور طفولته السويدية تتراءى أمامه في غاية السـرعة. الطفولة في السـويد تشـبه الشيخوخة في سويسـرا، ولكنه في الحال، فكر بتلك اللحظات التـي كان يحاول فيها وهو في آخر الصف تماما أن يتأمل ظهر الفتيات. وظل خلال سـنوات عديدة، معجبا بقفا رقبة كرستينا وبيرنيلا وجوانا، وبعض الفتيات الأخريات في الشـعبة، من دون أن تكـون لديه القدرة علـى أن يهمس حرفا آخر. لم يكن يتذكر وجوههـن، كان يحلم باللقـاء بهن، ليقول لهـن إن ناتالي قبّلته، ليقـول لهن إنه لم يكن قد عـرف معاينة جمالها، آه.. لقد كانت الحياة عذبة.

ذات مـرة وأمـام بيته، تردد. لقـد اجتاحتنا أرقـام للحفظ؛ الحاسـبات والاتصـال بالانترنت والبطاقـات المصرفية.. حتما، هناك لحظة فيهـا يختلط الحابل بالنابل، يحاول المرء العودة إلى بيته باستخدام رقم تلفونه، أما ماركوس فكان يشعر، حيث كان عقله منظما بشكل متكامل، بأنه في مأمن عن هذا النوع من الانحراف، ومع ذلك ما حدث له ذلك المسـاء كان حسـنا. من المسـتحيل أن يتذكر الرمـز، حاول تدابير عديدة، ولكن عبثا، كيف كان بوسـع المرء أن ينسـى في المسـاء ما كان يعرفه في الصباح على الوجه الأكمل؟ هل سـتدفعنا وفرة المعلومات بالضرورة نحو النسـيان؟ وأخيـرا.. وصـل أحـد الجيران ووقف أمـام الباب، كان بوسـعه

أن يفتحه في الحال، ولكنه سـيفضل الاستمتاع بهذه اللحظة من الهيمنة الواضحة، في نظره. بالوسـع القـول إن تذكر الرمز كان علامة على الرجولة، وأخيرا أسرع الجار، وأعلن بفخامة:

- أتوسل إليكم، بعدكم.

فكر ماركوس:

- يـا لك من أبله صغير، إذا كنت تعرف ما يدور في رأسـي، فإن لديّ مـن الأمور أجمل من تلك التي تمسـح المعطيات غير المفيدة.. تسلّق على السلم.

ونسـي في الحال العائق المؤسـف، لقد كان يشعر دائما بأنه خفيف. كان مشهد التقبيل يمر منعطفا في رأسه، لقد كان فيلما خالدا في ذكرياته، وأخيرا فتح باب شقته ووجد الصالة صغيرة جدا أمام رغبته في الحياة.

39

رمز دخول بيت ماركوس
A9624

40

في صباح اليوم التالي استيقظ مبكرا، مبكرا جدا، بحيث إنه لم يكن متأكدا من أنه نام بالفعل. انتظر شـروق الشـمس بفارغ الصبر، فهو على موعد مهم، ما الذي يحدث اليوم؟ كيف سيكون موقف ناتالي؟ أما بالنسبة له فما الذي كان يجب عليه أن يفعله؟

من كان يعرف كيــف يتصرف عندما تقبّله امرأة جميلة من دون أن تقدم أدنى ســبب؟ كانت الأســئلة تنهال عليــه، وتلك لم تكن علامة جيدة وحســب، كان عليه أن يتنفس بهــدوء (...) و(...) هكذا (...) على أحســن ما يرام (...)، ويقول في نفسه إن ذلك النهار هو ككل النهارات الأخرى بكل بساطة.

كان ماركوس يحب القراءة، وتلك كانت نقطة جميلة مشتركة مع ناتالي، لقد استخدم مساراته اليومية بحسب توقيتات المترو من أجل إشــباع هذه الغريزة، لقد اشترى منذ عهد قريب عددا من الكتب، وكان عليه أن يختار الكتاب الذي ســيرافقه في ذلك النهار، وكان هناك كاتب روســي أحبه حبا جما، كاتب كان يقرؤه بصفاء أقل من تولســتوي، أو دستويفســكي، من دون أن نعرف لمــاذا، ولكن الكتاب كان ضخما جدا. كان يريد نصا بوســعه أن يأخــذ منه من هنــا أو هنــاك بحســب رغــباتــه، لمعرفته بــأنه قــد لا يتمكن من تركيز فكــره، وهكذا عزم علــى اختيار كتاب «مقايسات المرارة» لسيوران.

وصل ذات مرة، وحاول أن يقضي أكثر ما يمكن من الوقت قرب ماكينة القهوة، ولكي يبدو ذلك طبيعيا شــرب منها كثيرا، وخلال ساعة بدأ يشعر بالانتباه تقريبا، قهوة سوداء وليلة بيضاء، لم يكن ذلك خلطة جيدة. ذهب إلى المغاســل، فرأى نفسه مكفهرا ثم عاد إلــى مكتبه، أي اجتماع مع ناتالي لم يكن متوقعا اليوم، ربما وجب عليه الذهاب إلى رؤيتها بكل بساطة؟ باستخدام حجة الملف 114، ولكن ليس لديه أي شــيء يقوله حول الملف 114. قد تكون بلادة، لم يكن يعد باستطاعته أن يترك نفسه يتحلل بسبب التردد، وبعد كل شــيء، كان أن قدم إليها! وهي التي قبّلته، وليس من حق أحد

أن يتصــرف هكذا من دون أن يقــدّم توضيحا. لقد كان ذلك مثل سرقة شــيء ما والذهاب ركضا، هو ذاك بالضبط؛ فقد انطلقت راكضة بشــفتيها، ومع ذلك كان يعرف أنها قد لا تعود لتلتقي به، فربما نســيت هذه اللحظة، التي لم تكن بالنســبة لها سوى فصل مجاني؟ كان حدســه في محله. إنه يشــعر بظلم مرعب في هذه الاحتمالية؛ كيف أن فصل التقبيل يمكن أن يكون مجانا بالنســبة لها في الوقت الذي يكــنّ لها اهتماما لا يقدر بثمن؟ نعم، باهظة الثمن.. هذه القبلة كانت هنا، تسري في كل مكان من جسده.

41

مقتبس من تحليل لوحة «القُبلة»
لغوستاف كليمت

* * *

تفتــح معظم أعمال كليمت المجال لعــدد كبير من التأويلات، لكن اســتخدامه الســابق لموضوع الأزواج المتعانقــين في إفريز بتهوفن وإفريز ســتوكليت يســمح بأن نرى فــي القبلة الإنجاز النهائي للمسعى الإنساني نحو السعادة.

42

لم يكن ماركوس يتمكن من تركيز فكره، هو يريد تفسيرها، ولا توجد ســوى طريقة واحدة للحصول على ذلك، وهي خلق مصادفة مفتعلة والقيام بالذهاب والمجيء أمام مكتب ناتالي،

طوال النهار مـــا لزم الأمر ذلك، هنالك وقت تخرج فيه، وهو بـ.. ســيكون هناك، بمصادفة خالصة، يتمشـــى أمام مكتبها. وفي نهايـــة الأصبوحة كان يتصبب عرقا، لقد فكّر على حين غرة:

- إنني لســت في مظهري الأفضل! إذا ما خرجت الآن، فإنها ستصادف رجلا وهو يتصبب عرقا.

كان قد بدد وقته وهو يتمشـــى فـــي الرواق، من دون أن يفعل شيئا، كان يمضي من أجل شخص يتمشى اعتباطا.

بعد الفطـــور، عاودته أفكاره التي راودته فـــي الصباح بقوة، كانت إســـتراتيجيته جيدة، وكان يجب عليه أن يستمر في الرواح والمجـــيء، وهذا هـــو الحل الوحيـــد، ومن الصعوبـــة بمكان أن تتمشـــى، متظاهرا فـــي الذهاب إلى مكان مـــا، كان يفترض أن يظهـــر بمظهر محـــدد ومركز، لقد كان ذلك المظهر أكثر قســـوة في التنقل بطريقة سريعة كذبا، وبعد العصر، وبينما كان منهكا، التقى بكلوئه، فسألته:

- هل أنت بخير؟ أنت غريب الأطوار!

- أجل.. أجل، بخير، إنني أنشّط ساقي قليلا، وهذا يساعدني على التأمل.

- هل أنت منشغل بالملف 114؟

- نعم.

- وهل تجري الأمور على أحسن حال؟

- نعم، على أحسن حال، إلى حد ما.

- اســـمع، أنا لست مشـــغولة إلا بالملف 108، أريد أن أتكلم بشأنه مع ناتالي، ولكنها غير موجودة في مكتبها هذا اليوم.

سأل ماركوس:

- آه، صحيح؟ هي.. ليست في مكتبها؟

- كلا.. أظن أنها انتقلت إلى الريف، سأتركك، سأنظم ذلك للتو.

بقي ماركوس من دون ردة فعل.

لقد تمشى كثيرا بحيث كان بوسعه الوصول إلى الريف.

43

ثلاثة أقوال مأثورة لسيوران

قرأها ماركوس في المترو

* * *

فن الحب؟

يعني معرفة أقران الجذر من زهرة شقائق

النعمان بمزاج مصاص دماء.

* * *

راهب وجزار يتشاجران داخل كل رغبة

* * *

الحيوان المنوي قاطع طريق طاهر.

44

في اليوم التالي، وصل ماركوس إلى المكتب في حالة استعداد مختلفة تماما، فهو لم يكن يعرف لماذا تصرّف بطريقة غريبة، وأية فكرة تلك التي تدفعه للقيام بالرواح والمجيء، لقد أعاقته

القُبلــة، وعليه يمكن القــول أيضا إن الأيـــام الأخيرة من حياته العاطفية كانت هادئة بشـــكل خاص، ولكن لم يعد ذلك سببا لأن يكون أكثر صبيانية، كان عليه أن يحتفظ بدمه باردا، يريد دائما أن يحصل على تفســير مع ناتالي، ولكنه لم يعد يحاول الالتقاء بها عبر لعبــة المصادفة الكاذبة، إذن ســيمضي ليلتقي بها بكل بساطة.

قرع باب المكتب بقوة، فقالت:

- ادخل.

فيدخـــل من دون تراجـــع. وها هو إذن فـــي مواجهة معضلة جســيمة؛ كانت قد ذهبت إلى الحلّاق، وكان للشعر وقع كبير في قلب ماركوس، وهناك، كان المشـــهد محيرا، فقد كان شعر ناتالي ناعمـــا، فإذا ما ربطته كما تفعل ذلك أحيانا يضفي عليها جمالا مدهشـــا، كان كل شيء ينم عن بســـاطة، ولكن أمام هكذا تعبير للشَّعر، كان يشعر بأن الكلمات تنقصه.

- نعم يا ماركوس، وهذا لماذا؟

قاطع انحرافها الذهني، وتلفظ في نهاية المطاف بأول جملة وردت إلى ذهنه:

- أحب شَعرك كثيرا.

- هذا لطف منك، شكرا.

- لا، حقا، إنني معجب به.

لقد اندهشت ناتالي من هذا التصريح الصباحي، ولم تعرف إن كان عليها أن تبتسم أو أن تكون متضايقة.

- نعم، وماذا بعد؟

- ......

- ومـــع.. ومع ذلك، فأنت لم تـــأتِ لتقابلني حتى تكلمني عن شَعري وحسب.

- كلا.. كلا..

- ماذا؟ إنني مصغية لك.

- ....

- ماركوس، هل أنت هنا؟

- نعم..

- وماذا بعد؟

- وددت أن أعرف لِم قبّلْتِني.

لقد عنّــت عليها ذكــرى القُبلة في صـــدارة ذاكرتها، فكيف اســتطاعت نســيانها؟ في كـل لحظة كانت تتشكل ثانية، وهــي لا تستطيع أن تكبح اشمئزازا بالنفور، أكانت مجنونة؟ منذ ثلاث سنوات لم تقترب من أي رجل، بل ولم تفكر مطلقا الاهتمام بأي شــخص، وإن تقبيلها لهذا الزميل لا يعني شيئا. كان ينتظر ردا، لكـــي تتوضح الصورة ليفهم ذلك، كان الوقت يمضي، ولذلك كان عليه أن يتكلم.

همست ناتالي:

- لا أعرف.

كان ماركوس يريد إجابة، بل وحتى رفضا، ولكن لا شيء.

- وأنت ألا تعرفين؟

- كلا، لا أعرف.

- ليس بوسعك أن تتركيني هكذا، يجب أن توضحي لي.

لا يوجد شيء يمكن أن يقال.

لقد كانت هذه القُبلة وكأنها قُبلة تنتمي للفن الحديث.

45

عنوان لوحة كازيمير مالفيتش

* * *

مربع أبيض على خلفية بيضاء 1918

46

فكرت فيما بعد: لماذا هذه القبلة؟ لقد كانت تماما هكذا، نحن لا نسيطر على ساعتنا البيولوجية في الداخل، وفي هذه الحالة فهي نابعة من الحزن، كانت تتمنى الموت، حاولت أن تتنفس الصعداء، ونجحت في استعادة أنفاسها وتناول الطعام، وكذلك نجحت في استئناف عملها، وأن تكون قوية واجتماعية ومفعمة بالأنوثة، ومن ثم فإن الزمن قد انقض بهذه الطاقة العرجاء، بدءا من إعادة البناء، إلى اليوم الذي فيه خرجت إلى هذه الحانة، ولكنها هربت، ولأنها لا تدعم لعبة الإغواء، مقنعة أكثر من ذي قبل بأنها قد لا تستطيع أن تتشغل برجل، ومع ذلك، شرعت في اليوم التالي تغذ السير فوق الموكيت هكذا، وكأن هناك نزوة مسترقة من الشك، شعرت بجسدها بوصفه هدف الرغبة، بتقاطيعه وبوركيها، وكانت نادمة لأنها لم تستطع سماع صوت كعبي حذائها، كل هذا حدث بشكل مفاجئ، الولادة من دون الإعلان عن إحساس، وعن قوة نيِّرة.

لم يكن هناك شيء آخر يمكن أن يقال، فساعتنا البدنية ليست منطقية، فهي مثل كآبة الحب تماما؛ لا نعرف متى نفوض

إليها أمرنا، ففي أسوأ لحظة من الألم، نفكر بأن الجرح سيكون مفتوحا، ومن ثم، ذات صباح، نندهش بأننا لم نعد نحس بهذا الثقل الرهيب. أية مفاجأة وأنت تكتشف أن الشر قد ولى، لِم في ذلك اليوم؟ ولِم لم يكن متأخرا أو مبكرا؟ هذا قرار جسدنا الشمولي.

لم يبحث ماركوس عن إيضاح ملموس فيما يخص دافع القبلة هذه، لقد بدت في الوقت المناسب، وتتلخص الحكايات فضلا عن ذلك أحيانا بهذا السؤال البسيط في الوقت المناسب. لقد اكتشف ماركوس منذ عهد، وهو الذي لم يحقق طموحاته، قدرته على الظهور في الوقت المثالي في ميدان رؤية امرأة.

قرأت ناتالي البؤس في نظرة ماركوس، فبعد آخر مقابلة بينهما، مضى بكل هدوء، من دون أن يثير ضجة، ولما كانت بسيطة مثل فاصلة منقوطة في رواية من ثمانمئة صفحة، لم تكن تستطيع التخلي عنه هكذا. لقد كانت منزعجة بشكل رهيب من التصرف ذاك، وفكرت، فهو فضلا عن ذلك، كان زميلا رائعا، ومحل احترام الجميع، وهذا ما يزيد من انزعاجها للفكرة التي أدت إلى جرحه. استدعته إلى مكتبها، وتناول الملف رقم 114 تحت ذراعه، في الحالة التي قد تريد أن تراه لسبب مهني، ولكنه لم يعر أي اهتمام للملف 114، وبعد ذهابه إلى هذا الاجتماع، دلف إلى الحمامات ليضع قليلا من الماء على وجهه. فتح الباب، متشوقا إلى ما كانت تقوله له:

- شكرا على مجيئك.

- من فضلك.

- أرجو المعذرة.. لأنني لا أعرف بماذا أرد، هنالك أمر واحد أقوله لك، هو أنني لا أعرف أكثر الآن..

- ....

- لا أعرف ما الذي أصابني.. الدافع الجسدي بالتأكيد.. ولكننا نعمل سوية، ويجب أن أقول إن ذلك كان غير مناسب بالمرة.

- أنت تتكلمين وكأنك أمريكية، وهذه ليست علامة حسنة.

أخذت تضحك، يا له من رد غريب، كانت هذه هي المرة الأولى التي كانا يتحدثان بها عن شيء آخر وليس عن ملف، لقد كانت تكتشف قرينة ترتبط بشخصيته الحقيقية، فكان عليها أن تستأنف:

- إنني أتكلم بصفتي مسؤولة عن مجموعة من ستة أشخاص، وأنت أحدهم، لقد وصلت في الوقت الذي كنت فيه أحلم، وأنا أدرك حقيقة اللحظة.

- ولكن هذه اللحظة كانت الأكثر حقيقية في حياتي.

هكذا احتج ماركوس من دون تفكير، وقد خرج ذلك من قلبه.

لم تمض الأمور ببساطة، هكذا فكرت ناتالي، وكان من الأفضل غلق هذه المناقشة، وهذا ما فعلته بسرعة، وبقليل من الجفوة، لم يكن يبدو على ماركوس أنه فهم ذلك، فبقي متسمّرا في مكتبها، وهو يبحث عبثا عن قوة للمغادرة. وحقيقة القول، عندما استدعته في غضون عشر دقائق، كان يتصور أنها ربما تريد أن تقبّله ثانية، لقد سافر في هذا الحلم، وعاد ليفهم الآن، بطريقة حازمة، أنه لم يكن يحدث شيء بينهما، هو مجنون إن صدق ذلك، لقد قبّلته تماما هكذا، وكان من الصعوبة بمكان التسليم بذلك، وكأن أحدا ما كان يقدم لك السعادة قبل أن

تسترجعها ثانية في الحال. كان يحلم بعد أن تعرّف على طعم شفتَي ناتالي، وكان يحلم بعد أن عرف هذه اللحظة، لأنه كان يشعر بأن الأمر قد يتطلب شهورا ليشفى من بضع الثواني هذه.

تقدم نحو الباب، وكانت ناتالي مندهشة وهي تلمح دمعة تترقرق في عين ماركوس، دمعة لم تسل بعد، ولكنها كانت تنتظر الرواق لتتساب، أما هو، فقد كان يريد أن يحبسها، وألا يبكي أمام ناتالي على وجه الخصوص. كانت حماقة، ولكن هذه الدمعة التي سيبكيها كانت دمعة لا يمكن توقعها.

47

فكرة لفيلسوف بولوني

* * *

هنالك أناس رائعون

نلتقيهم في الوقت الخطأ.

وهنالك أناس هم رائعون

لأننا نلتقيهم في الوقت المناسب.

48

قصة عاطفية قصيرة لماركوس

من خلال دموعه

قبل كل شيء، نغض الطرف هنا عن بكاء الطفولة، البكاء أمام أمه أو أمام معلمة في المدرسة، والمقصود هنا ليس بكاء ماركوس

لأسباب عاطفية، وإنما، قبل هذه الدمعة التي حاول السيطرة عليها أمام ناتالي، فقد سبق له أن أجهش بالبكاء مرتين.

كان أن سكب الدمعة الأولى أثناء إقامته في السويد مع فتاة شابة تحمل اسما جميلا هو بريجيت، وهو اسم ليس سويديا، ولكنه حسن، واسم بريجيت باردو لا حدود له. ولما كان أبو بريجيت مهووسا طوال حياته بهذه الأسطورة، فإنه لم يجد فكرة أفضل من أن يسمّي ابنته بهذا الاسم، ونحن لم نعلق أهمية على الخطر النفسي في تسمية ابنته إكراما لحلمه الغرامي. إن الحكاية المتعلقة ببيريجت لا تهمنا، أليس كذلك؟

لقد صارت بيريجت جزءا من فضول فئة من النساء على وجه التحديد، وكانت قادرة على عدم إعطاء أية وجهة نظر محتملة، حول كل موضوع؛ والشيء ذاته كان مع جمالها، ففي كل صباح، تنهض وهالة الشهرة على وجهها، ولأنها واثقة من نفسها، كانت تجلس دائما في الصف الأول، وهي تحاول أحيانا إثارة قلق الأساتذة من الذكور، عازفة على موسيقى جاذبيتها الواضحة للقيام بحرف اتجاه الجغرافية السياسية، فعندما كانت تدخل في قطعة، كان الرجال يحلمون بها في الحال، والنساء يمقتتها غريزيا. لقد كانت موضوع كل التخيلات، وهو ما انتهى إلى إغاظتها، لقد كانت تمتلك في ذلك الوقت هذا الإيحاء العبقري لتهدئة المشاعر؛ كانت تخرج مع أكثر الصبيان حقارة، وهكذا، كان الذكور يرتعبون، والفتيات في غاية الاطمئنان. كان ماركوس هو المختار المحظوظ، من دون معرفة لماذا كان مركز العالم يهتم به على حين غرّة، لقد كان وكأن الولايات المتحدة الأميركية قد دعت ليشتنشتاين إلى تناول الفطور. لقد بعثت له سلسلة من

التحايا، وصرحت بأنه محط اهتمامها كثيرا.

- ولكن كيف رأيتِني؟ إنني دائما في نهاية الصف، وأنتِ دائما في الصف الأول؟

قالت بريجيت:

- إنه قفاي، الذي حكى لي كل شيء، إن في قفاي عيونا.

في ضوء الحوار ولد اتفاقهما.

الاتفاق الذي أثار كلاما كثيرا. في المساء كانا يغادران الثانوية معا، تحت أنظار الجميع المنبهرة، في تلك المدة، كان ماركوس لا يمتلك أي وعي متوقد بشخصه، وكان يدرك في قرارة نفسه أن الجسد يمنحه قليلا من المتعة، ولكن لم يكن ذلك ليبدو بالنسبة له خرقا للطبيعة لكونه مع امرأة جميلة.

ومنذ ذلك الحين، كان يسمع:

«لم تكن النساء سطحيات كالرجال، فالجسد يعد أقل أهمية بالنسبة لهن، أما الجوهري فهو أن تكون مثقفا وظريفا».

وعند ذاك تعلّم كثيرا من الأشياء، وكان يحاول أن يبرهن على الفكر، ومع بعض النجاحات، كان ينبغي أن يعترف. وهكذا، فإن مسامات وجهه قد انمحت إلى حد ما وراء ما يمكن أن يطلق عليه السحر بعينه.

لكن هذا السحر انسحق مع بدء ممارسة الحب، لقد بذلت بريجيت جهودا كثيرة بالتأكيد، ولكن في اليوم الذي حاول فيه أن يلمس نهديها المذهلين لم تقاوم يده، في حين كانت أصابعها الخمس قد انتهت إلى وجه ماركوس المندهش، استدار ليرى نفسه في المرآة، فاكتشف بذهول ظهور أحمر الشفاه على بياض بشرته، وقد يتذكر أحمر الشفاه دائما، وقد يشرك هذا

اللون بفكرة الرفض. لقد حاولت بريجيت الاعتذار قائلة بأن حركته كانت متهورة، غير أن ماركوس فهم أن الكلمات لم تكن تدل على شيء. شيء ما حيواني وباطني؛ لقد اشمئز منها، وحدّق فيها، ثم أخذ يجهش بالبكاء. كل جسد يعبر عن نفسه بطريقته الخاصة.

كانت تلك هي المرة الأولى التي بكى فيها أمام امرأة.

لقد حصل على نسخة سويدية للبكالوريا، فقرر الذهاب للعيش في فرنسا، البلد الذي فيه النساء لم يكنّ من صنف بريجيت. ولما كانت المرحلة الأولى من حياته العاطفية قد أدمته جرحا، فقد طور اتجاها من الحماية، لقد مضى ربما للعيش في مسار متوازٍ مع العالم الشعوري، كان خائفا من المعاناة، ومن أن يكون غير مرغوب فيه لأسباب معتبرة، لقد كان هشا، من دون أن يعرف كم هذه الهشاشة ممكن أن تثير امرأة، ففي غضون ثلاث سنوات من العزلة في المدينة، وهو يائس من العثور على الحب، قرر المشاركة في جلسة (التعليم السريع) Speed dating، وهكذا التقى بست نساء، قد يستطيع التحدثن معهن خلال سبع دقائق، كان الوقت قصيرا للغاية لشخص مثله؛ لقد كان مقتنعا بأنه ينبغي له قرن من الزمن في الحد الأدنى ليقنع أنموذجا من الجنس المضاد في النقيض على اقتفاء أثره في طريق ضيق من حياته. ومع ذلك، حدث شيء غريب، فمنذ اللقاء الأول كان يشعر بحرارة متبادلة، كانت الفتاة تدعى أليس (من الغرابة أن تدعى أليس وأن تجد نفسها في هذا النمط من الأماسي لتلتقي برجل، بصورة عامة إن من يحملن اسم أليس يلتقين بالرجال بكل سهولة).

وتعمل في صيدلية (من الغرابة أن تسمّي امرأة نفسها أليس وتعمل في صيدلية، وفيها كانت تشـجع أحيانا صالونات الفن). وحقيقـة القول، كان الأمر في غاية السـهولة؛ الوضع يزعجهما كثيـرا حيث يتيح لهما الاسـترخاء، لقد كان اللقـاء بينهما يقع إذن ببسـاطة متناهية، وبعد الارتباط بالمواعيد، وجدا نفسيهما بحاجة ثانية لتمديد الدقائق السـبع التي أصبحت أياما وشهورا فيما بعد.

غير أن قصتهما لم تتجاوز العام، فماركوس كان معجبا بأليس، ولكنه لم يكن يحبها، ولا سيما أنه لم يكن يرغب بها تماما، وكانت تلك معادلة مريعة؛ فالمـرة الأولى التي التقى فيها امرأة صالحة لـم يقع في حبهـا مطلقا، فهـل نحن متهمـون بالنقص؟ خلال أسابيع من علاقتهما، تقدم في تجربته فيما يخص حياتهما، لقد اكتشف قواه، وقدرته على ممارسته الحب، أجل لقد وقعت أليس حبا فيه، وكان يعد ذلك خللا في شـخص لم يعرف سوى الحب الأمومي (ومازال)، هنالك شـيء في غاية الرقة يمكن أن نلمسه لدى ماركوس بكل بساطة، وهو مزيج من القوة التي تسكّن الروع ومن الضعف المحرك للعواطف، وحقا إن هذا الضعف جعله يدفع مـا لا مناص منه، أي ترك أليس، ولكنه فعل ذلك ذات صباح، إذ إن معاناة امرأة شابة سببت له جرحا عنيفا على وجه الخصوص، ربما أكثر من معاناته هو، فلم يستطع منع نفسه من البكاء، ولكنه كان يعرف أن ذلك كان قرارا جيدا، لقد اختار العزلة في تجويف حفرة واسعة جدا بين قلبيهما.

إذن كانـت تلك هي المرة الثانية التي أجهش فيها بالبكاء أمام امرأة.

وفــي غصون العامين تقريبا، لم يطرأ شــيء في حياته، لقد بكى على أليس، وبخاصة في جلسات «التعليم السريع الجديدة» Speed dating التي كانت مخيبة للآمال على وجه الخصوص، لا نقول إنها مخزية، عندما لا تبذل الفتيات جهدا للتحدث معه، عنــد ذلك قرر ألّا يذهب إلى هناك، بل وربما، هل كان قد تخلى عن فكرة أن يعيشا معا؟ لقد أدرك أنه لم يعد يرى في ذلك فائدة، وبعد كل هذا، هنالك الملايين من العازبات، وبإمكانه أن يستغني عن أية امرأة، ولكنه قال في نفسه ذلك من أجل أن يجعل نفسه مطمئنة، من أجل ألّا يفكر بأية نقطة كان فيها تعيســا من جراء هذا الموقف. كان يحلم بجســد امرأة كثيرا، وكان ينفجر أحيانا ليقول في نفســه إن ذلك ســيصبح ممنوعا عليه فيما بعد بكل تأكيد، إنه لم يعد بوسعه أن يمتلك تأشيرة للجمال.

وفجأة.. قبّلته ناتالي، مســؤولته والمصدر الواضح لخياله، ثم أوضحت له أن ذلك لا أهمية له، وعندئذ كان عليه أن يعتاد على ذلك، لم يكن خطرا جدا على كل حال، ومع ذلك بكى، أجل كانت الدموع تســيل من عينيه، وهذا ما أدهشــه بشدة، دموع «ليست بالحسبان»، هل كان هشاً؟ كلا لم يكن كذلك، لقد احتمل حالات مختلفة تماما، هذا هو بالضبط ما أثارته القبلة، لأن ناتالي كانت جميلــة بكل تأكيد، ولكن أيضا من خلال جنون حركتها، لم يقبّله أحد قط هكذا، من دون أن يأخذ موعدا مع شــفتيها، كان ذلك هو الســحر الذي أثار فيه المشــاعر حتى دمعت عيناه، أمّا الآن فبدموع الخيبة المريرة.

49

عندما رحل في مساء الجمعة ذاك، كان في غاية الانشراح باللجوء إلى عطلة نهاية الأسبوع. قد يستخدم يومي السبت والأحد بوصفهما غطائين عريضين، لم يكن يرغب القيام بأي شيء، كما أنه لا يمتلك الشجاعة للقراءة، وعند ذاك، بقي جالسا أمام التلفاز، وكأنه يتابع مشهدا استثنائيا، مشهد انتخابات السكرتير الأول للحزب الاشتراكي الفرنسي، تتواجه في الجولة الثانية سيدتان، هما مارتين أوبري وسيغولين رويال، وكان حتى الوقت الراهن غير منشغل بالسياسة الفرنسية، لكن هناك قضية تستحوذ عليه، بالأحرى إنها قضية كانت تمنحه أفكارا عديدة للتو.

في ليلة الجمعة على السبت تراجعت النتائج، ولكن لم يكن بوسع أحد أن يعلم علم اليقين من الفائز. في الصباح الباكر صرحت مارتين أوبري في نهاية المطاف بأنها هي الفائزة بثمانين صوتا سلفا، غير أن ماركوس لم يصدق بهذا الفرق الضئيل، وكان أنصار سيغولين رويال يحتجون على الفضيحة: لن ندع أحدا يسرق انتصارنا! فكر ماركوس بأنها جملة خرافية، كانت الخسارة تستمر بالمقاومة، وتطعن في مجموعة النقاط التي تم إحرازها، وينبغي القول إن كل المعلومات في يوم السبت كانت تبدو أنها تقرّ لها بالحق، حيث إن هنالك من كشف عن أعمال تزوير وأخطاء، فكان الفرق يتناقص أكثر فأكثر. لقد استمع ماركوس إلى تصريح مارتين

أوبري، وقد شـــغلته هذه القضية، كانت تقدم نفسها كسكرتير أول جـديـد للحزب، ولكن ذلك لم يكن يمضي بســـهولة، ففي المســـاء نفسه، أعلنت سيغولين رويال، من منصة نشرة الأخبار المتلفزة، أنها ســـتكون أيضا السكرتيرة القادمة. كانت الاثنتان تصرحان بأنهما فائزتان! وكان ماركوس أســـير قرارات هاتين المرأتـــين، وبخاصة قرارات الثانية التي اســـتمرت، بالرغم من الهزيمـــة تناضل بإرادة صلبة.. ولكي لا يقال ما هو خارق، كان يرى في حيوية هاتين الحمقاوتين السياســـيتين كل ما كان غير موجود، وكان في مساء يوم السبت هذا، وهو ضائع في معركة الاشـــتراكيين التراجيدية - الكوميدية، قد قرر ألّا يبقى هناك مع ناتالي، حتى لو قالت له إن كل شـــيء قد ضاع، وإنه ما من شـــيء كان يمكن مواجهته، وقد يســـتمر يصدق ذلك، وسيكون السكرتير الأول في حياتها الأولى، مهما كلف الأمر.

كان قرارها الأول بســـيطا، وهو المعاملـــة بالمثل، فإذا كانت قـــد قبّلته مـــن دون أن تطلب منه رأيه، فهو لـــم يكن لم يدرك لماذا لا يســـتطيع القيام بالشـــيء ذاته. في صبـــاح يوم الاثنين، وفـــي الســـاعة الأولى منه، قـــد يهرع كي يلتقي بهـــا ليعيد لها ثمن شـــفتيها، ولذلك قد يتوجه إليها بخطوة ثابتة (وكان جزءا مـــن البرنامج الأكثـــر تعقيدا؛ لم يكن موهوبا أبدا كي يمشـــي بخطوة ثابتة)، وقد يمســـك بها بطريقة رجولية (وكان هذا هو الجزء الآخر المعقد من البرنامج؛ لم يكن موهوبا أبدا ليتصرف بطريقـــة رجولية، أيا كان الأمر). بتعبير آخر، كان الهجوم يبدو معقدا، ولكن مع ذلك كان بين يديه أن يستعد ليوم الأحد، ليوم أحد الاشتراكيين الطويل.

50

التصريحات التي أدلت بها سيغولين رويال
في الوقت الذي تفوقت بـ 24 صوتا

* * *

أنت لا تشبعين يا مارتين
أنت لا تريدين أن تعترفي بانتصاري

51

كان ماركـــوس أمام باب ناتالي، لقد حان الوقت كي يتصرف، وهو ما كان يدفعه إلى الثبات الأكثر تكاملا. وعلى الفور، مر من هنا أحد زملاء مجموعته، وهو السيد بنوا:

- حسنا ماذا تفعل؟

- هااا.. لدي موعد مع ناتالي.

- وبوقوفك مزروعا أمام بابها فهل تعتقد أنك تلتقي بها؟

- كلا.. لدي موعد في الساعة العاشرة بالضبط.. وهي الآن الساعة التاســعة وتســع وخمســــون دقيقة.. ثم أنت تعرفــني، فأنا لا أحب أن أكون مبكرا..

ابتعد الزميل، في الحالة نفسها تقريبا التي كان فيها في ذلك اليوم من أبريل العام 1992، حيث شـــاهد مسرحية لصاموئيل بيكيت في مسرح الضاحية.

كان ماركوس مكرها على التصرف، فدخل في مكتب ناتالي،

كان رأســـها غاطســـا في ملف (ربما هو الملف 114) فرفعته في الحال، تقدم نحوها بخطوة حازمة، ولكن ما من شيء كان يمكن أن يكون بســـيطا، فعند الاقتراب من ناتالي، كان عليه أن يبطّئ، كان قلبـــه يخفق بقـــوة أكثر فأكثر؛ ســـيمفونية نقابوية حقيقية، كانت ناتالي تتســـاءل عما سيحدث، بكلمة مختصرة كانت تعاني مـــن خوف أكيد، ومع ذلـــك كانت تعرف جيـــدا أن ماركوس هو اللطف نفسه؛ ماذا يُريد؟ لمَ لا يتحرك؟ كان جسده مثل حاسوب مصاب بالفيروس، من خـــلال إدخال المعطيات، وكانت معطياته ما هي إلّا معطيات عاطفية، نهضت وسألته:

- ماذا يجري يا ماركوس؟

- ...

- هل أنت بخير؟

لقـــد نجح في التركيـــز ثانية حول ما جاء ليقـــوم به، وفجأة أمســـك بها من خصرها، وقبّلها بقوة قُبلة لم يكن يشـــك بها هو نفسه، لم يكن لديها متسع من الوقت للمقاومة لأنه كان قد غادر المكتب.

52

ترك ماركوس وراءه هذا المشهد الغريب للقبلة المسروقة. أرادت ناتالـــي أن تنغمس ثانية في ملفها، ولكنها قررت في نهاية المطاف الانطلاق بحثا عنه، لقد شـــعرت بأن شيئا معقدا يتحدد، وحقيقة القول، كانت تلك هي المرة الأولى، ومنذ ثلاثة أعوام يتشبث بها رجل بهذه الصورة، وأن أحدا لا يحســـب ذلك بوصفه شـــيئا هشا. أجل

كان مدهشا، ولكنها كانت مرتبكة من جراء هذه الحركة الواضحة، النابعة من رجولة متقدة تقريبا، مشت في أروقة الشركة تسأل الموظفين يمينا ويسارا من الذين كانت تلتقي بهم: أين هو؟ ولكن لا يعرف أحد أين، إنه لم يلتحق بمكتبه، وعند ذاك فكرت بسطح البناية، ففي هذا الفصل، لا يذهب أحد إلى السطح لأن الجو بارد، قالت في نفسها إنه يفترض أن يكون هناك، كان ذلك مجرد حدس، وكان هناك، قرب الحافة، في وضع هادئ جدا، كان يحرك شفتيه بحركات صغيرة، هي نفخات بكل تأكيد، يبدو أنه كان يدخن، ولكن من دون سيجارة، اقتربت ناتالي منه بصمت.

قالت:

- أنا أيضا آتي أحيانا لأحتمي هنا، لأتنفس الصعداء.

اندهش ماركوس لمثل هذا الحضور، لم يفكر بأنها تنطلق للبحث عنه أبدا، بعد ما حدث للتو.

أجاب:

- ستصابين بالبرد، ولا أملك حتى معطفا كي أضعه عليك.

- آه حسن، سنصاب بالبرد نحن الاثنان، هذه حالة في ضوئها على الأقل لا يوجد فرق بيننا.

- هذا خبث.

- كلا، ليس خبثا، غير أنني لست محتالة في تصرفي عندما فعلتُ ذلك.. وأخيرا حسنا، ومع ذلك، لا يبدو وكأنني ارتكبت جريمة!

- عندئذ أنت لا تعرفين شيئا عن الحسية، فقُبلة منك، ثم لا شيء البتة، بالتأكيد هذه جريمة، ستكونين مدانة في مملكة القلوب القاسية.

- في مملكة القلوب القاسية؟.. لم يكن لك أن اعتدت الكلام معي بهذه الطريقة.

- من المؤكد أنني لن أنظم الشعر مع الملف 114.

* * *

كان البرد يغيّر من وجهيهما، ويزيد شيئا من الحيف، لقد صار ماركوس أزرق زرقة خفيفة، ولا نقول شاحبا، بينما صارت ناتالي مصفرّة مثل أميرة واهنة الأعصاب.

* * *

قالت:

- ربما يكون من الأفضل العودة.

- نعم.. وماذا نفعل بعد؟

- ولكن... يكفي هذا الآن، لا يوجد شيء يمكن أن نقوم به، أعتذر، ومع ذلك لن أكتب رواية.

- لمَ لا؟ لن أكون ضد فكرة قراءة مثل هذه القصة.

- حسن لنتوقف، إنني حتى لا أعرف ما يمكن أن أفعله لأحرضك على الكلام هنا.

- اتفقنا، نتوقف، ولكن بعد العشاء.

- ماذا؟

- نتعشى معا، وبعد ذلك أعدك بأنني لن أعود أتكلم.

- لا أستطيع.

- أنت ترغمينني على ذلك.. العشاء بالضبط.

يمتلك بعض الأشخاص قدرة غير اعتيادية على التلفظ بمثل هذه الجملة، المقدرة التي تمنع الآخر من الإجابة بالنفي.. كانت ناتالي تشعر بأن في صوت ماركوس كل قناعته، وكانت تعرف أن

ذلـــك يُعد خطأ في القبول، وتعرف أن عليه أن يتراجع الآن، قبل فوات الأوان، ولكن في مواجهته، من المســـتحيل أن ترفض، ومن ثم فإنها كانت تشعر بالبرد إلى حد كبير.

53

معلومات ملموسة
عن الملف 114
المقصـــود بذلك التحليل المقارن بين فرنســـا والســـويد فيما يخص التنظيم في الوسط الريفي، للموازين التجارية الخارجية للحقبة التي تبدأ من نوفمبر 1967 إلى أكتوبر 1974.

54

عاد ماركـــوس إلى بيته، واســـتدار دورة أمـــام خزانته، ماذا يرتدي من ثياب عندما يتعشـــى مع ناتالـــي؟ كان يريد أن يتأنق، أية بدلة يختار لاســـتكمال أناقته؟ انتابته الحيرة، ربما لا تعجبها أناقتـــه هذه، هل كان عليـــه أن يرتدي ربطة عنق؟ ليس لديه من يســـاعده، إنه وحيد في هذا العالم، والعالم هذا كان ناتالي، إنه متأكد ما يكفي وبشكل اعتيادي من ميوله المتعلقة بالملابس، لقد فقد توازنه في كل الأمور، فهو لا يعرف أن يختار حتى حذائه، لم يعد معتادا على ارتداء الملابس للخروج في المســـاء، ومن ثم فإن الموقف كان حرجا. يضاف إلى ذلك أنها مســـؤولته، وهذا ما كان يزيـــد من الضغط، وأخيرا توصـــل إلى تخفيف توتره، مدعيا أن

المظهر لم يكن ذا أهمية كبيرة، وأنه قبل كل شيء عليه أن يظهر في غاية الهدوء، وأن يتحدث حديثا ميسورا حول موضوعات متنوعة، وعلى وجه الخصوص كان ينبغي ألّا يتكلم عن العمل، وممنوع منعا باتا ذكر الملف 114، وألا يدع ذلك اليوم يؤثر على سهرتهما، ولكن ماذا سيقولان إذن؟ لم يغيّرا من المحيط، كانا يمضيان مثل جزارين إلى مؤتمر النباتيين. كلا، لقد كان الأمر أمرا اعتباطيا، والأفضل ربما كان الإلغاء، ما يزال هناك متسع من الوقت، ومشكلة القوة العظمى، أجل، إنني متأسف يا ناتالي، ربما إنني أحببت كثيرا، وأنت تعرفين ذلك جيدا، ولكن لا بأس، ففي هذا اليوم بالضبط توفّيت أمي. آه.. لا، الأمور ليست على ما يرام، عنيفة جدا، كامو أيضا ليس على ما يرام، كامو للإلغاء، أما سارتر فكان أفضل. لم أستطع في هذا المساء، أنت تدركين أن الجحيم هم الآخرون، وأن نغمة وجودية قصيرة في الصوت، قد تؤدي بشكل حسن، قال في نفسه وهو يهذي إنه كان ينبغي عليها أن تبحث هي أيضا عن أعذار للإلغاء في آخر لحظة، ولكن لا شيء في هذا الوقت دائما. لقد تواعدا منذ ساعة، ولا رسالة، كان يفترض أن تحاول الآن، وهذا مؤكد، أو ربما حينما تكون لديها مشكلة في بطارية هاتفها، وبالتالي فإنها كانت غير قادرة على إبلاغه بأن لديها عائق. لقد استمر يغزل خيوط اللحظة هكذا، ولما كان لم يحصل على الأخبار، خرج ولديه شعور بأنه ينجز مهمة فضائية.

55

اختار مطعما إيطاليا ليس ببعيد عن بيتها، ولأنها كانت ظريفة جدا عندما سبق لها وتعشّت معه، فعند ذاك لم يكن يرغب بأن يجعلها تجتاز المدينة، ولما كان الوقت ما يزال مبكرا، فقد طلب كأسين من الفودكا في الحانة المقابلة، وهو يأمل بأن يستمد شجاعته منها، وأن ينتشي ولو قليلا، فالكحول لم يكن له ذلك التأثير الذي يذكر، ثم ذهب ليجلس في المطعم. كان إذن في حالة من الوعي التام عندما اكتشف ناتالي في الموعد المحدد، وفي الحال فكر بأنه كم كان سعيدا لأنه لم يكن ثملا، لم يكن يود أن تقلب الثمالة نشوة رؤيتها وهي تتراءى له، تقدمت نحو.. كانت جميلة جدا.. ومن هذا الجمال وضع علامات وقف في كل مكان.. ومن ثم فكر بأنه لم يرها في المساء قط، لقد كان مندهشا إلى حد ما من أنها تستطيع الحضور في هذه الساعة. كان عليه أن يكون من النوع الذي يفكر بأن الجمال يوضع في علبة في أثناء الليل، لم يصدق نفسه، لأنها كانت هنا، قبالته الآن.

نهض مرحبا بها، ولم تلحظ أبدا أنه كان كبيرا أيضا، كان ينبغي القول أيضا إن موكيت الشركة يكدّس العمال، وفي الخارج يبدو أن كل الناس كبار. قد تفكر طويلا بهذا الانطباع الأول عن الكبر.

لم يمنع ماركوس نفسه من القول:

- شكرا لمجيئك.

- أرجوك..

- كلا.. هذه حقيقة، أعرف أنك تعملين كثيرا.. وبخاصة في هذا الوقت.. مع الملف 114.

رمقته بنظرة.

ثم انطلقت تضحك، بطريقة مزعجة.

«لقد وعدت نفسي مع ذلك ألا أتكلم عن الملف.. يا إلهي، إنني مثير للسخرية..».

ابتسمت ناتالي بدورها، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تبتسم فيها، منذ وفاة فرانسوا، إذ وجدت نفسها في موقف يتطلب منها أن تهدّئ من روع شخص ما، وهذا ما يدفعها لتحسن إليه صنعا، وكان لارتباكها شيء من التأثير، لقد تذكرت ذلك اليوم الذي تناولت فيه العشاء مع شارل، باليقين الذي كان يستخلصه، ويشعر بأنه أكثر راحة الآن. العشاء مع رجل كان قد حدق فيها بالطريقة ذاتها التي يحدق فيها السياسي الذي ربما سيحقق انتصاره في انتخابات لم يكن مرشحا لها.

قالت:

- من الأفضل عدم الكلام عن عملنا.

- عندئذ نتكلم عن ماذا؟ عن ذوقنا؟ هذه الأذواق مناسبة تماما للبدء بحديث ما.

- نعم.. وأخيرا فمن الغرابة أن يفكر المرء هكذا بما يريد أن يتحدث به.

- البحث عن موضوع للحديث يبدو لي موضوعا مناسبا للحديث.

كانت أعجبته هذه العبارة، والطريقة التي تلفظها. واستأنفت:

- في الحقيقة، أنت غريب.

- شكرا.. إن لي هيئة أكثر عبوسا من هذا؟

قالت وهي تبتسم:

- إلى حد.. نعم.

- لنعد إلى الأذواق، هذا أفضل.

- وددت أن أقول لك أمرا ما؛ إنني لم أعد أفكر حقا بما أحب أو بما لا أحب.

- هل يمكن أن أطرح عليك سؤالا؟

- نعم.

- هل تشعرين بالحنين إلى الوطن؟

- كلا لا أعتقد ذلك.

- إنه لأمر نادر بالأحرى لواحدة مثل ناتالي.

- حقا؟

- نعم، إن لدى عائلة ناتالي اتجاها واضحا بالنسبة للحنين.

ابتسمت مرة أخرى، لم تعد معتادة، ولكن كانت كلمات هذا الرجل مشوشة، لا يستطيع أحد أن يعرف أبدا ما سيقوله، فكرت بأن هذه الكلمات كانت في دماغه مثل كرات اللوتو قبل خروجها؛ ألديه نظريات أخرى حوله؟ أعني الحنين، لقد طرحت قضية علاقتها مع الحنين بصدق، غير أن ماركوس وضعها فجأة في صور من الماضي، وبشكل غريزي، فكرت بصيف كان عمرها فيه ثماني سنوات، عندما رحلت مع أبويها إلى أمريكا، شهران خرافيان جابت بهما فضاءات واسعة من بلاد الغرب، وقد اتسمت هذه الإجازات السنوية بالشغف؛ الشغف بمنتجات شركة بيز التي تنتج السكاكر، هذه السكاكر الصغيرة التي يدسونها في تماثيل صغيرة منمنمة من البرونز. يكفي أن تضغط على الرأس

مـــن أجل ذلك تقدم لك اللعبة قطعة ســكاكر، كان هذا الشــيء يرسخ خصوصية الصيف، وقد وجدت ذلك. استحضرت ناتالي هذه الذكرى في الوقت الذي ظهر فيه النادل فسأل:

- هل اخترتما شيئا؟

- نعم، ســنتناول طبقين من الريسوتو بالهليون (طبق إيطالي يتكون من الرز والجبنة والزبدة).

وقال ماركوس:

- أما بالنسبة للحلوى.. فسنتناول السكاكر.

- ماذا؟

- سكاكر.

- لا توجد عندنا.. السكاكر سيدي.

فختم ماركوس:

- هذا أمر مؤسف.

انطلــق النــادل ثانية ســريعا وهو منزعج، وفــي هيئته، كان الحــس المهني وحــس الاضطراب مثل خطــين متوازيين، إنه لم يفهــم ما كانت تفعله امــرأة كهذه مع رجل كهــذا، بالتأكيد كان منتجا سينمائيا، وكانت هي الممثلة، هنالك سبب مهني بالضرورة لتناول العشــاء مع ظاهــرة ذكورية غريبة بقدر مــا.. ما حكاية السكاكر؟ إنه لم يكن يحب على الإطلاق التلميح إلى المال.

فهــو يعرف جيدا هــذا الصنف من الزبائــن الذين يقضون وقتهم للحــط من قيمة ندل المقاهي والمطاعم، غير أن مثل هذا لن يحدث.

وجد ماركوس أن هذه السهرة قد أخذت اتجاها ظريفا، وكان ماركوس يسليها.

- أنت تعرف، إنها المرة الثانية وحسب التي أخرج فيها خلال ثلاث سنوات.

- تريدين أن تزيدي من الضغط إلى الضغط؟

- ولكن كلا.. كل شيء سيكون على ما يرام.

- نعم الأمر، سأحاول بشكل ما أن تقضي سهرة ممتعة، وإلا لأمضيت الشتاء مُسَبِتة.

كان هناك الكثير من البساطة فيما بينهما، فقد شعرت ناتالي بأنها على ما يرام. أما ماركوس فلم يكن صديقا أو شخصا ما يمكن أن تنوي إنشاء علاقة معه، لقد كان هذا العالم مريحا، من دون أي ارتباط بماضيه، وفي نهاية المطاف كانت كل شروط السهرة غير المؤلمة مستوفية نجاحها.

56

المكونات الضرورية لطبق ريسوتو بالهليون

* * *

200 جرام رز أربوريو (أو رز مدور)

500 جرام من الهليون

100 جرام من نبات بغنونية الصنوبر

بصلة واحدة

20 سنتيلتر من النبيذ الأبيض الصرف

30 سنتيلتر من الكريمة السائلة

80 جرام من جبن البارم المبشور

زيت البندق
ملح
خل

* * *

من أجل رقاقات بجبن البارم:
80 جرام من جبن البارم المبشور
50 جرام نبات بغنونة الصنوبر
ملعقتا طعام من الطحين
بضع قطرات من الماء

* * *

57

كان ماركوس يراقب ناتالي غالبا، وكان يحب أن يراها تمشي في الأروقة ببدلتها المتساقطة على الموكيت، كانت فكرة صورتها المتخيلة تصطدم مع صورتهـا الواقعية، وكان يعرف ككل الناس ما عاشـته، ومع ذلك لم ير منها دائما إلا ما كانت تظهره؛ فهي امـرأة مطمئنة ومملوءة يقينا، وبعد أن اكتشـفها فجأة في إطار آخـر كانت فيه قليلة الظهـور، كان ينتابه إحسـاس النفاذ إلى هشاشـتها، وبطريقة بسـيطة حقا، ولكن بسـرعة البرق، كانت تخفف من الحراسـة، بل والأكثر كانت تسـترخي، والأكثر كانت طبيعتها الحقيقية تتجلى، وقـد تجلى ضعفها، وهو ضعف نابع من عذابهـا، على نحو مفارق مع ابتسـامتها، لقد بدأ ماركوس يتحمل مسـؤولية دور أكثر شدة، كمدافع تقريبا، كان يشعر، وهو

أمامهـــا بأنه غريـــب وحيوي ويتمتع برجولة، ربمـــا كان يريد أن يعيش حياته بحيوية الدقائق هذه.

لم يســـتطع، وهـــو بلباس رجل يأخذ الموقـــف على عاتقه على الرغم من ذلك، ألّا يقع في الخطأ، وبعد أن طلب قنينة ثانية، تحيّر في عنوان النبيذ، ولما تظاهر بأنه يعرفه لم يتردد النادل بأن يرميه بقوارص الكلام محيلا إياه إلى جهله، أخذ ثأره الشخصي المتواضع. كان ماركوس منزعجا بشكل عميق، حتـــى إنه تجـــرأ بالقول في الوقت الذي فيـــه أحضر النادل القنينة:

- آه شـــكرا يا ســـيدي، لقد كنا نشعر بالعطش وسنشرب في صحتك.

- شكرا، هذا لطف منك.

- كلا ليس لطفا، هناك عادة في الســـويد تقول إن كل الناس يمكن أن يبدلوا مكانهم في لحظة، ما من شـــيء يعد نهائيا أبدا، فأنت الواقف الآن، يمكن أن تجلس ذات يوم، فضلا عن ذلك، إذا ما أردت أنهض الآن، وأترك لحضرتكم مكاني.

وفجـــأة نهض ماركوس، أما النـــادل فلم يعرف كيف يتصرف، ابتسم ابتســـامة منزعجة، وترك القنينة. أخذت ناتالي تضحك، من دون أن تعرف حقا موقف ماركوس، لقد أحبت هذا الاقتحام المثيـــر للضحـــك، أن يدع مكانه للنـــادل، فربما كانـــت هذه هي الطريقـــة المثلـــى لإعادته إلى مكانه، لقد أحبـــت ما كانت تعدها لحظة شعرية، ووجدت أن ماركوس يمتلك جانبا بسيطا من «بلاد الشرق»، جذاب بشكل مطلق، لقد كان يشعر وكأنه من رومانيا أو من بولونيا في بلاده السويد.

سألت ناتالي:

- هل أنت متأكد من أنك سويدي؟

- كم أنا سعيد لهذا السؤال! أنت لا تستطيعين أن تتخيلي، أنت الوحيدة التي تشك بأصولي.. أنت مذهلة حقا.

- أيشكل ذلك إزعاجا إن كنت سويديا؟

- أنت لا تستطيعين أن تتصوري، عندما عدت إلى هناك، قال الناس لي جميعا إنني فكه.. هل تتصورين ذلك؟ أنا فكه؟

- فعلا.

- هناك، أن يكون الإنسان منحوسا يعني شعور المرء بأنه مدعو للقيام بعمل.

استمرت السهرة هكذا، بعد أن توالت لحظات الاكتشاف، واللحظات التي أنتج فيها الاسترخاء إحساسا بمعرفة الآخر، ولما كانت قد نوت العودة إلى بيتها مبكرا، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل.. رحل الناس من حولهما، وحاول النادل أن يفهمهما بطريقة غير مهذبة أن وقت الرحيل قد حان، نهض ماركوس للذهاب إلى الحمامات، ودفع الحساب، فعل ذلك بكثير من الظرافة، وفجأة أصبحا في الخارج، اقترح عليها مرافقتها بالتاكسي، لقد كان مجاملا كثيرا، وأمام باب شقتها، وضع يده على كتفها وقبّلها على خدها، لقد أدرك في هذه اللحظة، ما كان قد عرفه في السابق، لقد كان عاشقا ولها بها، ورأت ناتالي أن كل اهتمام من اهتمامات هذا الرجل كان اهتماما مرهفا، وحقا كانت قد شعرت بالسعادة في هذه اللحظة من خلال مرافقته، ولأنها لم تستطع أن تفكر بشيء آخر، فقد تمددت على سريرها، وأرسلت له رسالة قصيرة تشكره فيها، ثم أطفأت النور.

58

الرسالة القصيرة التي أرسلتها ناتالي
إلى ماركوس
بعد أول عشاء لهما

* * *

شكرا لهذه السهرة الجميلة

59

رد بكل بساطة:

- شكرا لأنك أنت من جعلها جميلة.

أراد أن يجيب بشيء ما أكثر أصالة، وغرابة، وتأثيرا، ورومانسية، وأدبية، وروسية، وبنفسجية، ولكن في نهاية المطاف، كان ذلك يمضي كله بصورة جيدة مع حرارة اللحظة. في سريره عرف أنه لن يكون قادرا على النوم؛ كيف يمضي إلى الحلم وهو الذي غادره للتو؟

نام قليلا، ولكنّ قلقا أيقظه، عندما يتحقق الموعد على أحسن ما يرام، فإن المرء يطير من الفرح، ومن ثم، وبشكل تدريجي يدفعه الوعي إلى توقع الأحداث التالية، أما إذا كانت الأمور تجري على غير ما يرام، في الأقل، وهذا جليّ؛ لم يعد لهما أن يلتقيا ثانية، ولكن هنا، كيف التصرف؟ كل ما اكتسبته من وعي وثقة بالنفس خلال تناول العشاء قد تبدد في الليل؛ لم يستطع إطباق جفنيه، هذا الإحساس جسّده حدث بسيط،

ففي الساعات الأولى، التقى كل من ناتالي وماركوس في الرواق، أحدهما ذاهب إلى ماكينة القهوة، والآخر عائد منها، وبعد تبادل الابتسامات المرتبكة تلفظا بكلمة صباح الخير بمبالغة مفرطة، كان الاثنان غير قادرين على أن ينبسا ببنت شفة، وأن يجدا ولو طرفة قد تؤدي إلى النفاذ لموضوع يتحدثا به، لا شيء، بل لا شيء، ولا حتى تلميحة إلى الوقت الذي كان ينسج من أشعة الشمس حكاية الغيمة. لا شيء، ولا أمل في التحسن، لقد غادر بعضهما البعض بهذا الانزعاج، لم يجدا شيئا يقولانه، ما عدا البعض كان يسمي ذلك بالفراغ الكوكبي لما بعد الظهر.

حاول ماركوس أن يهدّئ من نفسه في مكتبه، وكان الأمر طبيعيا تماما في ألّا تكون دائما في حالة الكمال، فالحياة هي على وجه الخصوص لحظات مشوشة، وشُطَب وبياض، فشكسبير لم يستحضر سوى اللحظات القوية التي جسّدتها شخصياته، ولكن روميو وجولييت في رواق، في صباح اليوم التالي لسهرة جميلة، بالتأكيد لا يمتلكان شيئا يتحدثان به، لم يكن كل ذلك مهما، إذ ينبغي بالأحرى أن يكون التركيز على المستقبل، هذا هو المهم، وعند ذاك يمكن القول إن التخلص من ذلك أمر حسن، وبسرعة اجتاحته أفكار السهرات والاقتراحات الليلية. دوّن كل ذلك على ورقة عريضة، يشبه تماما خطة هجوم، لم يعد الملف 114 موجودا في مكتبه الصغير، إذ إن ملف ناتالي قد مسح الملف 114، ولا يعرف لمن يبوح بذلك، وممّن يطلب النصيحة، لديه بعض الزملاء الذين كان يعقد معهم علاقات طيبة، فمع بيرتييه، على وجه الخصوص يتبادل الأسرار بين الحين والآخر، ويكشفان عن الجانب الحميمي لديهما، ولكن فيما يتعلق بناتالي،

فلـــم يكن واردا الكلام عنها مع أي شـــخص هنـــا، كان ينبغي أن يسور شكوكه بالصمت، بالصمت نعم، ولكنه كان يخشى من قلبه ألا يثير كثيرا من الضجيج، وهو يخفق بقوة.

تصفح كل المواقع على الإنترنت، والتي يمكن أن تقترح أمسيات رومانســـية، وجولات في سفينة (ولكن الجو كان باردا) أو سهرة مسرحية (ولكن في الغالب يكون الجو حارا في الصالات)، (ومن ثم فإنه كان لا يحب المســـرح)، لم يجد شـــيئا مثيرا، كان خائفا مـــن أن يبدو ذلك أكثر فخامـــة أو ليس كافيـــا، وبعبارة أخرى، ليـــس لديه أية فكـــرة عما كانت تريده، ولا عمـــا كانت تفكر به، وإذا كان ذلـــك ممكنا، فإنها كانت لا تريد أن تلتقي به ثانية. لقد قبلت تناول العشـــاء معه ذات مرة، وربما سيكون ذلك كل شيء، وكل شـــيء كان قد انتهى، فالوعود لا ترتبـــط إلا بوقت الموعد، ومع ذلك، شـــكرته على هذه الســـهرة الجميلة، أجل كتبت كلمة «جميلة»، غير أن ماركوس اســـتمتع بهذه الكلمة، ولم يكن هناك أي شيء، سهرة جميلة، كان يمكن أن تكتب «مساء جميلا»، ولكن كلا، لقـــد اختارت كلمـــة «جميلة»، وكانت هـــذه الكلمة «جميلة» مناسبة. حقا، يا لها من أمسية جميلة، يمكن أن نشبهها بالحقبة العظيمـــة التي تميـــزت بثيابها الطويلة والعريـــات.. «ولكن بمن ينشـــغل تفكيري» لقد أثارته لطمة، كان يفترض أن يتصرف وأن يتوقف عن الاستغراق في أحلام اليقظة. نعم، لقد كانت مناسبة هذه الكلمة «جميلة»، ولكن هذا لا يجديه فتيلا، وعليه أن يتقدم ويتابع، أو.. لقد كان تائها، ولا يمتلك أدنى فكرة. سلاســـته يوم أمس لم تكن إلا سلاسة ذلك المساء، ما هي إلا محض وهم، كان ينقلب إلى حالته البائسة كرجل من دون منزلة رفيعة، كرجل من

دون أدنى فكرة لضرب موعد ثانٍ مع ناتالي.

هنالك من يطرق الباب، قال ماركوس:

- ادخل.

كان الشـــخص الذي بدا هو مَن كتب أنه أمضى معه أمســـية جميلة. نعم، كانت ناتالي هنا، بقضّها وقضيضها:

- هـــل أنت على ما يرام؟ ألـــم أزعجك؟ يبدو عليك أنك كنت مستغرقا في التفكير.

- هاااا.. لا.. لست على ما يرام.

- أردت أن أعــرض عليك مرافقتي إلى المســـرح غدا.. لقد حجزت مقعدين.. وعندئذ إذا كان..

- إنني أحب المسرح، بكل سرور.

- إذن هذا أمر حسن، إلى مساء يوم الغد.

وهتفت أيضا: «إلى مســـاء يـــوم الغد»، ولكن كان ذلك بصورة متأخرة، لقد عامت الإجابة في الهواء، وهي منزعجة لأنها لم تعد لديها أذن صاغية، لقد كان كل عضو من أعضاء ماركوس يجرب سعادة حميمية، ومن ثم في وسط هذه المملكة من الانتشاء، كان قلبه يقفز من الفرح في كل جسده.

هذه الســـعادة وبطريقة غريبة جعلته رصينا، راقب في المترو كل شـــخص في داخل العربـــة، كل هؤلاء الناس كانوا يدســـون رؤوســـهم في صحفهم اليومية، ولم يعد يشعر حقا بأنه المجهول الـــذي يحل بينهم، لقد بقي واقفا، وكان يعرف أكثر من أي وقت مضى أنه يحب النساء، وذات مرة نظّم تحركات عمله الاعتيادي بشـــكل متسلســـل في بيته، لكنه كان بالكاد يشتهي تناول العشاء فيتمدد على ســـريره، ويحاول قراءة بعض الصفحات، ثم يطفئ

النور، هذا كل ما في الأمر وحسب؛ لم يأتِه النوم، تماما وكأنه لم ينم منذ أول قُبلة لناتالي تقريبا، كانت قد قطعت نومه.

60

خلاصة جرعة الغورونسان
حالات التعب العابر لدى البالغين.

61

انقضى النهار بكل سهولة، وكان هناك اجتماع للمجموعة، وهو اجتماع اعتيادي، حتى إن أحدا لم يكن يستطيع أن يتخيل أن ناتالي ستذهب إلى المسرح مساء مع ماركوس، والأصح كان ممتعا بوصفه إحساسا، كان الموظفون مولعين بمعرفة الأسرار، وإنشاء روابط سرية، ويعيشون حياة لا يعرفها أحد، وهذا ما يثير الزوجين اللذين تشكلا مع الشركة، وكانت ناتالي تمتلك قدرة على تقسيم الأشياء، فمأساتها، ولاعتبارات عديدة، أفقدتها الإحساس، أي بمعنى أنها كانت تقود الاجتماع بطريقة روبوتية، ناسية إلى حد ما أن النهار سينتهي إلى سهرة، أما ماركوس فكان يود أن يجد في عين ناتالي اهتماما خاصا، وعلامة على الرضا، غير أن هذا لم يدخل في آليته.

وينطبق الأمر على كلوئه أيضا التي كانت تأمل بأن الآخرين يدركون، أحيانا، العلاقة المتميزة التي تقيمها مع مسؤولهم، وكانت هي الوحيدة التي تقضي أوقاتا يمكن أن تدخل في فئة «المخاطبة

بصيغة المفرد - رفع الكلفة»، ومنذ هرب ناتالي، لم تسع كلوئه إلى تنظيم نزهة جديدة، كانت تعرف الجزء الخطر الذي تنطوي عليه هذه الأوقات، ولأنها الشاهد على هشاشة رئيسها كان يمكن أن ينقلب ضدها، وكان هذا هو السبب الذي يجعلها تثير الانتباه إلى عدم خلط الأجناس، وإلى احترام التسلسل في الدرجات، وفي نهاية النهار جاءت لتلتقي بها:

- هل أنت بصحة جيدة؟ نحن لم نتكلم إلا قليلا في المرة الأخيرة.

- نعم، وهذا خطئي يا كلوئه، ولكنها كانت لحظة مناسبة، حقا.

- آه هذا صحيح؟ أنت جزء من إعصار، وكانت لحظة مناسبة؟

- نعم، أؤكد لك.

- نعم الأمر إذن.. أتريدين أن أعود هذا المساء إلى ذلك؟

- آه كلا، متأسفة، لا أريد، إنني ذاهبة إلى المسرح.

قالت ذلك ناتالي وكأنها كانت تعلن ولادة طفل غضّ.

لم ترغب كلوئه بأن تبدو مندهشة، ولكن هناك ما تكون عليه، لقد كان من الأفضل عدم الإشارة إلى الطبيعة الوقائعية لمثل هذا الإيضاح، تتصرف وكأن شيئا لم يكن. لقد بقيت برهة من الزمن تنظم المعطيات الأخيرة من ملفها، وتتصفح بريدها، ومن ثم تناولت معطفها لتهم بالخروج، وفيما هي تتجه نحو المصعد، أذهلتها رؤية غير محتملة الوقوع: لقد رحل كل من ماركوس وناتالي معا، اقتربت منهما، من دون أن يريانها، وبدا لها أنها تسمع كلمة «مسرح»، وفي الحال شعرت للمرة الثانية بشيء ما لم تستطع تحديده، ما يشبه الإحراج، أو الاشمئزاز حتى.

62

كانت الكراسي في المسرح ضيقة، وبصدق كان ماركوس منزعجا، وكان يتحسـر لأنـه يمتلك سـاقين طويلتين، وكانت تلك حسـرة لا طائل منها بالمطلق (لا يوجد اسـتئجار ساقين قصيرتين)، فباستثناء التصرف الآخر الذي زاد من عذابه، حيث لا يوجد أسوأ من أن يكون المرء جالسـا إلى جنب امرأة يتحرق شـوقا للنظر إليها. كان المشهد يقع إلى يسـاره وليس على خشبة المسرح. ومن جهة أخرى، ما الذي كان يشـاهده؟ لم يشغله أكثر من ذلك، وبالأخص عندما يتعلق الأمر بمسرحية سـويدية! هل كانت مصادفة مؤسفة؟ كاتب أنهى دراسته في أوبسـالا على الأكثر، من الأفضل الذهاب لتناول العشاء في بيت والديه، كان شـارد الذهن ليدرك الأمر في الحبكة. قد يتحدثان عن ذلك بالتأكيد فيما بعد، وسيُعرف بالأبله، كيف استطاع التغاضي عن هذا المظهر؟ ينبغي له أن يفكر مليا، وأن يعد تعليقات ذكية.

في نهاية العرض المسرحي، كان مندهشا مع ذلك وهو يحس بانفعال حي، ربما إحسـاس نابع من الانتساب السويدي، كذلك بدت ناتالي سـعيدة، ولكن في المسـرح، من الصعوبة بمكان أن تعرف، إذ يبدو الناس سـعداء أحيانا لأبسـط سبب من مشهد الصَّلـب الذي يتحقق فـي النهاية. وذات مرة فـي الخارج أراد ماركـوس أن يخوض فـي النظرية التي عرضـت خلال الفصل الثالث، إلا أن ناتالي حسمت النقاش بسرعة:

- أعتقد أنه من الواجب علينا أن نحاول الاسترخاء الآن.

فكر ماركوس بساقيه، لكن ناتالي أفصحت:

- هيا نتناول كأسا.

والحالة هذه كان هنا الاسترخاء.

63

مقطع من الآنسة جولي

لأوغست سترنبرغ

الاقتباس الفرنسي من قبل بوريس فيان

المسرحية التي شاهدتها ناتالي مع ماركوس

في سهرتهما الثانية

الآنسة:

- هل مفروضة عليّ طاعتك؟

جان:

- لمـــرة واحـــدة، ولمصلحتك! أرجوك! كان الليل على وشـــك، والنعاس يجعل الإنسان ثملا، ورأسه يحتد!

64

حدث أمر حاســـم، عمل تافه أخذ مساحة من الأهمية وكأنه عمل عظيم، كل شـــيء مر تماما مثلما حدث في أول سهرة، فقد كانت الجاذبية تؤثر وتتسع أيضا، خرج ماركوس من ذلك بلباقة، ابتسم ابتسامة أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها ابتسامة سويدية، توشـــك أن تكون نوعا من الابتســـامات الإســـبانية. ربط بعض النوادر الممتعة، وعاين المراجع الثقافية والإشـــارات الشـــخصية

عــن علم، وأفلح في الانتقال من مراحل ما هو خاص إلى ما هو عام، وعرض بلطف هذه الآليــة الجميلة لرجل اجتماعي، ولكن فــي قلب بحبوحته، كان هناك قلق قد اســتحوذ عليه وهو الذي سيدير هذه الآلة بصورة سيئة؛ لقد شعر بشبح الكآبة.

في البدء، كان ذلك يشــكل بقعة صغيرة، تشبه شكل الحنين إلى الماضــي، ولكن كلا، إذا ما اقتربنا جيدا، كان يمكن أن نميز المظهر البنفسجي الباهت للكآبة، وعن كثب أيضا، يمكن أن نرى الطبيعة الحقيقية لحزن مؤكد، وبــين الفينة والأخرى، وبصورة تشــبه غريزة مرضية ومثيرة للعواطف، كان قد وجد نفســه في مواجهة خواء هذه الســهرة، فتســاءل: ولكن لماذا أنا منشغل في محاولــة الظهور فــي أفضل أيامي؟ ولماذا أنا منشــغل في إثارة هذه المرأة على الضحك؟ ولماذا أنا منشغل في التمسك بمحاولة الافتتان بها وهي التي كانت منيعة عليّ بشكل جذري؟

كان ماضيه كرجل متقلب يمسك به بقسوة، ولكن لم يكن ذلك كل شيء، هذا التقدم في الانكفاء، عززه حدث ثانٍ حاسم بشكل تراجيدي، لقد ســكب كأســه من النبيذ الأحمر على السماط، لعله كان يرى في ذلك حماقة ســاذجة، وربما كانت لطيفة؛ لقد كانت ناتالي تتحســس الحماقة دائما، ولكن في هذه اللحظة، لم يعــد يفكر بها، كان يرى في هذا الحدث الذي لا قيمة له علامة خطيرة جدا؛ علامــة ظهور اللون الأحمر، نتيجــة لتدفق اللون الأحمر المتواصل في حياته.

قالت ناتالي وهي تلاحظ مظهر ماركوس المفجوع:

- ليس خطيرا.

بالتأكيــد لا، لــم يكن خطيــرا، لقد كان مأســاويا، إن اللون

الأحمـــر يحيله إلى بريجيت، إلى رؤية النســاء فــي العالم كله، النســاء اللواتي رفضنه، وفي أذنيه تدندن ضحكة هازئة، وتظهر لــه كل صور اســتيائه؛ لقــد كان طفلا عندما ســخروا منه في باحة المدرســة، وكان جنديا عندما ضايقه من كان أقدم منه في الجندية، وكان ســائحا عندما احتالوا عليــه.. هذا هو ما مثله الجــزء البارز مــن البقعة الحمراء على الســماط الأبيض، كان يتخيل أن الناس يراقبونه، وأن الناس يوشوشــون عندما مروره، كان يعوم في بدلته الجذابة، وما كان يستطيع أحد أن يوقف هذا الانهيار الهذياني. انهيار فضحته الكآبة، والإحساس الساذج في التفكير بالماضي مثل غريــق. في هذه اللحظة، لم يعد للحاضر وجود، وكانت ناتالي مثل ظل، أو شبح ينتمي للعالم الأنثوي.

نهــض ماركوس وبقي للحظة معلقا في الصمت، كانت ناتالي تحدّق فيه، من دون أن تعرف ما سيقوله، هل سيكون طريفا؟ هل سيكون مخيفا؟ وفي نهاية المطاف، أعلن بصوت هادئ:

- من الأفضل أن أذهب.
- لماذا؟ بسبب النبيذ؟ ولكن.. هذا ما يحدث لكل الناس.
- كلا.. ليس كذلك.. بالضبط.
- بالضبط ماذا؟ هل أزعجتك؟
- ولكن لا.. بالتأكيد لا، حتى الموت، ليس بوسعك إزعاجي.
- إذن ماذا؟
- لا شيء، حقا إنك آنستِني، لقد أنستِني حقا.
- .....
- ليس لــدي ســوى رغــبة، رغــبة بأن أقبّلك ثانية.. ولكنني لا أستطيع أن أتخيل لحظة واحدة ترضيك.. وعندئذ أعتقد بأنه

من الأفضل التوقف عن القيام بلقاءات بيننا .. سأعاني بالتأكيد، ولكن ستكون هذه المعاناة طفيفة، إذا ما تجرأت بالقول.

- هل تفكر هكذا طوال الوقت؟

- ولكن ماذا أفعل بدلا من التفكير؟ ماذا أفعل من غير أن أكون هنا، وجها لوجه معك، بكل بساطة؟ هل باستطاعتك القيام بذلك، أنت؟

- أن تكون وجها لوجه معي؟

- ترين جيدا أن ما أقوله يمكن أن يعد حماقة، من الأفضل أن أذهب.

- بودي أن تبقى.

- ما الفائدة.. لا أعرف؟

- ما الذي تفعله معي، هنا؟

- لا أعرف، كل ما أعرفه بالضبط هو أنني جيد معك، وأنتِ كائن بسيط.. لطيفة.. ورقيقة معي.. وأدرك أنني بحاجة لذلك، هو ذا، وهذا كل ما في الأمر!

- وهذا كثير، أليس كذلك؟

كان ماركوس واقفا دائما، نهضت ناتالي بدورها، وبقيا هكذا للحظة، وقد تسمّرا حائرين، رؤوس تلتفت تجاههما، بالأحرى من النادر أن تتم حركة عندما يكون واقفا. ربما الأمر يتطلب التفكير بلوحة مارغريت هذه، حيث يهبط الرجال من السماء مثل رواسب كلسية متدلية من مغارة، هناك إذن بعض من الرسم البلجيكي في هيئتهما، وبالتأكيد، لم تكن تلك الصورة الأكثر تسكينا للروع.

65

خــرج ماركوس من المقهى، تاركا ناتالي فيه، لقد ســنحت له الفرصـــة الكافية للهرب، لم تكن تفهــم حالته، كانت أن أمضت ســهرة جميلة، والآن تريد منه ذلك، ومــن دون أن يعرف الأمر، تصـــرف ماركوس بتألق، لقد أيقظ ناتالي، ودفعها إلى أن تطرح عددا من الأسئلة، قال إنه كان يريد أن يقبّلها، أما كان غير ذلك؟ هل كانت لديها رغبة بذلك؟ كلا، لم تفكر به.

لم تشــعر به على وجه الخصوص.. ولكــن لا أهمية لذلك حقا، لم لا؟ كانت ترى أنه منشغل بأمر ما، ومن ثم كان ظريفا، إذن لمــاذا رحــل؟ يا لها مــن حماقة! الآن كل شـــيء قد تبدد، وكانت هي منزعجة أشــد الانزعـــاج. يا لها من حماقة! نعم يا لها من حماقة! كانت مستمرة في الوقت الذي كان فيه الزبائن فـــي المقهى يحدقـــون بها، هي، امرأة جميلـــة جدا تركها رجل مـــا، لم تفهم هذه النظرات، وبقيـــت هناك جامدة في غضبها المحبط بسبب عدم السيطرة على الموقف، وبسبب عدم معرفة الإمساك به، وعدم فهمه، كان عليها أن تلوم نفسها، وألا تفعل شـــيئا، وهـــي بالتأكيد كانت جذابة في نظـــره، ومن أجل ذلك يمكن أن يبقى إلى جنبها.

ذات مرة، عـــادت إلى بيتها، طلبت رقم هاتفه، ولكنها أوقفته قبل الرنين، كانت تتمنى أن يطلبها، ولكن بعد كل شيء، كانت هي من اتخذت مبادرة الســـهرة الثانية، كان بالوسع أن يشكرها على الأقل، ويرسل لها رسالة، كانت هناك تنتظر أمام هاتفها، وكانت

تلك هي المرة الأولى التي تعيش ذلك منذ زمن بعيد، أي الانتظار. لا تستطيع النوم، لقد كانت تتناول قليلا من النبيذ، وتسمع الموسيقى، آلان سوشون، الأغنية التي كانت تحب سماعها مع فرانسوا، لم تكن لديها القدرة على سماعها، هكذا، من دون أن تنهار، كانت مستمرة في التحرك بصالتها، والرقص حتى، تاركة النشوة تتسرب في أعماقها مع حيوية الوعد.

66

الجزء الأول من الحب الهارب
أغنية آلان سوشون
التي استمعت إليها ناتالي بعد
سهرتها الثانية مع ماركوس
مداعبات مصورة على بشرتي الحساسة
يمكن أن نرمي كل اللحظات، والصور، إنني حر.
هنالك الورقة الشفافة الملتصقة دائما
كي نضع كل هذه العذابات على المربع ثانية
كانت الصورة جميلة، والعشاق بارعين.
جهزنا بيتا، فالسعادة لاثنين لا أبالي بك
هيا بسرعة اجعل من القدح قطعا تقطع وتدمي
هنالك فوق البلاط، الخزف الصيني
نحن، نحن، لم نقاوم
بو، بو، هذا يسيل على خدك
نفترق ولا شيء عندنا سوى أن نجد تبريرا

هو الحب الهارب
الحب الهارب

67

لقد كان ماركوس يسير على امتداد الهاوية، وهو يشعر بالريح تحـــت قدميه، وعندما عاد إلى بيته ثانية، في ذلك المســـاء، بقي مســـكونا بالصـــور المؤلمة، هـــل يمكن أن يكـــون كل ذلك مرتبطا بســـترانبرغ؟ ينبغي أن نتجنب بكل تأكيد مواجهة جزع مواطنيه. جمـــال اللحظة، جمال ناتالي، كل هذا، كان قد رآه مثل شـــاطئ نهائـــي؛ إنه الدمـــار. كان الجمال هناك أمامـــه، وهو يحدق به مباشـــرة في عينيه، مثل نظرة تراجيدية مسبقة، لقد كان هناك موضوع «موت في فينيســـيا» مع هذه الجملـــة المركزية: «إن من يتأمل الجمال كتب له الموت»، وعندئذ نعم، كان يمكن لماركوس أن يبـــدو متفيهقا، وحتى غبيا في هربه، ولكن كان ينبغي له أنه قد عاش ســـنوات عديدة في العدم لكي يفهم كيف يمكن أن يفزعه احتمال على حين غرة.

لـــم يتصل بها هاتفيا، وكانت - وهي التي تحب جانبا منه من بلاد الشـــرق - أن اندهشت نتيجة اكتشـــافها له مهيبا ثانية في بلادها الســـويد، والأكثر من ذلك، الـــذرة البولونية في حدودها الدنيـــا في أعماقه. كان ماركوس قد قرر إغماض عينيه، و«عدم اللعـــب بالنـــار الأنثوية»، نعم، كانت مثل هـــذه الكلمات هي التي تدور في رأســـه، والمحصلة الأولى هي التالـــي: لقد قرر أنه لن يعود ليحدق بها في عينيها.

في صبيحــة اليوم التالي، وعند وصولهــا إلى المكتب التقت ناتالي بكلوئــه، ونعترف على الفور بأن هــذه الأخيرة كانت من مؤيدي المصادفة الكاذبة، وكان لها أن أخذت تســير ذهابا وإيابا في الممرات تماما من أجل اللقاء بمسؤولتها (يمكن أن نتساءل إن كانت المصادفة موجودة حقا؟ هل كل الأشــخاص الذين التقتهم يمشــون في محيطنا مــع أمل متواصل للقاء بنــا؟ وهم يفكرون بذلك، حقا يبدو أنهم مبهورون في الغالب).

لقد مضت بصورة بواب حقيقي، من دون أدنى أناقة مشاكس في محاولة الحصول على بعض الأسرار:

- نهارك سعيد، ناتالي، هل أنت بخير؟
- أجل بخير، إنني أشعر بقليل من التعب.
- أكان ذلك بسبب مسرحيتك ليوم أمس؟ هل كانت طويلة؟
- لا، ليس ذلك على وجه الخصوص..

شــعرت كلوئه بأن الأمر ســيكون معقدا فــي معرفة المزيد، ولكن، بالمصادفة، جرت الواقعة بكل بساطة، كان ماركوس يسير باتجاههما، وهو أيضا كان يبدو أنه يجد نفســه في حالة غريبة، حاولت المرأة الشابة بشكل ما أن توقفه:

- آه نهارك سعيد يا ماركوس، هل أنت بخير؟
- نعم بخير.. وأنت؟
- بخير.

لقــد كان يرد وهو يتجنب التحديق بمحاورتيه، وقد أبان هذه الموقــف انطباعا غريبا جــدا، كالانطباع النــاتج عن الكلام مع شخص ما غريب على عجل لأن ماركوس لم يكن ليبدو عليه أنه على عجل من أمره بالضبط.

- بخير؟ أتعاني من ألم في الرقبة؟
- كلا.. كلا.. بخير.. حسن ينبغي أن أذهب.

وذهب، تاركا المرأتين مذهولتين، وفكرت كلوئه في الحال:

- إنه منزعج بشكل مرعب.. لقد ناما معا اضطرارا.. لم أجد تفسيرا آخر.. وإلّا لماذا كان يتجاهلها؟

وعند ذاك ابتسمت لناتالي ابتسامة عريضة:

- هل بوسعي أن أطرح عليك سؤالا؟ هل ذهبت مع ماركوس يوم أمس إلى المسرح؟
- هذا لا يعنيك.
- حسنا.. من المناسب أنني كنت أفكر بأننا كنا نتشاطر بعض الأمور، نحن الاثنتان، أما أنا، فقد أخبرتك بكل شيء.
- ولكن بالنسبة لي، ليس لدي ما أقوله، حسنا من الأفضل أن نباشر العمل.

لم تحر ناتالي جوابا، لم تحب التطفل الذي سمحت به كلوئه لنفسها، كنا نرى في عينيها التماسا محرضا من القيل والقال. كانت كلوئه، وهي منزعجة، تتلعثم في أنها كانت قد أعدت حفلة مشروبات لمناسبة عيد ميلادها غدا، وكانت ناتالي قد أبدت إشارة غير واضحة تقول نعم بشكل مبهم، ولكنها لم تكن متأكدة من حضورها.

في وقت متأخر، وفي مكتبها ربما كانت ما تزال تفكر بما ينقص كلوئه من رقة، وخلال شهور عديدة عاشت ناتالي مع شائعات كثيرة حول طريقها، مراقبون سريون من أجل معرفة كيف صمدت، وما الذي كانت تقوم به، والطريقة التي اعتمدتها في عملها؟ هذه المراقبة، كانت تنم عن تعاطف

بشــكل عميق، لقد كانت تشعر بها مثل ثقل، في تلك الحقبة كانت تتمنى ألا يحدق بها أحد، لقد عقدت المظاهر المستمرة من الحنان العمل لديها بشكل متناقض، كانت تحتفظ بذكرى مُرة عن تلــك الحقبة التي أثارت إليهــا الانتباه، وعند ذلك، عندمــا كانت تفكر ثانية بانطباع كلوئـــه، أدركت أن عليها أن تكون حذرة، وألا تذكر أي شيء من قصتها مع ماركوس، ولكن هل كانت قصة؟ بموت فرانســوا فقدت كل معالمها، كان لديها إحســاس يتملكها بالعودة إلى المراهقة، إن كل ما كانت تعرفه عن الحــب قد تدمر، كان قلبها يخفق علــى حطام، لم تفهم ســلوك ماركوس، وطريقته بعدم التحديق بها، حقا كان ذلك يشبه فيلما سينمائيا، أو إذن:

- هل كان مجنونا؟

كان جنونــا عذبا أكثر من كونه جنونا محتملا، لم تكن تفكر: ينبغــي أن يحب امرأة لا يريد رؤيتهــا حقا، كلا، لم تفكر بذلك، وهي كانت تستقر في الفوضى بكل بساطة.

68

ثلاث شائعات تخص جورن أندرسون

الممثل الذي أدى دور تازيو

في فيلم موت فينيسيا لوشينو فيسكونتي

* * *

لعله قتل ممثلا مثليا في نيويورك

* * *

ولعله مات في تحطم طائرة في المكسيك

* * *

ربما لا يأكل السلطة الخضراء

69

لم تكن لـــدى ماركوس رغبة بالعمل، ولذلـــك بقي واقفا أمام نافذتـــه، يتأمل الفـــراغ. كان الحنين يتفجر فـــي أعماقه، وبدقة متناهية، فإن هذا الحنين لا طائل منه، هذه الصورة الخادعة التي يمتلكهـــا ماضينا المنحوس هي صورة تعبر في الوقت نفســـه عن سحر. وفي هذه اللحظة، كانت تبدو له طفولته التي كانت طفولة بائســـة مثل نبع حيـــاة، كان يفكر بالتفاصيـــل، فوجدها تفاصيل مؤثرة في حين إنها كانت مثيرة للشـــجن دائما، كان يريد أن يعثر على ملاذ في أي مكان، شـــريطة أن يتيح له الهرب من الحاضر، ومع ذلك، فإنه كان في أيامه الأخيرة هذه، ينتظر ما يشبه الحلم الرومانتيكي في ذهابه إلى المسرح مع امرأة جميلة، عند ذاك لماذا كان يشعر بالحاجة الملحة للقيام بالمسير إلى الوراء؟ بالتأكيد كان يتمنى أن يحصل على شيء يسير، ويمكن تحديد ذلك بـ «الخوف من الســـعادة»، ويقال إن المرء يرى أجمل اللحظات في حياته قبل المـــوت، يبدو أنه من الجائز أن المرء يســـتطيع أن يشـــهد خراب الماضي الواحد تلو الآخـــر وإخفاقه في الوقت الذي تكون هناك سعادة، أمامنا، بابتسامة مثيرة للقلق إلى حد ما.

طلبت منه ناتالي أن يذهب إلى مكتبه، فرفض، وقال:

- أريد أن أراك، ولكن عبر الهاتف.

- تراني عبر الهاتف؟ هل أنت متأكد من أن يحصل ذلك؟
- الأحوال مرضية، شكرا، طلبت منك بالضبط عدم الدخول في مجال رؤيتي خلال بضعة أيام، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أطلبه منك.

كانت تبدو مكتئبة أكثر فأكثر، ومع ذلك، حدث لها أيضا أن شعرت بأن قدرا من الغرابة قد لفتت انتباهها، كانت أرضية أسئلتها واسعة، وتساءلت فيما لو كان موقف ماركوس ليس أسلوبا إستراتيجيا، أو أنه ما يزال أسلوبا حديثا من الظرافة والحب؟ بالتأكيد كان على خطأ، فقد كان ماركوس غارقا حتى أذنيه في أول محطة تجعله ينهار.

في نهاية يوم العمل، قررت عدم متابعة توصياته، ودخلت إلى مكتبه، وفي الحال التفت بنظره.

- هذا غير ممكن! فضلا على ذلك، تدخلين من دون أن تطرقي الباب.
- لأنني أريد أن تحدق بي.
- لا أريد.
- أنت دائما أنت هكذا! ورغم ذلك أليس هذا بسبب كأس من النبيذ الأحمر؟
- إلى حد ما.. نعم.
- هل حدث ذلك مصادفة؟ لإثارة فضولي، أليس كذلك؟ عليّ أن أقول إن الأمور تسير على ما يرام.
- ناتالي، أعدك، ليس هنالك أي شيء آخر ينطوي على ما قلته لك، إنني أدافع عن نفسي، وهذا كل ما في الأمر، ليست هذه القضية عصية على الفهم.

- ولكن إذا بقيت هكذا ستؤذي رقبتك.
- أفضّل إيذاء رقبتي عن إيذاء قلبي.

بقيت معلقة بهذه العبارة الأخيرة، وقد ترجمتها كتعبير، ككلمة حتى.. الرقبة والقلب، ثم استأنفت:

- وإذا ما أردتُ أن أراك؟ وإذا ما أردت أن أمضي بعض الوقت معك؟ وإذا ما أحسست بأنني معك؟ ماذا أصنع؟
- هذا غير ممكن، لن يكون ممكنا أبدا، من الأفضل أن تخرجي.

لم تعرف ناتالي ما تصنع، أكان عليها أن تقبّله، أو تصفعه أو تطرده، أو تتجاهله، أو تذله، أو تتوسل إليه؟ وفي نهاية المطاف أدارت قبضة الباب، وخرجت.

70

في اليوم التالي، وفي نهاية يوم العمل، كانت كلوئه تحتفل بعيد ميلادها، لم تكن تحتمل أن أحدا يستطيع أن ينسى ذلك، فبعد مرور عدة سنوات سيكون بالتأكيد على العكس، كان بالإمكان تقويم طاقتها، وهذه الطريقة التي تجعل العالم الكئيب متوقدا، هذه الطريقة التي تدفع بالعاملين الحاليين في مزاج مصطنع، من الناحية العملية، كل الأجراء من المستوى نفسه كانوا هناك، وكانت كلوئه بينهم، تحتسي كأس شمبانيا، تنتظر هداياهم، وكان هناك شيء مؤثر، وجذاب إلى حد ما في هيئة مُبالغة في نرجسيتها على نحو مضحك.

لم تكن الغرفة واسعة، بيد أن ماركوس وناتالي بذلا جهودا

من أجل أن يقف كل منهما عن الآخر بمسافة بعيدة، وأخيرا بلغ بهـا الأمر الموافقة على طلبه، وحاولت، مهما كان الأمر مسـيئا ألا تظهـر في ميدان رؤيتـه، أما كلوئه التي كانـت تتابع لعبتها الصغيرة، لم تكن مخدوعة، «كانت لديهم طريقة بعدم الكلام مع بعضهمـا، حتى لو تحدّث مجلدات»، هكذا فكرت، يا له من ذهن متوقد! ولكن حسـنا، لم تكن تريد أن تنشغل بهذه القصة، نجاح كلفـة عيد ميلادهـا، وهذا كان هو الأسـاس، كل العمال، كانوا يقفون باسـترخاء، وكل واحد يمسك بكوب في يده، وهم يرتدون أطقما وبزات، بهذا الفن الذي تسيطر عليه الودّية. كان ماركوس يراقب أدق الانفعالات التي تبدو من كل واحد، فوجد ذلك مثيرا للضحك، ولكن بالنسـبة له، كان الشـيء المثير للضحك يمتلك مظهرا إنسـانيا بشـكل عميق، وهو أيضا كان يريد أن يشـارك بهـذه الحركة الجماعية، لقد أحس بضرورة القيام بهذه الأمور، وفي نهايـة العصر طلب بالهاتف باقة من الـورد الأبيض، باقة ضخمـة بإفراط تليق بعلاقته مع كلوئه، كحاجة للتعلق بالبياض، على امتـداد البياض، البياض الذي يمحـو الأحمر، في الوقت الذي كانت المرأة الشـابة تسلم فيه الورد قدمت لاستقبالها، كان ماركوس ينزل، إنها صورة مدهشة؛ لقد استحوذت على ماركوس باقة كبيرة في هذا البهو العملي، والذي لا روح فيه.

وهكذا سـار باتجاه كلوئه، وقد تقدمته كتلـة رائعة وبيضاء، ورأته هي قادما فسألت:

- أهذه لي؟

- نعم، عيد ميلاد سعيد يا كلوئه.

كانت منزعجة، التفتت إلى ناتالي بشكل عفوي، لم تكن كلوئه

تعـــرف ما تقوله لماركوس، لقد كان هو من يرتدي البياض بينهم، مريعه الأبيض فوق عمق البياض. كل الناس كانوا يحدقون بهما، وأخيرا فإن مـــا كان يمكن أن يُرى مـــن وجهيهما أجزاء صغيرة مســتثناة من البياض. شعرت كلوئه بأن عليها أن تقول شيئا ما، ولكن ماذا؟ وأخيرا:

- هذا ليس ضروريا، هذا كثير.

- نعم، بكل تأكيد، ولكنني أرغب بالبياض.

تقدم أحد الزملاء بهديته، وقد استفاد ماركوس من ذلك لكي يتراجع.

لاحظت ناتالي المشهد من بعيد، كانت تريد أن تحترم قوانين ماركـوس، ولكنها كانت منزعجة إلى أبعد حد، لأنها شـــاهدت، وقررت أن تأتي وتكلمه.

- لمَ قدمت لها مثل هذه الباقة؟

- لا أعرف.

- اســـمع.. لقد بدأت أضيق ذرعا بهيئتك الانطـوائية.. أنت لا تريد أن تهتم بي.. ولا تريد أن توضح لي.

- أعـــدك بأنني لا أعرف، إنني المتضايـــق الأول، إنني أدرك جيـــدا أنها غير متناســـقة، ولكن هذا ما حـــدث، عندما طلبت الأزهار، تكلمت عن باقة كبيرة من الورد الأبيض.

- أنت مغرم بها، أليس كذلك؟

- هل أنت غيورة، أم ماذا؟

- لست غيورة، ولكنني بدأت أتساءل عن أن في مظهركما من الاكتئاب المثقل بسويديتها، لم تعد أنت فاتن النساء الكبير.

- وأنت.. خبيرة بالنفس الذكورية، وهذا مؤكد.

- هذا مضحك تماما.
- ما هو مضحك هو أنني جلبت هدية لك أيضا.. ولم أقدمها لك.

حدّق كل منهما بالآخر، ثم قال ماركوس:
- كيف كان بوسعي التفكير بأنه لم يعد باستطاعتي رؤيتها؟

ابتسم لها ابتسامة، وردت على ابتسامته بابتسامة أخرى، لقد كانت حفلة جديدة من الابتسامات، وفجأة مثلما يتخذ المرء قرارات في بعض الأحيان، يقال إن كل شيء سيكون هكذا من الآن فصاعدا، ويكفي حركة طفيفة من شفتين لتحطيم الثقة بما هو مؤكد كان يبدو أبديا، لقد نبعت عزيمة ماركوس كلها من انهياره أمام الواقع، واقع وجه ناتالي، الوجه المتعب، الوجه الذي أفسده عدم التفهم، ولكنه مع ذلك هو وجه ناتالي، ومن دون أي كلام، غادرا الحفل خلسة، ليجدا نفسيهما في مكتب ماركوس.

71

كان المكان ضيقا، وكان الارتياح فيما بينهما يكفي لأن يملأ الغرفة، كانا سعيدين لأنهما وجدا نفسيهما وحدهما، كان ماركوس يحدق بناتالي، غير أن التردد الذي كان يقرؤه في عينيها جعله في حالة مضطربة.

سألت:
- وعندئذ هذه هي الهدية؟
- أعطيها لك، ولكن أن تعدينني ألا تفتحيها قبل أن تصلي إلى بيتك.

- موافقة.

ناولها ماركوس علبة صغيرة وضعتها ناتالي في حقيبتها، وبقيا للحظة هكذا، «لحظة ما تزال مستمرة حتى الآن»، لم يشعر ماركوس بأنه مرغم على الكلام، وعلى ملء الفراغ، لقد كانا مسترخيين، وسعيدين بلقائهما ثانية، وبعد لحظة، قالت ناتالي:

- ربما عليّ أن أعود، لأن ذلك سيبدو غريبا إذا لم أعد.

- أنتِ على صواب.

غادرا المكتب وتقدما في الرواق، وعند العودة إلى مكان الحفل، كانا مندهشين: لم يعد هناك أي شخص، فكل شيء قد انتظم واكتمل، فتساءلا: كم من الوقت استغرق بقاؤهما في المكتب؟

وفيما بعد، في بيتها، وهي جالسة على أريكتها، فتحت العلبة، فاكتشفت آلة توزيع حلوى النعناع، لم تلح على ذلك، لأن هذه الحلوى غير موجودة في فرنسا، هذه الإشارة أثرت فيها بشكل عميق، ارتدت معطفها، وخرجت ثانية، أوقفت سيارة أجرة وهي تؤشر بحركة من ذراعها (حركة بدت لها بسيطة على نحو مفاجئ).

72

موضوع من وكيبيديا يتعلق بحلوى الـ PEZ

هذا الاسم PEZ مشتق من الكلمة الألمانية pfefferminz النعناع المفلفل الذي يعد أول عطر تجاري، ولـ PEZ أصله من النمسا، ويصدّر إلى أرجاء العالم، وموزع هذه الحلوى يعد واحدا

مـــن مميزات العلامة التجاريـــة، والواقع أن تنوعه الواســـع هو الموضوع الذي بحثه ثانية هواة المجموعات.

73

مـــرة أخرى امـــام الباب، تـــرددت بعض الوقـــت، كان الوقت متأخرا جدا، ولكنها جاءت إلى هنا، وعند ذاك من العبث العودة علـــى أعقابها، قرعـــت الجرس مرة، ومرة ثانيـــة، وما من أحد، أخذت تقرع الباب، وبعد لحظة سمعت خطوات.

سأل صوت يبدو أنه جزع:

- من؟

فأجابت:

- أنا.

انفتـــح البـــاب، كانت رؤية ناتالي مشوشـــة، كان شـــعر أبيها أشـــعث، وعيناه زائغتين، كان يبدو مختل العقل إلى حد ما، وكأن هناك من ســـرق منه شيئا ما، وفي نهاية المطاف، ربما كان هذا ما يحدث؛ كان هناك من جاء وسرق منه نومه.

- ولكن ماذا تفعلين هنا؟ هل هنالك مشكلة؟

- كلا.. على ما يرام.. أردت أن ألتقي بك.

- في هذه الساعة؟

- نعم، كان الأمر ملحا.

دخلت ناتالي إلى بيت أبويها.

- والدتك نائمة، كنـــت تعرفينها، كان يمكن للعالم أن يتوقف من أجل أن تكمل نومها.

- كنت أعرف أنك كنت أنت من سأوقظه.

- أتشربين شيئا.. شرابا ساخنا من الأعشاب المنقوعة؟

قبلت ناتالي، وذهب أبوها إلى المطبخ، هنالك ما يجبر الخاطر في علاقتهما، وبعد تجاوز المفاجأة، استعاد أبوها هيئته الهادئة، كان هناك إحساس بأنه سيأخذ الأمور على عاتقه، ومع ذلك، في تلك اللحظة من الليل فكرت ناتالي سرا بأنه قد شاخ، لقد رأت هكذا، وبخاصة من خلال طريقته في المشي بخفية. كانت تقول في نفسها:

- هذا رجل مستيقظ في عز الليل، ولكن لديه متسع من الوقت ليلبس خفيه كي يمضي ليرى ما يحدث، هذه اليقظة الحذرة كانت مثيرة للعاطفة، ثم عاد أدراجه إلى الصالة.

- ما الذي حدث؟ وما الشيء الملحّ؟

- كان بودي أن أبيّن لك ذلك.

عندئذ أخرجت الحلوى من فمها، وأبدى الأب الانفعال نفسه الذي حدث لابنته، كان هذا الموضوع يحيلهما إلى الصيف ذاته، وفجأة، حيث كانت ابنته في الثامنة من العمر، اقتربت من أبيها بلطف لتضع رأسها فوق كتفه. كان في هذه الحلوى كل حنان الماضي، كلّ ما كان قد تبدد مع مرور الزمن، ليس بقسوة وإنما بطريقة مسهبة. في الحلوى الزمن ما قبل المأساة، الزمن الذي كان فيه الوهن يتلخص بسقطة واحدة، ومس بالكرامة، وفي الحلوى فكرة أبيها، الرجل الذي كانت تهرع إليه عندما كانت طفلة، فيحتضنها بين ذراعيه وبجانبه مرة، كان بإمكانها التفكير في المستقبل بيقين هائج، لقد بقيا وقد أذهلهما تأمل الحلوى التي حملت كل لمسات الحياة، حاجة متناهية الدقة ومثيرة للضحك، ولكنها مؤثرة مع ذلك.

عند ذاك أجهشت ناتالي بالبكاء، بالبكاء حقا، دموع الألم هذه التي أمسكت بها أمام أبيها، لم تكن تعرف لماذا، ولكنها لم تهمل نفسها أمامه، ربما لأنها ابنته الوحيدة؟ وربما كان يجب عليها أن تمثل دور الصبي؟ الصبي الذي لا يبكي، ولكنها كانت طفلة صغيرة، طفلة فقدت زوجها، وعند ذاك، بعد كل هذا الوقت، وفي بيئة طائشة من الحلوى، أخذت تجهش بالبكاء بين ذراعي أبيها مستسلمة على أمل من السلوى.

74

في اليوم التالي، وفي أثناء وصولها إلى المكتب، كانت ناتالي تشعر بأنها متوعكة، لقد نامت في نهاية المطاف في بيت أبويها، وعند أول الصبح تماما، قبل أن تستيقظ أمها، ذهبت إلى بيتها، متذكرة الليالي البيض في شبابها، تلك الليالي التي كانت تحتفل فيها حتى الفجر، فتبدل ملابسها وتذهب مهرولة مباشرة، كانت تشعر بمفارقة الجسد هذه مرة أخرى؛ حالة من الإعياء الذي ينشط. مضت لتلتقي بماركوس، وقد اندهشت بعد أن اكتشفت أنه كان ما يزال في رباطة جأشه نفسها مثلما كان في يوم أمس، نوع من القوة الهادئة بالتماثل تمام المماثلة، كانت فكرة تسكن من روعها، وتريحها أيضا.

– بودّي أن أشكرك.. على الهدية.

– ولا شيء.

– هل أستطيع أن أقدم لك كأسا هذا المساء؟

هز ماركوس رأسه، وهو يفكر:

- إنني مغرم بها، وهي دائما ما كانت تبادر في لقاءاتنا.

لقــد فكر، على وجه الخصــوص، بأنه ما كان له أن يشــعر بالخـوف، ذلـك فـإنه من المضحك أن يتراجع، ويحمي نفســه. لم يكن يفترض الاقتصاد بألم محتمل، ومرة أخرى، كان يتابع في تأمله، وفي الرد عليها أيضا، وبينما كانت تمضي منذ عدة دقائق، ظل مســتمرا يفكر بأن كل ذلــك كان بإمكانه أن يقوده إلى الألم، وإلى الخيبة، والعجــز العاطفي الأكثر رعبا مما يكون. ومع ذلك كانت لديه رغبة في الذهاب إلى هناك، كانت لديه رغبة بالســفر نحو المجهول، لم يكن هناك أي شــيء يشير إلى ما هو تراجيدي، كان يعلــم بأن هنــاك مركبات عمومية بين جزيــرة الألم جزيرة النسيان، والجزيرة التي ما تزال بعيدة جدا، أي جزيرة الأمل.

كانت ناتالي قد اقترحت أن يلتقيا مباشــرة في المقهى، ومن الأفضل أن يكون مهذبا بعد هروبهما من الســهرة، ومن ثم كانت تتذكر أســئلة كلوئه، ولو أنه كان موافقا، من أعماق نفســه، كان يتمنى أن يكون قادرا على تنظيم مؤتمر صحافي ليعلن كل واحد موعده مــع ناتالي، لقد وصل هو الأول، وقــرر البقاء في مكان منظور، في مكان إســتراتيجي، يســتطيع من خلاله الشــخص مشاهدة مشهد وصول السيدة الجميلة التي ضرب معها الموعد، لقــد كان فصلا مهما، ما كان ينبغي أن يعد فصلا مصطنعا بكل تأكيــد، وفي كل الأحوال، لم يكن ذلك من طراز الزهو الذكوري، كان ينبغي رؤية شــيء آخر له أهمية كبيرة؛ كان في هذا الفصل أول إنجاز للقبول بالذات.

للمــرة الأولى، ومنذ زمن طويل. نســي أن يأخــذ كتابا وهو ذاهــب إلى بيته في الصبــاح. قالت له ناتالي إنها ســتلتحق به

بسرعة ما أمكن إلى ذلك سبيلا، ولكنه لم يكن يستبعد أن يستمر انتظاره قليلا. نهض ماركوس ليتناول صحيفة مجانية، وانغمس في القراءة، وبسرعة متناهية شده شأن ما، وكان وهو مستغرق في قلب هذا الخبر الاعتيادي تجلت له ناتالي:

- هل أنت بخير؟ ألم أزعجك؟
- كلا، بالتأكيد.
- يبدو من مظهرك أنك مستغرق في التفكير كليا.
- نعم، كنت أقرأ موضوعا.. حول الاتجار بجبنه الموزاريللا.

انطلقت ناتالي عندئذ في ضحكة مجنونة، ضحكة من الضحكات التي يضحكها البعض عندما يكون متعبا، لم تعد تستطيع أن توقف نفسها، ورأى ماركوس أن ذلك ربما يكون مسليا فأخذ يضحك أيضا، وكأن العته أصابهما، كان يجيب بكل بساطة، من دون أن يطرح على نفسه أسئلة، والآن، ها هي كانت تضحك من دون أن تتوقف، لقد كان منظرا جنونيا بشكل مطلق بالنسبة لماركوس، كان الأمر وكأنه أمام سمكة ذات رجلين (كل واحد له تحولاته)، ومنذ سنوات، وخلال مئات الاجتماعات، كان يرى امرأة جادة، لطيفة ولكنها رصينة دائما، نعم، كان يراها تبتسم بكل تأكيد، وكان أن جعلها قبل ذلك تضحك أيضا، ولكن لا، أيضا كانت تلك هي المرة الأولى التي ضحكت فيها بمثل هذه القوة. وبالنسبة لها كل شيء كان هناك؛ هذه اللحظة هي المبرر الصافي لما كانت تحب أن تعيشه مع ماركوس، رجل يجلس في مقهى، يجعلك تبتسم ابتسامة عريضة عندما تصل، ويعلن لك بجدية أنه يقرأ مقالا حول تجارة جبنة الموزاريللا.

75

مقال منشور في صحيفة ميترو تحت عنوان
تجارة جبنة الموازريللا المدمّر.

أمس ظل خمسة أشخاص في وضع الاستعداد، وأول أمس في إطار تدمير تجارة جبنة الموزاريللا «من النوعية الجيدة» في بوندوفل (أسسون)، وحسب ما ذكر بيير شوشكوف آمر كتيبة شرطة إفري، المكلف بالتحقيق، إنه «بين 60 و70 لوحا، ما يساوي 30 طنا تم خزنها في خلال عامين»، وأعيد بيعها في المحافظة وحتى في مدينة فيلجويف (فال - دو - مارن). تجارة لا قيمة لها ما دام الضرر قد بلغ 280000 يورو، لقد أتاح التحقيق المثار منذ الشكوى التي قدمتها شركة ستيف، في يونيو 2008، الكشف عن إجراءات تتضمن مديري مطعمي بيتزا، يقع أحدهما في باليزو عند مفترق الطرق، وما تبقى لتحديد من كان يدير هذه التجارة وأين كان يذهب المغنم من ربح جبنة الموزاريللا.

V. M

76

خلال سير أحداث القصة العاطفية، يرافق الكحول لحظتين متضادتين؛ عندما نكتشف الآخر الذي عليه أن يروي عن نفسه، وعندما لا نعود نملك شيئا نقوله. كانت تلك المرحلة الأولى،

المرحلة التي لم نر فيهـــا الزمن الذي يمضـي، المرحلة التي نعيد فيها رواية القصة، وبشـــكل خاص مشـــهد القبلـــة، ولقد فكرت ناتالي بأن هذه القبلة كانت قد أملتها النزوة مصادفة، وقد يكون الأمر ليس هكذا؟ إن المصادفة لا وجود لها، وإن كل ذلك لم يكن إلا تطورا لا واعيا لشـــعور مســـبق، هذا هـــو الانطباع الذي قد تشعر به مع هذا الرجل، هذا الانطباع أسعدها، ثم جعلها وقورة، ثم ســـعيدة من جديد، رحلة مستمرة من البهجة إلى الحزن. أما الآن، فإن السفر كان يقودهما بعيدا، نحو الجفاء، لم تكن ناتالي تشـــعر بأنها بصحة جيـــدة، لقد أصابها البرد عشـــية الذهاب والمجيء ليلا.. إلى أين كانا ذاهبين؟

كان يتضـــح نوع من النزهة الطويلـــة، لأن أحدا لا يجرؤ بعد علـــى الذهاب إلى بيت الآخـــر، وبخاصة أنه لا يريد أن ينفصل، فيترك الإحســـاس يمتد كثيـــرا انطلاقا من الحيرة، ومن ثم فإن الليل ما يزال حالكا.

سأل:

- هل بوسعي أن أقبّلك؟

- لا أعرف.. لدي بداية زكام.

- هذا ليس خطيرا، إنني على استعداد لأن أمرض معك. هل أستطيع أن أقبّلك؟

كانـــت ناتالي تحب كثيرا أن يطرح عليها الســـؤال، كانت تلك صيغة من صيغ الرقة، في كل لحظة هي معه تخرج عن طورها، فبعد الذي عاشـــته، كيـــف يمكن أن تتصور أن تكـــون في حالة انبهار من جديد! هذا الرجل لديه شيء ما فريد.

قالت (نعم)، بحركة من رأسها.

77

حوار فيلم «الرجل الشهير» لوودي ألن
الذي ألهم مناقشة ماركوس
شارلز تيرون:
ألم تكن تخشى العدوى؟ أنا مصاب بالزكام.
كينيث براناغ:
منك بالذات سأصاب بسرطان لا يشفى.

78

يمكن أن تكون السهرات غير اعتيادية، فالليالي لا تنسى، ولكنها مع ذلك تنتهي بصباحات متشابهة. كانت ناتالي تستقل المصعد لتلتحق بمكتبها، وكانت تكره أن تلتقي بأحد في هذه الخلوة، وواجب توزيع الابتسامات وتبادل المجاملات، وعند ذاك فقد كانت تتظاهر بانتظار قطار فارغ، كانت تحب هذه اللحظة لبضع ثوان، كانت ترتقي فيها نحو يوم عملها، في هذا القفص الذي يجعلنا مثل نمل في سرداب، وعند الخروج التقت بمديرها وجها لوجه، لم يكن ذلك تعبيرا؛ لقد اصطدم كل منهما بالآخر حقا.

«إنه لمن المدهش.. كنت أقول في نفسي إننا كنا لا نلتقي كثيرا في هذا الوقت.. وفجأة، ها أنا اصطدم به! ولو كنت أعرف أن لدي هذه القوة، لكنت أعربت عن أمنية أخرى..

- إنه الماكر، هذا.

- ينبغي أن أكلمك، بكل جدية، فأنت هل يمكن أن تأتي وتقابلني بعد قليل؟».

في الأيام الأخيرة، يبدو أن ناتالي نسيت وجود شارل، فقد كان يشبه رقما هاتفيا، أو عنصرا لم يعد له اتصال مع الحداثة، لقد كان مملوءا بالهواء المضغوط، كانت ترى أنه من الغرابة أن تكون ملزمة بالعودة إلى مكتبه، فمنذ كم من الوقت لم تذهب إليه؟ لم تكن تعرف ذلك على وجه التحديد، كان الماضي يشرع بالنشوة، ويذوب في الحيرة، ويختفي تحت شوائب النسيان، وكان ذلك هو الدليل المفيد حيث يستأنف الحاضر دوره، لم تعر بالا للأصبوحة، ثم قررت.

79

أمثلة على أرقام الهاتف

في قرن آخر

* * *

أوديون 32 – 40

* * *

باسي 22 – 12

* * *

كليشي 12 – 14

80

دخلت ناتالي في مكتب شارل، وتأكدت من أن المصاريع كانت مفتوحة أقل مما كانت العادة، وكان هناك ما يشبه محاولة إغراق لهذه الأصبوحة في الظلمة.

قالــت، وهي ماشــية: «حقا، لقد مرّ وقــت طويل لم آت إلى هنا».

- وقت طويل، نعم..

- لقد كنت منهمكا بقراءة كلمات معجم لاروس منذ..

- آه.. كلا، لقد توقفت، لقد اكتفيت منه بعدد من التعريفات، وبصراحــة، هل يمكنــك أن تخبرينني ماذا تنفــع معرفة دلالة الكلمات؟

- من أجل ذلك كنت تريد مقابلتي؟

- كلا.. كلا.. نقضي وقتنا في التقابل.. وكنت أريد أن أعرف كيف حالك بكل بساطة.. كيف تجري الأمور في هذ الوقت...؟

لقد نطق بهذه الكلمات الأخيرة بشكل يشبه التأتأة، لقد كان أمام هذه المرأة، مثل عربة قطار تخرج عن سكتها، لم يكن يدرك لماذا كان لها هــذا التأثير عليه، بالتأكيد كانت جميلة، وبالتأكيد أنها تمتلك أســلوبا يراها رائعة مــن خلاله، ولكن مع ذلك، أكان يكفي هذا؟ كان هو رجل ســلطة، وفي بعض الأحيان كانت بعض الســكرتيرات الشقراوات يقهقهن عند مروره، كان يود لو يمتلك نســاء، وكان يتمنى لو يســتطيع أن يقضي من خمس إلى ســبع ســاعات في 5 نجوم، ومــاذا بعد؟ لا يوجد أي شــيء يمكن أن

يقال، لقد كان يخضع إلى طغيان انطباعه الأول، لم يكن إلا هذا، هذه اللحظة التي رأى فيها وجهها على صفحة سـيرتها الذاتية، حينها قال: أريد أن أجـري مقابلة معها، عند ذاك كانت تظهر، شـابة متزوجة، شاحبة، ومترددة، وبعد بضع ثوانٍ قدم لها قطعا من الخبز السـويدي، ربما وقع في حب الصورة؟ ليس هنالك ما هو أكثر إرهاقا من العيش في ظل الإملاءات الشـهوانية لجمال جامـد. كان يتواصل فـي مراقبتها، وكانـت لا تريد أن تجلس، كانت تتمشى، وتلامس الأغراض، وتبتسم قليلا؛ مجسدة الأنوثة تجسـيدا عنيفا، وفي نهاية المطاف دارت حول مكتبها، وجلست وراءه:

- ماذا.. ما الذي تصنعين؟
- أحدق برأسك.
- ولكن لماذا؟
- انظر وراء رأسك، لأنني أشعر بأن لديك فكرة خلف رأسك.

لـم يعوزه إلا هـذا؛ لديهـا روح من الدعابة. لم يعد شـارل يسـيطر على كل هذا المشهد، كانت خلفه، تتسلى. والماضي، كان يبدو للمرة الأولى هو الماضي. لقد كان في الصفوف الأمامية في الأيام السـوداء، أمضى ليالي عديدة يفكر بأنها يمكن أن تنتحر، وها هي كانت هناك الآن خلفه، نابضة بالحياة إلى حد بعيد.

قال بهدوء:

- هيا، تعالي واجلسي، من فضلك.
- حسنا.
- يبدو عليك أنك سعيدة، وهذا ما يجعلك جميلة.

لم ترد ناتالي، كانت تعرب عن أملها بألا يطلب منها الحضور

لتصرح له بحبها من جديد، وتابع القول:

- أليس لديك شيء تقولينه لي؟
- كلا، ذلك هو أنت من كنت تريد مقابلتي.
- كل شيء يجري على ما يرام في مجموعتك؟
- أجــل، يبدو لي، وأخيــرا، أنت تعرف أفضــل مني، لديك الأرقام.
- وماذا بشأن.. ماركوس؟

كانت تلك هي الفكرة الموجودة خلف الرأس، يريد الكلام عن ماركوس، كيف لم يخطر ببالها من قبل؟

- يقال إنك كنت تتناولين العشاء معه.
- من قال ذلك؟
- كل شيء معروف هنا.
- ومــاذا في ذلك؟ هــي حياتي الخاصة، أيســبب ذلك لك إزعاجا؟

توقفت ناتالي بشــكل عنيف، وغير وجهها من سحنته، راقبت شارل، الذي يدعو إلى الشفقة، وهي تنتظر بفارغ الصبر توضيحا، حتى ولو كان كذبة، اســتمرت تحدق فيه وقتا أطول، من دون أن تدري ما تفعل، وأخيرا، قررت مغادرة المكتب، من دون أن تضيف أية كلمة. كانت تترك مديرها في ريب من أمره، في إحباط كبير، لــم تتحمل القيل والقال، الذي يتحدثــون به وراء ظهرها، كانت تمقــت كل هذه الموضوعات؛ الأفكار خلف الــرأس، الكلام وراء الظهــر، الطعن من الخلف، كانت تلــك الجملة على وجه خاص «كل شـــيء معروف» قد أزعجتها، وربما أنها كانت تفكر بها، كان يمكنهــا أن تؤكــد بـ: نعم، لقد كانت تشــعر بشـــيء ما في نظر

الآخرين، كان يكفي أن يراهما أي شـــخص في مطعم، أو يخرجا معا بكل بســاطة، حتى إن كل الشــركة تتوقد، لمَ هي منزعجة؟ لقد ردت بجفاء بأن تلك كانت هي حياتها الخاصة، كان بوسعها أن تقول قولا حسنا لشارل: نعم، هذا الرجل يعجبني، عن قناعة، ومن ثم لا، كانت تريد كلمة تناســب المقام، وكان مستبعدا من أي إنســان أن يدفعها إلــى القيام بذلك. عند عودتهــا إلى مكتبها، التقت بعــدد من الزملاء، ولاحظت التغيير، كانت نظرة شــفقة وتعاطف، وكان يســتنزفها شيء آخر، ولكنها ما تزال عاجزة عن أن تتصور ما كان سيحدث للتو.

81

تاريخ عرض فيلم كلود لولوش
إنسان يعجبني..
مع جان - بول بيلموندو وآني جيراردو
3 ديسمبر 1969

82

بعد مغادرة ناتالي، بقي شارل متسمّرا في مكانه مدة طويلة، كان يعلم أنه لا يعرف إدارة هذه المحادثة، لأنه قليل الفطنة، وعلى وجــه الخصوص كان غير قادر علــى أن يخبرها بما يعتمل فيه من إحســاس حقيقي: «نعم، هــذا يخصني، إنك ما كنت تريدين الخــروج معي، لأنك ما عدت راغبة في أن تكوني بصحبة رجل،

نعم، يحق لي أن أعرف ما تستشــعرينه، ومن حقي أن أعرف ما يعجبك عنده، وما لا يعجبك فيّ، أنت تعرفين جيدا إلى أي درجة أحببتك، وإلى أي مدى اســتمرّ حبك هذا، يجب أن توضحي لي، وهذا كل ما أطلبه منك».

هذا ما أراد أن يقوله تقريبا، وبالتالي: «تأخرنا خمس دقائق عن حوارنا الغرامي».

كان لا يســتطيع مواصلة العمل في هذا اليوم، فبعد الإيضاح مع ناتالي، في ذلك المساء حيث كانت تقام فيه عدد من المباريات قليلة الأهمية في بطولة كرة القدم، استسلم للأمر الواقع، وهذا بالــذات ما حقق في حياته، عبر غرابة الآلية الحسـية، تجددا مع زوجته، فخلال أســابيع عديدة لم يتوقفا عن ممارسة الحب، وعن أن يلتقيا من خلال الجسد، كان بإمكانهما أيضا الكلام عن حقبة رائعة، وكان هناك أحيانا عاطفة جياشة في استعادة الحب أكثر من اكتشــافه بكل بســاطة، ومن ثم فقد استعاد الاحتضار طريقه، مثل ســخرية: كيف استطاعا احتمال ممارسة الحب من جديد؟ كان ذلك مقطعــا، أو جملة اعتراضية من اليأس المقنّع، والسهل البسيط بين جبلين مثيرين للشجون.

كان شارل يشــعر بالتعب والإجهاد، لقد ضاق ذرعا بالسويد والســويديين، وبعاداتهــم المرهفة، حيث يســعى دائما لأن يكون هادئــا، ولعدم الصراخ في الهاتف، هذه طريقة من يكون متأملا كفرقة الزن البوذية، ومن يقدم رسائل للموظفين، كل هذه الراحة كانت تشــرع بضرب جهازه العصبي، وما تعوزه ســوى هستيريا المتوســطية، وكان يحلم أحيانا ببرم صفقات مع تجار الســجاد، كان ذلــك في إطار هذا السـياق الذي كان قــد حصل منه على

معلومة تتعلق بحياة ناتالي الخاصة، ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف عن التفكير بهذا الرجل، بماركوس، كيف كان يصنع، مع هذا الاسم الغبي، من أجل استمالة ناتالي؟ لا يريد أن يصدق ذلك، فلقد كان في وضع جيد لمعرفة أن قلبه كان يشبه سراب واحة ماء، فما إن كانا يقتربان من بعضهما، حتى يختفي، لكن هنا، فإن الأمر مختلف، ردّة فعله المفرطة كانت تبدو تأكيدا على الشائعة، أوه لا، لم يكن ذلك ممكنا، ما كان بوسعه أن يحتمل ذلك البتة، «كيف يصنع؟»، هكذا كان شارل يكرر باستمرار، يفترض أن اللغة السويدية كانت قد سحرته، أو بشيء من هذا القبيل، النوم والتنويم المغناطيسي، سقاه جرعة، يمكن أن يكون الأمر كذلك، لقد وجدها مختلفة تماما، أجل، وربما كانت هي من جرحته جرحا بليغا، لم تعد ناتالي التي يعرفها، إن شيئا ما قد تغير، تغيرا حقيقيا، وعند ذاك، لم يكن يرى سوى حل واحد وهو: استدعاء ماركوس لكي يكتشف ماذا في جوفه، ولكي يكتشف سره.

83

عدد اللغات، ومن بينها اللغة السويدية
التي استطاع أن يقرأ بها 20
«التغيير» لميشيل بوتور
الحائزة على جائزة رنودو العام 1957

* * *

84

لقد سما ماركوس بالفكرة التي ما كان ينبغي أن تثير غموضا، إذ في كل مكان كان يمر به، ينبغي أن يظل مهذبا، كان يجب أن تكون الحياة مثل رواق، وعند الضرورة، فعندما وجد نفسه قد استدعاه المدير، ارتعب، كان يمكن أن يكون إنسانا، كان يمكن أن يمتلك حس الفكاهة والشعور بالمسؤوليات، كان يمكن الاعتماد عليه، ولكن ما إن كان الأمر يتعلق بالعلاقة مع السلطة، وجد نفسه مثل طفل، لقد أرهقته أسئلة عديدة، وهو يغلي:

- لم أردتَ مقابلتي؟ ماذا فعلت؟ وهل كنت قد تفاوضت بشكل سيئ فيما يخص قسم ضمانات الملف 114؟ وهل ذهبت كثيرا إلى طبيب الأسنان في الأيام الأخيرة؟ كان الجرم يحاصره من كل حدب وصوب، وربما كانت تلك هي الطبيعة الحقيقية لشخصيته، كان الإحساس العبثي بالعقوبة القادمة يحوم باستمرار حوله.

دق بحسب طريقته، دائما بإصبعين، فقال له شارل بأن يدخل.

- صباح الخير، جئت لألتقي بك.. عندما أنت..

- ليس لدي الوقت الآن.. لدي موعد.

- آه جيد.

- ...

- حسنا، سأمضي إذن، وسأعود فيما بعد.

لقد طرد شارل هذا الموظف، لأنه لا يمتلك الوقت لاستقباله، لقد كان ينتظر ماركوس الشهير، من دون أن يتصور ولو ثانية واحدة بأنه كان يأتي ليلتقي به، لقد كان هذا السافل، بالإضافة

إلـــى أنه أوقع قلب ناتالي في الفـــخ، يمتلك الجرأة بعدم المجيء حينما كان يستدعى، أي نمط من التمرد يمكن أن يكون مريحا؟ إن ذلـــك لا يمكـــن أن يحدث هكذا، من كان يظن نفســـه؟ اتصل شارل هاتفيا بسكرتيره:

- لقد طلبت ماركوس لونديل أن يأتي لمقابلتي، ولم يصل! هل تستطيع أن ترى ما يحدث؟

- ولكنك طلبت منه أن يرحل.

- كلا، لم يأتِ.

- أجل، لقد رأيتُه يخرج للتو من مكتبك.

في ذلك الوقت كان شـــارل غائبا، وكان جســـده قد اخترقته الريح فجأة، ريح الشـــمال بالتأكيـــد، لقد كاد يُغمى عليه، وطلب من ســـكرتيره أن يدعوه. وماركوس، الذي كان يجلس للتو بالكاد على كرسيه، يجب أن ينهض ثانية، وتساءل فيما لو أن مديره كان لا يريد أن يســـخر منه، لقد فكـــر بأنه ربما كان تأثير الأعصاب في الضد من المســـاهمين الســـويديين، وأنه كان ينتقم من أحد الموظفـــين من البلد الأصل، لم يكن ماركوس يريد أن يكون لعبة، وإذا ما اســـتمر الحال فإنه سيستسلم للتو تحت إلحاحات جان بيير، النقابي من الطبقة الثانية.

لقد دخل ثانية إلى مكتب شارل، وكان يتكلم بفم ملآن، يحاول أن يهدّئ من نفســـه وهو يأكل قطع الخبز الصغيرة، حيث يسعى المرء أحيانا إلى تخفيف توتره بأمور تثير أعصابنا، كان يرتجف، وكان يتحـــرك، لقد أهمـــل فتات الخبز يتســـاقط من فمه، كان ماركوس مذهولا، كيف أن رجلا كهذا يدير الشـــركة؟ ولكن كان شـــارل هو الأكثر ذهولا بين الاثنين بكل تأكيد، كيف يمكن لرجل

كهذا أن يوجه قلب ناتالي؟ لقد ولدت من هذين الذهولين لحظة معلقة في الأيام الغابرة، حيث لم يكن لأحد يســتطيع أن يتصور ما ســيحدث للتو، كان ماركوس لا يعرف أيّ شيء ينتظره، وكان شارل لا يعرف ما سيقوله، لقد كان مصدوما:

- ولكــن كيف يكون هذا ممكنا؟ إنه مقرف.. وليس في حالة جيدة.. إنه واهن، إنه يرى نفسه واهنا.. آه لا، هذا ليس ممكنا.. ومن ثم، لديه طريقة في النظر إلى الناس، ينظر نظرة شزر.. آه كلا، يا له من رعب.. بتاتا يا ناتالي، هذا الرجل.. ولا شيء على الإطلاق، كلا، كلا.. آه هذا يقززني.. إنه مستبعد.. لأنه مستمر بالدوران حولها.. مســتبعد.. سأرســله إلى السويد.. نعم تغيير طفيف.. فمنذ الغد سأنقله!

كان شــارل يســتطيع الاســتمرار بالطحن لوقت طويل، كان عاجــزا عن الكلام، ولكن لا بــأس، جعله يأتي، وفي ذلك الوقت كان عليه أن يقول شيئا ما، ولكي يستثمر الوقت، سأل:

- أتريد خبزا سويديا؟

- كلا، أشــكرك، لقد غادرت الســويد لكي أتوقف عن تناول هذا النوع من الخبز.. وعندئذ فإنني لن أتناول منه هنا.

- آه.. آه.. يا له من أمر طريف جدا.. آه.. إيه!

انطلق شارل وهو يضحك ضحكة مجنونة، لقد كان هذا المغفل يمتلك حس الفكاهة، ولكن أي مغفل.. وذلك هو الأســوأ؛ الوجوه المكتئبة التي تفاجئنا بحس الفكاهة.. لا نتوقع منها نكتة.. كان هذا هو ســرّه بكل تأكيد، وكان شارل يشــعر دائما بأن تلك هي نقطة ضعفــه، إنه لم يحاول إثارة النســاء على الضحــك طوال حياته، حتــى إنه كان يتســاءل، وهو يفكر بحياتهن، لــو كانت لديه القوة

التي تجعــل منهن كئيبات، والحقيقــة أن لورنس لم تضحك منذ ســنتين وثلاثة شهور وسبعة عشر يوما. كان يتذكر ذلك، لأنه دوّن ذلك في دفتر مذكراته، بالطريقة ذاتها التي يدون فيها خسوفات القمر: «اليوم، ضحكت زوجتي»، وأخيرا، كان يجب أن يتوقف عن الاســتطراد، عليه أن يتكلم، ممَّ كان يخاف بعد كل ذلك؟ لقد كان هــو المدير، وكان هو الذي يقرر قيمة تذاكــر المطاعم، ومع ذلك، ليس للأمر من أهمية، حقا كان يجب أن يســترد رباطة جأشــه، ولكــن كيف يتكلم إلى هذا الرجل؟ كيف يحدق فيه وجها لوجه؟ آه نعم، إن ما كان يثير اشــمئزازه هو أنه اســتطاع لمس ناتالي، وأنه استطاع أن يضع شــفتيه على شفتيها، يا له من انتهاك للحـرمة، ويا له من هجوم! آه يا ناتالي، كان يحب ناتالي دائما، وهذا جلي، لم ننته قط من وجدنا، لقد كان يفكر بأن ذلك سيكون من السهولة نســيانه، ولكن لا، ذلك الإحساس الذي مضى قد ثبت في داخله، والآن ينبعث ثانية في بعده الأكثر وقاحة.

لقد وجد حلا آخر، أكثر جذرية من كونه حلا تغييريا: يطرده. كان يفتــرض أن يرتكب خطأ مهنيــا، كل الناس ترتكب أغلاطا، ولكــن لا بأس، فهو لم يكــن كل الناس، والدليــل على ذلك أنه كان يخــرج مع ناتالي، ربما كان موظفا أنموذجيا، كان واحدا من هؤلاء الذين يعملون ســاعات إضافية مع الابتسامة، واحدا من هؤلاء الذين لم يطلبوا زيادة أبدا؛ واحدا ما من الســيئين، ربما لم يكن هذا العبقري هو النقابي نفسه.

- هل تريــد مقابلتي؟ حاول ماركوس، وهــو يقاطع الدقائق الطويلة التي أمضاها شارل في انقطاع نفسه من دهشته.

- نعم.. نعم.. لقد انتهيت من التفكير بأمر ما، وأنا تحت تصرفك.

لم يكن بإمكانه أن يجعله ينتظر هكذا، أو أجل، عندئذ سيتركه كما هو طوال النهار، تماما لمعرفة ردة فعله، ولكن في كل المرات، لم تطرح عليه قضية، لأنه الآن كان يفكر: لا يوجد أي شيء أكثر إزعاجا من البقاء في مواجهة شخص ما لا يكلمك، وبالأخص إذا كان الأمر يتعلق بمديره، كل الموظفين الآخرين كانوا يبثون إشارات القلق، وربما تنزّ منهم بضع قطرات، ويقومون بحركات وإيماءات، يشبكون ويفلتون السيقان.. آه حسنا، هناك، لم تكن الحالة بأكملها، لقد أمضى ماركوس عشر دقائق، وربما خمس عشرة، من دون أن يتحرك، رابط الجأش تماما، وكانت تلك حالة غريبة، إذ إنه كان يفكر بذلك، كان هذا الرجل قد منح قوة ذهنية عظيمة بلا منازع.

في هذه اللحظة، كان ماركوس قد حجره إحساس غير مريح بعدم اليقين، لم يكن يدرك ما كان يجري، فخلال سنوات عديدة، لم ير مديره قطّ، وها هو يستدعيه ليلطف الصمت، كل واحد منهما كان يرسل للآخر صورة من القوة، من دون أن يدرك ذلك، كان على شارل أن يتكلم أولا، ولكنه لم يفعل شيئا، كانت كلماته مختومة بالشمع، يواصل التحديق بماركوس مباشرة في عينيه، وكأنه منوّم مغناطيسيا. لقد كان يفكر للوهلة الأولى في التخلص منه، ولكن الفرصة الثانية أعلنت عن نفسها، وبشكل متوازٍ مع عدوانية، كان من الواضح أن إغراء بعينه قد ولد فيه، بعيدا جدا عن الضغط عليه، كان يجب أن يراه وهو يعمل، وأخيرا بدأ يتكلم معه:

- معذرة على ما سببته لك من تأخير، لقد أحببت، على وجه الدقة، أن آخذ قسطاً من الوقت لأزن كلماتي عندما أخاطب

شـــخصا ما، وبالأخص عندما يتعلق الأمـــر بالإعلان عما أردت قوله لك.

- .....

- هو ذا، لقد شـــعرت بإدارتك للملف 114، وأنت تعرف، ما من شـــيء يخفى عليّ هنا، إنني أعرف كل شـــيء، ويجب القول إنني في غاية الســـعادة لنحســـبك بيننا، وفي السويد كنت أيضا قد حدثتهم عنك، وكانوا في غاية الفخر بأن يكون مواطن قدير معهم.

- شكرا..

- ولكن، أنا من يشكرك، نحن نشعر بأنك مثل قاطرة في هذا المجتمع، فضلا على ذلك، كنت أود أن أبارك لك شـــخصيا، إنني أرى بأنـــي لم أمض ما يكفي من الوقت مع العناصر الجيدة في الشركة، إن ذلك يجعلني ســـعيدا بمعرفتك بشكل أفضل، يمكن لنا أن نتعشـــى معا هذا المساء، أليس كذلك؟ بماذا تفكر يا هذا؟ يا هذا، كل شيء على ما يرام، أليس كذلك.

- آه... اتفقنا.

- آه نعم الأمر، ســـأطير من الفرح! ومن ثم ليس هنالك سوى العمل طوال الحياة.. من الممكن الحديث عن أشياء أخرى كثيرة، إنني أرى ذلك مفيدا لكسر الحاجز بين المديرين والموظفين أحيانا.

- إذا حددت أنت ذلك.

- حسنا، هيا، إلى هذا المســـاء.. يا ماركوس! لتقضِ صباحا سعيدا، ويحيا العمل!

خـــرج ماركوس من المكتب، وكان مذهولا كالشـــمس في أثناء الكسوف.

85

عدد علب الخبز السويدي الصغير
المبيعة في العام 2002

* * *

5.22 ملايين.

86

كانت الشائعة تنتشر في كل أرجاء الشركة، وهي تقول إن هناك علاقة بين ماركوس وناتالي، والحقيقة أنهما لم يتبادلا القبل سوى ثلاث مرات، وقد ذهب الخيال بالبعض إلى أنها كانت حبلى. نعم، هكذا أضاف الناس وتقوّلوا، ويكفي أن تعد حصيلة إيراد آلات القهوة لتحديد سعة تلك الثرثرة. اليوم، بدا تاريخيا، فإذا كان كل الناس يعرفون ناتالي في الشركة، فإن أحدا لم يكن يعرف حقا من كان ماركوس، إنه يشبه حلقة بسيطة في السلسلة، والخيط الأبيض في ثوب. وحينما كان يذهب إلى مكتبه وهو مذهول بما يعيشه ويراه، شعر بنظرات عديدة مسلطة عليه، لم يكن يفهم السبب، لقد ذهب إلى دورات المياه ليتأكد من طيات سترته، وخصلات شعره، والفراغات التي بين أسنانه ولون وجهه، ما من شيء، كل شيء على حاله.

هذا الاهتمام لم يتوقف عن النمو والازدياد خلال النهار، وقد وجد عدد من الموظفين ذرائع عديدة لزيارته، طرحوا عليه

أســئلة عديدة، ولكنهم كانوا يخطئون البـــاب، ربما كان ذلك العمل يحـــدث مصادفة في يوم من هذه الأيام الغنية بالأحداث على وجه الخصوص، من دون أن نعرف الســبب. ســؤال عبثــي، ربما قالته عمته في الســويد، قارئة الفنجان المشــهورة في النرويج، ومع كل هــذا الخلل، لم يكن لديه متســع من الوقت للعمــل، لقد كان يوما مكتظا، حيث لم يعمل شــيئا في ذلك اليــوم الذي حيّاه فيه رئيس الشركة، وربما كان ذلك أيضا ما أرهقه، ليس من السهولة أن تكون شديد العزيمة على حين غرة عندما لا تكون في الصفوف الأمامية، وعندما لا يلاحظ أحد ما فعلته، ومن ثم، كانت هنالك ناتالي دائما في أعماقه، وشيئا فشــيئا منحته المواعيد ثقة كبيرة، كانت الحياة تبدأ بأن تأخذ اتجاها غريبا، مبتعدة بهدوء عن المخاوف والشكوك.

شــعرت ناتالي مرة أخـرى بهذه البلبلــة حـولها، وكـان ذلك لا يعدو عن كونه شــعورا حتى اللحظة التي فيها كلوئه كانت قد تجرأت وقالت، وهي تؤيد محاولات المجابهة وجها لوجه:

- هل يمكن أن أطرح عليك سؤالا؟

- نعم.

- الجميــع يتحــدث بأن لك قصـــة مع ماركــوس، فهل هذا صحيح؟

- سبق لي أن أجبت بأن الأمر لا يعنيك.

فـــي هذه المرة كانت ناتالي منزعجة بحق، فكل ما أحبّته لدى هذه الفتاة الشـــابة كان يبدو قد اختفى، وهي لم تر عندها الآن ســوى هاجس وضيع، لقد صدمها مظهر شـــارل، وهذا ما كان مستمرا، فما الذي كان يثير إعجابهم؟

أمعنت كلوئه بالقول متلعثمة:

- تماما لم أتخيلك بـ..

انزعجت ناتالي، وقالت لها بعصبية:

- كفى، يمكنك الخروج.

شعرت، بشكل غريزي بأن هناك كثيرين كانوا يوجهون النقد لماركوس، والأكثر من ذلك كانت تشعر بأنها قريبة منه، وأن هذا هو الذي كان ما يزال يجمعهما في عالم بعيد عن عدم إدراك الآخرين، لقد نعتت كلوئه نفسها بالحمقاء، وهي تخرج من المكتب، كانت تريد أن تكون لها علاقة متميزة كثيرا مع ناتالي، ولكنها تصرفت تصرفا معتوها، ومع ذلك كانت مصدومة بحق، وكان من حقها أن توضح ذلك، أليس كذلك؟ ومن ثم، لم تكن الوحيدة، كان هنالك أمر ما غير لائق في فكرة علاقتهما، ليس لأنها لم تحب ماركوس، ولا لأنها وجدته بغيضا، وإنما لأنها لم تتوصل إلى أن تتصوره مع امرأة، كانت تعده مثل صحن طائر في عالم الرجال، وعند ذاك كانت ناتالي تمثل في نظرها نوعا من الأنوثة المثالية، وبالتالي فإن اتحادهما كان يزعجها ويدفعها إلى ردود أفعال عفوية، كانت تعرف جيدا أنها غير محتشمة، ولكن على الرغم من ذلك، كان الجميع يسألونها:

- وماذا بعد؟ وماذا بعد؟ هل لديك أخبار؟

لقد شعرت بأن مركزها المميز كان يمكن أن تكون له قيمة، وأن رفض ناتالي ربما كان يتيح لها النفاذ إلى توافقات أخرى.

87

الأعذار التي استخدمها الموظفون
من أجل اللقاء بماركوس

* * *

كان بودي أن أصطحب زوجتي في أيام العطلة إلى السويد في هذا الصيف، فهل لديك من النصائح التي تقدمها لي؟

* * *

ألديك ممحاة؟

* * *

آه عفوا، لقد أخطأت المكتب.

* * *

هل أنت ما تزال منشغلا بالملف 114؟

* * *

هل يعمل الإنترنت عندك؟

* * *

ومع ذلك، فإن هذه القصة هائلة، قصة زميلك الذي توفي قبل أن يتسنى له الوقت لرؤية نجاح ثلاثيته.

88

في ظهيرة ذلك اليوم توقف ماركوس وناتالي معا وهما يلتقيان فوق السطح، لقد أصبح ذلك ملاذهما وقبوهما، ومن أول نظرة

تبادلاها، أدركا بأن هناك شيئا ما غير اعتيادي يدور، وأنهما كانا تحت هيمنة فضول الآخرين. لقد أخذا يضحكان من هذه البلاهة، واحتض بعضُهما بعضا، وكانت تلك هي الطريقة الفضلى في العالم لابتكار الصمت. همست ناتالي بأنها كانت تتمنى أن تلتقي به ثانية هذا المساء، وكانت تتمنى لو أن هذا المساء يكون الآن، كان الجو صحوا، ولطيفا، بقوة غير معهودة. كان ماركوس منزعجا، وهو يوضح بأنه لم يكن متفرغا، كانت معادلة رهيبة؛ لقد أخذ يعد كل ثانية مرت بعيدا عن ناتالي غير مجدية، ومع ذلك لم يكن يستطيع بالمطلق إلغاء العشاء مع مديره. كانت ناتالي مندهشة، فلم تجرؤ على التساؤل حول ما خطط له، كانت مندهشة على وجه الخصوص وهي تجد نفسها فجأة في موقف هش، في قائمة الانتظار، فشرح لها ماركوس أنه سيتناول العشاء مع شارل.

- وهذا المساء؟ عرض عليك العشاء؟

في تلك اللحظة، لم تكن تعرف أنه كان عليها أن تضحك أم تغضب، لم يكن من حق شارل أن يتناول العشاء مع عضو من أعضاء مجموعتها، من دون إخطارها، لقد أدركت على الفور بأن ذلك لا علاقة له بالعمل، فماركوس، حتى الآن، لم يسع إلى تحليل دوافع مديره المباغتة، وبعد كل شيء، كان ذلك الأمر أمرا مقبولا؛ كان ينجز عملا رائعا مع الملف 114.

- وقال لك إنه يريد أن يتناول العشاء معك؟

- هاااا.. نعم.. كان يريد أن يبارك لي.

- ألم يبدُ لك ذلك غريبا؟ هل تخيلته وهو يتناول العشاء مع كل موظف يريد أن يبارك له؟ وأنت تعرف، أنا أستغرب بحيث لا شيء يبدو غريبا عنده.

- هذا صحيح، أنتِ على صواب.

كانت ناتالي تعشق الطريقة التي كان يتناول بها ماركوس الأمور، ربما كان معروفا بالبساطة، ولكن كلا، لديه ما يشبه براءة الطفولة، والقدرة على قبول المواقف، بما ينطوي عليه من طباع غريبة، لقد اقترب منها وقبّلها، كانت تلك هي القبلة الرابعة الطبيعية جدا. في بدء العلاقة كان يمكن تحليل كل قبلة تقريبا، فكل شيء يتحرر بشكل كامل من الذاكرة التي تتقدم ببطء في فوضى من التكرار.

لقد قررت ناتالي ألا تقول أي شيء يتعلق بشارل، ومبرره المضحك، وسيكتشف ماركوس بنفسه ما الذي يختفي وراء هذا العشاء.

89

ذهب ماركوس إلى بيته بشكل سريع ليغير ملابسه، لأنه لم يكن على موعد مع مديره إلا في الساعة التاسعة ليلا، لقد تردد كعادته بين سترات عديدة، ولكنه اختار السترة الأكثر عملية والأكثر جدية، ولا نقول الكئيبة. كان مظهره مظهر دفّان موتى في أيام العطل، وفي الوقت الذي كان يجب عليه أن يستقل مترو الشبكة الإقليمية السريعة، كانت هناك مشكلة؛ كان المسافرون في حالة هياج، حيث تنقصهم المعلومة، أكان ذلك إطلاق نار؟ محاولة انتحار؟ لا يعرف أحد حقا، لقد بلغ الهلع حتى عربة ماركوس، وكان يفكر بأن ذلك سيؤخره عن مديره، كان هذا هو الحال، لقد جلس شارل منذ أكثر من اثنتي

عشـــرة دقيقة، وهو يتناول كأس نبيذ أحمر، كان يشعر بأنه في حالة عصبية، بل وأكثر عصبية، لأن أحدا لم يؤخره كهذه المرة، وبالتأكيـــد ليس هنالك من موظف كان يتجاهل حتى وجوده في الصبـــاح ذاته، ومع ذلك، في قلب هذا الانزعاج، ولد إحســـاس آخر، وهو الإحســـاس نفسه الذي شـــعر به في الصباح الباكر، ولكن هذه المرة، كان يعود بمزيد من القوة، لقد كان الأمر يتعلق بجاذبية لا ريب فيها، كان هذا الرجل قادرا على كل شيء، فمن كان يجرؤ علـــى الوصول متأخرا عن الموعد؟ من ذا الذي لديه القدرة على تحدي الســـلطان؟ لم يبق شـــيء للقـــول. كان هذا الرجـــل جديرا بناتالـــي، وكان ذلك أمرا لا ينكـــر، كان رياضيا وكيميائيا.

أحيانا، عندمـــا يتأخر المرء، يقول في نفســـه بأنه لا فائدة من الركض، ويقول في نفســـه إن ثلاثين أو خمســـا وثلاثين دقيقة هي بالضبط لا فـــرق، وعندئذ من الأفضل إضافـــة قليل من الانتظار بالنســـبة للآخر، وتجنب الوصول ورائحة العرق تفوح منه، هذا ما قرره ماركوس، كان لا يريـــد أن يظهر لاهثا، ومحمرّ الوجه، يعرف ذلك، فمنذ أن كان يركض مســـافة قصيرة جدا، يتحول مظهره إلى مظهـــر مولود جديد، وهكـــذا، خرج من المتـــرو، مرعوبا من فكرة كونـــه متأخرا على قـــدر ما (ومن عدم قدرته علـــى الاعتذار، لأنه لا يملك رقـــم هاتف مديره الجوال)، ولكن ها هو يمشـــي، وهكذا حضر عشاءه، بعد ساعة من الموعد عمليا، هادئا، هادئا جدا. لقد شكلت السترة السوداء مظهرا شبه جنائزي، كما يحدث في الأفلام الســـوداء إلى حد مـــا، والتي يظهر الأبطال فيهـــا بصمت الغبش. لقد أنهى شـــارل قنينة نبيذ تقريبا وهو ينتظر، لم يسمع اعتذارات

ماركوس بشأن المترو، فهذا الوصول كان هو بمثابة العفو المتجسد.

كانت السهرة تبحر فوق انتصار الانطباع الأول هذا.

90

برنار بلييه، بصدد بيير ريشارد

في «الأشقر الطويل ذو الحذاء الأسود»

* * *

إنه قوي، إنه قوي جدا.

* * *

91

طوال العشـــاء، كان ماركوس مندهشـــا من مظهر شارل إلى أبعد حد، وكان هذا يتلعثـــم، ويهذي، ويتمتم، لم يكن قادرا على إتمام عبارة، كان يبدو تحت تأثير جلجلة من الضحك، ولكن أبدا فـــي الوقت الذي كان فيه يحـــاول محدثه أن يكون مضحكا، كان وكأنه فـــارق زمن في جدول المواقيت مع اللحظة الحاضرة، لقد تجرأ ماركوس بعد هنيهة:

- هل أنت بخير؟

- بخير؟ أنا؟ أنت تعرف، منذ يوم أمس، ودائما، وبخاصة في هذا الوقت.

لقـــد أكد عـــدم تماســـك هـــذه الإجـابة على إحســـاس ماركـوس، لم يصبح شـــارل مجنونا بالتمام والكمال، كان يشعر

بأنــه في حالة جيدة، فهناك ومضـــات نادرة من الوعي، عنـدما يخرج عـن الخـط، ولكنه لم يكن يبلغ السـيطرة على نفسه، لقد كان ضحية دائرة كهربائية.

كان السويدي الذي يجلس أمامه قد غيّر من حياته، ونظامه، كان يناضــل مــن أجل العودة إلــى الواقع، أمــا ماركوس، حيث إن الماضــي بالنســبة له يكاد يكون مثيرا مــع ذلك، فإنه لم يكن بعيدا عن التفكير بأن هذا العشــاء كان الأكثر شؤما في حياته. بهذا المعنى، ومع ذلك لم يســتطع كبح نمو الشفقة، والرغبة في مساعدة هذا الرجل من الانحراف.

- هل بوسعي أن أصنع شيئا من أجلك؟

- نعــم يا ماركوس، بالتأكيد.. إننــي أفكر بذلك، هذا لطف، حقا، أنت لطيف.. وهذا ما يبدو.. في طريقة نظرتك إليّ.. أنت لا تحكم عليّ.. إنني أعي كل شيء.. وأفهم كل شيء، الآن..

- تفهم ماذا؟

- لكنني أفهم بالنســبة لناتالي، والأكثــر أنني أراك، والأكثر أنني أعي كل ما لم أكنّه.

أعاد ماركوس كأســه، لقد أخذ يشك بأن كل ذلك كان يمكن أن يكون له علاقة بناتالي، فإزاء كل انتظار، فإن إحساسه الأول ينبــع من الارتيــاح، لقد كانت هذه هي المــرة الأولى التي كانوا يتحدثــون إليه عنهــا. في هذا الوقت بالتحديـد، كانت ناتالي انتزعت نفسها من الوهم، ودخلت في الجزء الواقي من الحياة.

استمر شارل:

- أحبها، هل تعرف أنني أحبها؟

- أظن أنك قد شربت كثيرا.

- وماذا بعد؟ إن الثمالة لا تغير شيئا، إن وعيي هنا، واقعي تماما، وعيي حول كل ما لم أكنه، أدركت وأنا أحدق بك إلى أي مدى كنت قد أضعت حياتي.. وإلى أي مدى لم أتوقف عن أن أكون في حالة من السطحية والوفاق المتواصل.. سيبدو لك أن ذلك ما هو إلا جنون، ولكنني أقول لك ما لم أقله لأي شخص: كنت أود أن أكون فنانا.. أجل، أعرف، أعرف الأغنية.. ولكن حقا، عندما كنت صغيرا، كنت مولعا برسم السفن الصغيرة.. تلك كانت سعادتي.. أمتلك مجموعة من صور زوارق الجندول المنمنمة.. كنت أمضي ساعات وساعات وأنا أرسمها.. من أجل الدقة في التفاصيل.. كما أنني أردت الاستمرار في الرسم.. أن أحيا حياتي في هذا الضرب من الولع الشديد بالهدوء.. وبخلاف ذلك، فإنني أقوم بحشو معدتي بالخبز السويدي طول النهار.. وهذه الأيام، لم يعدن ينتهين.. إنهن يتشابهن جميعا كالصينيين.. وحياتي العاطفية.. زوجتي.. وهذا الشيء في نهاية المطاف.. ليست لدي رغبة في الكلام عنه.. إنني أدرك كل هذا الآن.. إنني ألتقي بك، وأدرك ذلك..

وفجأة قطع شارل حواره الداخلي، كان ماركوس منزعجا، ومن الواضح، لم يتقبل قط أسرار شخص مجهول، حتى عندما يكون الأمر يتعلق على الأقل بمديره، لم يعد يبقى له سوى الظرافة محاولة للتخفيف من الجو:

- لقد رأيت كل هذا في نظرتي؟ حقا هذا هو الانطباع الذي أثرته فيك؟ وبعد وقت قليل..؟

- والأكثر من ذلك، تمتلك حسا من الظرافة عظيما، أنت عبقري، حقا، عندنا ماركس، وآينشتاين، والآن أنت.

لم يجد ماركوس ردا سريعا على هذه الهجمة المفرطة قليلا، ولحسن الحظ، ظهر النادل:

- هل طلبتما؟

قال ماركوس:

- نعم، أريد أن أتناول لحما مدمى.

- وأنا، سمكا.

- جيد جدا، أيها السادة. قال النادل وهو ينصرف.

ولم يتجاوز النادل المترين، حتى ناداه شارل:

- وأخيرا، أريد أن أتناول مثلما طلب السيد، السمك أيضا.

- جيد جدا، لقد دونت ذلك.

قال النادل، وهو يمضي.

وبعد برهة صمت، اعترف شارل:

- لقد قررت أن أطلب مثلك.

- تطلب مثلي؟

- نعم، كناصح إلى حد ما.

- تعلم، ليس هنالك من شيء عظيم لتقوم به فتكون مثلي.

- لا أتفق، فعلى سبيل المثال، سترتك، أعتقد قد يكون ذلك أمرا حسنا إذا كنت أمتلك مثلها، كان عليّ أن ألبس مثلك، لديك أسلوب رائع، كل شيء مدروس، وهذا يوحي بأنك لم تترك شيئا للمصادفة، وهذا ما تأخذه النساء بعين الاعتبار، فيا هذا كم ثمنها، ها؟

- آه، نعم، لا أعلم، أستطيع أن أعيرها لك إن أردت ذلك.

- وهو كذلك! هذا كل ما لديكم؛ يا له من تجسيد للرقة، إقول إنني أرغب بسترتك، وفي ثانية اقترحت عليّ إعارتي إياها،

كم هذا جميل، وأدرك أنني لم أعر سُــتراتي طوال حياتي، كنت متضخم الأنانية فيما يخص السترة.

أدرك ماركوس أن كل ما ســيقوله ســيكون رائعا بالضرورة، فالإنســـان الذي أمامه كان يحدق فيه بفلترة من الإعجاب، كي لا يقول شــيئا من الاحترام، ومن أجــل متابعة طلبه، طلب منه شارل:

- حدثني عن نفسك بعد.

- أكون صادقا معك، لم أفكر بمن أكون أنا.

- هو ذا، إنها هي، مشــكلتي، وهي أننــي أفكر كثيرا، ودائما ما أتساءل بماذا يفكر الآخرون، كان عليّ أن أكون أكثر رصانة.

- لذلك، كنت قد ولدت في السويد.

- آه، هذا مضحك كما ترى، يا له من إحســـاس طبق الأصل، اشرب في صحتك! هل أقدم لك ثانية؟

- لا، أظن بأنني شربت ما يكفي.

- يا له من إحساس في ضبط النفس! حسنا، قررت ألا أصنع مثلك، إنني أدعي الفرق.

وصل النادل وهو يحمل سمكتين، وتمنى لهما طعاما شهيا.

شرعا يأكلان، وفجأة، رفع شارل رأسه عن صحنه:

- حقا إنني مغفل، كل هذا مضحك.

- ماذا؟

- إنني أكره السمك.

- آه..

- وحتى، فهو أسوأ من ذلك.

- آه صحيح؟

- نعم، إنني شديد التحسس من السمك.
- ...
- حقا، ليس بوسعي أن أكون مثلك، ولن أكون مع ناتالي، كل هذا بسبب السمك.

92

بعض التفاصيل التقنية
التي تتعلق بالحساسية من السمك

لم تكن الحساسية من السمك نادرة الوجود، فهي تحتل المرتبة الرابعة في بلادنا. والمشكلة التي تطرح نفسها، عندما يقع شخص ما ضحية لها، هي لمعرفة فيما لو كان لديه حساسية من نوع واحد من السمك أو لعدد كبير، وعمليا فإن نصف المرضى الذين يعانون من الحساسية لنوع من الأسماك تكون لديهم حساسية من الأسماك الأخرى، وهذا ما يتطلب إجراء اختيارات فحص جلدية للبحث عن الحساسيات المتقاطعة، وأحيانا إجراء فحوصات استفزازية (مع الغذاء موضوع البحث) في الحالة التي تكون فيها الفحوصات الجلدية غير مرضية، كما يمكن لنا أيضا أن نتساءل فيما لو أن بعض السمك بعينه هو أقل إثارة للحساسية من أسماك أخرى، وللإجابة عن هذا السؤال فإن فريقا من الباحثين قام بإجراء مقارنة لقابلية ردة الفعل المتقابلة لتسعة أنواع من الأسماك، وهي: سمكة الغادُس (أو التي تسمى سمكة المورة الطرية)، وسمكة السلمون، وسمكة الغُبر المفترسة، وسمكة الأسقمري، وسمكة التونة، وسمكة الرنكة، وسمكة الذئب، وسمكة الراقود، وسمكة الهوشع، ويبدو أن نوعين

من هذه الأسـماك، وهي التونة وسمكة الأسقمري (ينتميان إلى عائلة فصيلة أسماك الأسقمريات البحرية) هما أفضل الأسماك قبولا، والأسماك المفلطحة، وأسماك الراقود وأسماك الهوشع، في المرتبة الثانية. وعلى النقيض من ذلك، فإن سمكة المورة، وسمكة السلمون وسمكة الغُبر المفترسة، وسمكة الرنكة وسمكة الذئب، هذه الأسماك تمثل قابلية من ردود الأفعال المتقابلة المهمة، أي بمعنى، إذا كانت لديك حساسية لواحدة من هذه الأسماك، فإن لديك مزيدا من الفرص بأن تكون لديك حساسية من الأخرى.

93

بعد هذا الكشف عن الأسماك، غرق العشاء في عالم الصمت، حاول ماركوس، ولعدة مرات، أن يفتح الحديث ثانية، ولكن عبثا، لم يأكل شارل شيئا، مكتفيا بالشراب، كما يبدوان مثل شخصين عجوزين لم يمتلكا شيئا يتبادلان به الحديث، مما يسمح في التحول إلى شكل من التأمل الداخلي، يمضي الوقت بلطف (وأحيانا تمضي السنوات أيضا).

ذات مرة في الخارج، وجد ماركوس نفسه مضطرا وهو يستوقف مديره، لم يكن يستطيع القيادة في هذه الحالة، طلب منه أن يستقل سيارة تاكسي، بأقصى ما يمكن من سرعة، كان عجلا بحيث إن محنة الأمسية انتهت في النهاية، ولكن، هنالك خبر سيئ، ذلك أن هواء المساء المنعش قد أنعش شارل، وكان يرد بسرعة مرة أخرى:

- ماركوس، لا تتركني، أريد أن أتكلم معك ثانية.

- ولكن مرت ساعة وأنت لم تقل شيئا، ومن ثم فإنك شربت كثيرا، فمن الأفضل أن أعود إلى البيت.

- أوه.. توقف وكن جادا! حقا أنت تتعبني! سأشرب للتو الكأس الأخير، كل ما في الأمر أنه نظام!

لم يكن أمام ماركوس أي خيار.

لقد التقيا في ما يشبه مكانا فيه أناس من عمر محدد يتماسون بطريقة خليعة، لم يكن ذلك رقصا بالمعنى الدقيق، وإنما كان يشبهه، كانا وهما يجلسان على مقعد وردي، قد طلبا كأسين من شراب ساخن من الأعشاب المنقوعة، وخلفهما كانت تعتليهما صورة مطبوعة طباعة حجرية جريئة، كانت نوعا من الطبيعة الصامتة، ولكنها صامتة حقا، كان شارل يبدو أكثر هدوءا الآن، ومن جديد وفي حالة انحدار، وتعب لا حدود له كان يرتسم على وجهه، فعندما كان يفكر بالسنوات التي خلت، كان يتذكر عودة ناتالي بعد مأساتها، كانت نظرة تلك المرأة التالفة تلاحقه، لماذا تترك التفاصيل أثرها فينا، وقد تكون علامة، تجعل من هذه اللحظات الصغيرة جدا صميم حقبة! كان وجه ناتالي مكسوفا، في ذكرياته، ومهنته وحياته العائلية، كان يمكن أن يؤلف كتابا حول موضوع يتعلق بركبتي ناتالي، بيد أنه كان قد استسلم للأمر الواقع، فقد أدرك أنها لم تكن مستعدة للعيش بطريقة أخرى، ولكن في أعماقه، كان أمله مستمرا، واليوم كان كل شيء قد بدا له من دون فائدة؛ كانت حياته منحوسة، ويحس بضيق النفس، كان السويديون متوترين بسبب الأزمة المالية، وكانت آيسلندا على حافة الإفلاس، وهذا ما أضعف الكثير من الثوابت، كان يشعر بالحقد يكبر إزاء أرباب العمل، وككل المديرين، قد ينأى

بنفسه في الصراع الاجتماعي المقبل، ومن ثم هنالك زوجته، وكانت لا تفهمه، كانا يتكلمان في كثير من الأحيان عن مال اختلط مع الدائنين، كل شيء كان ممتزجا في عالم تافه، حيث كانت الأنوثة فيه تشبه أطلالا، وحيث إن أحدا لم يكن يصرف ما يلزمه من الوقت لإثارة الضجيج بكعبين مدببين، كان صمت كل يوم يعلن عن صمت الأبدية، ولهذا السبب فقد توازنه بسبب فكرة معرفته أن ناتالي مع شخص آخر.

لقد استدعى كل ذلك بكثير من الصدق، وأدرك ماركوس أنه ينبغي أن يتكلم عن ناتالي.

اسم مؤنث، وكان الليل يبدو متناهيا، ولكن ما الذي يمكن القول عنها؟ كان يعرفها بالكاد، بوسعه أن يعترف بكل بساطة:

- أنت ترتكب خطأ.. لا يمكن القول إننا كنا معا.. إن الأمر يعني في الوقت الحاضر قصة ثلاث أو أربع قبلات.. وبعد ذلك، فإنني لا أروي لك الغرابة في ذلك..

ولكن لم يخرج أي صوت من فمه، كان يشعر بصعوبة الكلام عنها، وهو يدرك ذلك الآن، لقد وضع مديره رأسه على كتفه، ودفعه إلى البوح، وعند ذاك بذل ماركوس جهدا ليروي، بدوره، روايته عن حياته مع ناتالي، وتفسيره لكل اللحظات المتعلقة بناتالي، ومن دون سابق عهد، هجمت عليه فجأة ذكريات عديدة، وعدد من اللحظات الهاربة التي كانت تعود به إلى زمن طويل مضى، تماما قبل نزوة التقبيل.

لقد حدث ذلك لأول مرة، حيث أمضى معها حديثه حول التوظيف. كان يقول بنفسه في الحال: لم يكن بوسعي أن أعمل قط مع امرأة كهذه. لم يكن جيدا، ولكن كان على ناتالي أن

تكون لديها تعليمات توظيف شخص سويدي، وكان ماركوس إذن هناك، بسبب قصة الكوتا، لم يكن يعرفها قط، فبالنسبة له كان تأثيرهـــا الأول يلاحقه في خلال عدة شـــهور، كان يفكر ويفكر بالطريقـــة التي تضع فيها خصلات شـــعرها خلف أذنها، كانت هذه الحركة تســـحره، وكان خلال اجتمـــاع المجموعة، يأمل بأن تفعـــل ذلك ثانية، ولكن لا، كان ذلك رحمة فريدة من نوعها، كان يفكـــر أيضا بالحركات الأخرى كحركـــة وضع ملفاتها فوق زاوية الطاولة، وطريقتها وهي ترطب شـــفتيها بســـرعة قبل أن تتناول الشراب.

وكالزمـــن الذي تســـتقطعه من أجـــل التقاط أنفاســـها بين جملتين، والطريقة التي كانت تلفظ بها حرف الـ s أحيانا، وعلى وجه الخصوص في آخر النهار، وابتسامتها المعبرة عن المجاملة، ابتســـامة الشكر والامتنان، وكعبيها المدببين اللذين كانا يمجدان ربلتي ساقيها، لقد كان مرعوبا من سجادة الشركة، ولهذا تساءل ذات يوم: ولكن من ذا الذي اختراع السجادة إذن؟ وأشياء كثيرة، مـــرة ومرة. نعم، كل شـــيء كان يعن له الآن، أمـــا ماركوس فقد أدرك أن إعجابا كثيرا بناتالي قد تراكم في أعماقه، فكل يوم إلى مقربة منها يعد انتصارا هائلا، ولكنه كان يعد انتصارا متســـترا بسيطرة القلب الحقيقية.

كـــم من الوقت صرفه وهو يتكلم عنها؟ لم يعرف ذلك، وما إن التفت حتى لمح شارل وقد غفا، مثل طفل ينام وهو يستمع لحكاية، ولكي لا يصاب بالبرد، وباهتمام دقيق غطاه بسترته، وفي هذا الصمت المفقود، لمح هذا الرجل الذي تخيّل سلطانه، فهو الذي شـــعر في أكثر الأحيان برئتيه في قمع، وهو الذي

كان يفكر في كثير من الأحيان بحياة الآخرين حسدا، وكان يدرك أنه لم يكن الأتعس، وأن رتابته كانت تعجبه بالذات، كان يتمنى أن يكون مع ناتالي ولكن في الحالة المضادة، لن ينهار، كان محموما، وواهنا أحيانا. كان ماركوس يمتلك قوة محددة، نوعا من الاستقرار، والهدوء، وهنالك بعض الأمور التي تسمح له بألا يعكر صفو أيامه، ولكن ما الفائدة من الانفعال عندما يكون كل شيء لا جدوى منه؟ كان يقول في نفسه أحيانا، ربما ذلك ناتج عن الإلحاح المفرط بقراءة سيوران، ربما تكون الحياة جميلة عندما يعرف المرء مساوئ الكائن بالفطرة، كانت رؤية شارل النائم تعزز من هذا الإحساس بالثقة، الذي يكبر للتو في أعماقه زائدا قوة إضافية أيضا.

لقد اقتربت منهما امرأتان في الخمسين من العمر، في محاولة للبدء بناقش معهما، غير أن ماركوس وجه إليهما إشارة بعدم إثارة الضوضاء، لقد كان هذا المكان مع ذلك مكانا موسيقيا، وأخيرا نهض شارل، وقد فتح عينيه مندهشا في هذه الشرنقة الوردية، لقد رأى رأس ماركوس الذي كان يراقبه، ولاحظ وجود سترته فوقه، ابتسم، وقد ذكرته هذه الارتسامة البسيطة على الوجه بأنه يشعر بصداع، لقد كان هنالك متسع من الوقت ليرحل، فالفجر ليس ببعيد، ثم إنهما وصلا إلى المكتب سوية، وعند الخروج من المصعد افترقا وهما يتصافحان.

94

اتجه ماركوس في وقت متأخر من الصباح إلى ماكينة القهوة، وفي الحال لاحظ أن الموظفين يبتعدون عند مروره، لقد كان مثل موسى أمام البحر الأحمر، ربما تبدو الاستعارة مبالغا فيها، ولكن ينبغي أن نفهم ما كان يحدث. ماركوس، هو أيضا موظف، وبقدر ما هو حذر فهو كئيب، حيث كثيرا ما كان يقال إن كائنا من كان، كان يجد نفسه في ظرف يوم يخرج مع واحدة من أجمل النساء في الشركة، ولو لم تعد جميلة (ومن أجل عدم إفساد أي شيء من العمل الباهر، كانت هذه المرأة قد عرُفت كامرأة ميتة بالنسبة للإغواء)، ويتناول العشاء مع المدير، وقد رآهما الجميع يصلان معا في الصباح، بطريقة توحي بشكل محرض للقيل والقال، كان هناك الكثير لرجل واحد، كل الناس حيّوه، وألقوا عليه سؤالا: كيف الحال هذا اليوم؟ وهل الملف 114 يسير على ما يرام؟ وفجأة لم يكترث لهذا الملف الميئوس منه، ولم يعره اهتماما، حتى إن ماركوس، وهو في عز الصباح، كاد يبدي انزعاجه. كان التحول، الذي أضيف إلى ليلة بيضاء أكثر عنفا، كان وكأنه مقبوض عليه على حين غرة، قد أوجز في بضع دقائق سنوات من عدم الشعبية، بالتأكيد، لم يكن كل ذلك طبيعيا، حتما هنالك سبب، أمر ما مريب، كان يقال إنه مثل حيوان الخلد في خدمة السويد، ويقال إنه كان ابن أكبر المساهمين، ويقال إنه كان مريضا مرضا خطيرا، ويقال إنه مشهور جدا في بلاده بوصفه ممثلا في الأفلام السينمائية الخلاعية، ويقال إنه اختير ليمثل الإنسانية على كوكب المريخ، ويقال أيضا إنه الصديق المقرب لناتالي بورتمان.

95

تصريح إيزابيل إدجاني
في برنامج برونو ماسور التلفزيوني
في 18 يناير 1987

* * *

إن المرعب بالنسبة لي اليوم.. هو وجوب
المجيء إلى هنا لأقول «إنني لست مريضة».
مثلما كنت أقول «إنني متهمة بارتكاب جناية».

96

التقى كل من ناتالي وماركوس لتناول طعام الغداء، كان متعبا، لكن عينيه بقيتا مفتوحتين على وسعهما. أما هي فلم تفهم بأن العشاء استمر الليل كله، ربما كانت الأمور تسير اليوم هكذا معه؟ وأن أي شيء لم يكن بالحسبان، ربما أرادت أن تضحك، ولكنها كانت لا تحب كثيرا ما كانت تراه، كانت تشعر بأنها متوترة، ومنزعجة بسبب ما يحيط بهما من ضجيج، كان ذلك يحيلها إلى دناءة الناس بعد دفن فرانسوا، وإلى مظاهر الرأفة المرتكبة، ربما كانت نزوة، ولكنها ترى في ذلك ما يشبه آثار زمن من التعاون، كانت تقول في نفسها وهي ترى بعض ردود الأفعال: لو كانت هناك حرب جديدة، لكان كل شيء هو نفسه، كان إحساسها مبالغا فيه، ولكن سرعة الإشاعة تستند

إلى حقد أكيد، كل ذلك كان يوحي لها باشمئزاز أثار صدى في تلك الحقبة المضطربة.

لم تفهم لِـــمَ كانت حكاياتها مع ماركوس تثير اهتمام البعض! أبســـببه؟ أبسبب ما كان يكشفه؟ وهل يرى الآخرون أن المعاشرة معقولـــة إلى حد مـــا؟ ولكن ما هو غير معقـــول هل هنالك أقل منطقية من الانســـجام؟ منذ آخر حديـــث لها مع كلوئه، لم يهدأ غضب ناتالي، من يحســـبان نفســـيهما؟ كانت تحـــول النظرات الصغيرة لكل واحد إلى نظرات عدائية، تقول:

- لقـــد تبادلنا القُبل بصعوبة، وكان لـــدي انطباع بأن الناس جميعا تمقتني الآن.

- أما أنا، فإن كل الناس معجبة بي!

- هذا خبث..

- يكفي أن الأمر سيّان عندي.

تحدق بقائمة الطعام، هذا مهم، تريدين سلطة الهندباء البرية بجبنة الروكفور أم حساء اليوم الطبق الأول؟ لا يوجد سوى هذا الخيار؟

كان على حق بالتأكيد، ومع ذلك، كان يتعذر عليها الاسترخاء، وكانت لا تدرك لماذا كانت تتصرف بطريقة عنيفة جدا، قد يتطلب بعض الوقت ليفهم بأن كل شيء كان له علاقة بولادة مشاعرها، وكان إحســـاســـا مدوّخا، كانت تحوله إلى إحساس عدواني، ضد الجميع، وضد شارل قبل كل شيء:

- تعرفـــين أنني أفكر بذلك كثيرا، وكثيرا ما أقول إن ردة فعل شارل ردة مخجلة.

- أظن أنه يحبك وهذا كل ما في الأمر.

- وهذا ليس سببا لإثارة المهزلة معك.
- اهدئي، هذا ليس بالأمر الخطير جدا.
- لا أستطيع أن أهدأ، لا أستطيع.

لقد أعلنت ناتالي أنها ستمضي وتلتقي بشارل بعد الغداء لإيقاف تمثيل هذه الأمور. لم يفضل ماركوس إعاقة عزمها، وترك برهة من الصمت، قطعتها بهذا الاعتراف:

- اعذرني، كنت مثارة الأعصاب.
- هذا ليس بالأمر الخطير، ومن ثم أنت تعرفين أن ما هو راهن قد تطور بسرعة.. وفي خلال يومين لن يعود أحد يتكلم عنّا.. وصلت للتو سكرتيرة جديدة، أظن أنها ستنال إعجاب بيرتييه.. وعندئذ سترين..
- لن يكون نبأ مثيرا، إنه يقفز فوق كل شيء يتحرك.
- نعم، هذا صحيح، ولكن الأمر مختلف، أذكّرك بأنه تزوج للتو من المحاسبة.. ومن ثم ليس هنالك بدّ من مسلسل قصير.
- مع ذلك أظن، أنني تائهة.

لقد لفظت هذه الجملة بحرقة، ومن دون أدنى فترة انتقال، وبشكل غريزي تناول ماركوس كسرة الخبز، وأخذ يفتتها في يده.

سألته ناتالي:

- ماذا تفعل؟
- أقوم كما تقوم به الشخصية الرئيسة في حكاية «بوسيه الصغير»، فإذا ما كنت قد ضعتِ، فينبغي أن تتركي وراءك وفي طريقك فتاتا من الخبز، وهكذا، بوسعك الاستدلال على طريقك.
- من يرافقني هنا.. أتفترض أنت؟

- نعــم، اللهــم إلا إذا كنت جائعا، فأقرر تنــاول فتات الخبز بانتظارك.

97

خيار ناتالي بالنسبة للطبق الأول
أثناء الغداء مع ماركوس
حساء اليوم
(لم نســتطع الحصول على التفاصيل المتعلقــة بطبيعة هذا الحساء بالضبط)

98

لم يعد شــارل الرجل الذي أمضى الليــل مع ماركوس، ففي الصباح، اســتعاد رشده وندم على تصرفه، كان لما يزل يتساءل: لماذا فقد توازنه وهو يكتشــف الســويدي الآخــر؟ ربما لم يكن منبســط الأسارير، كان يعاني من هموم عديدة، ولكن ليس هذا هو الســبب الذي يدعــوه إلى التصرف هكــذا. وعلى الأخص أمام شــاهد كان خجلا، وهذا ما دفعه إلى أن يكون عنيفا. بدا عدوانيا مثل عاشق بعد ممارسة رائعة للحب، كان يشعر بأن كل دقائــق المعركة تتصاعد في أعماقه، أخذ يســتعرض عضلاته، ولكن في هذه اللحظة تحديدا، دخلت ناتالي إلى مكتبه، فنهض وقال بنبرة جفاء:

- كان عليك أن تطرقي الباب.

تتقدم نحوه، بالطريقة ذاتها التي كانت تتقدم نحو ماركوس لتقبّله، لكنها كانت تريد أن تصفعه.

- هو ذا، تمّ الأمر.
- ولكن هذا لا يمكن! أستطيع أن أطردك.

كان شارل يلامس وجهه، ثم كرر تهديده وهو يرتجف:

- أما أنا، فأستطيع مهاجمتك إلى حد مضايقتك، أتريد أن أريك الرسائل التي بعثتها لي؟
- ولكن لماذا تتحدثين معي هكذا؟ إنني أكنّ لك الاحترام على الدوام.
- نعم، هيا مثّل علي مسرحيتك، وقل إنك تريد النوم معي.
- بصراحة، لم أفهمك.
- وأنا، لم أفهم ما الذي صنعته مع ماركوس.
- رغم ذلك، من حقي أن أتناول العشاء مع موظف!

صرخت:

- نعم، حسنا، هذا يكفي! هل هذا مفهوم؟

لقد جعلها ذلك مجنونة، ربما أرادت أن تطلق العنان لغضبها، كان رد فعلها مفرطا، كانت وهي تدافع عن منطقتها مع ماركوس تفضح اضطرابها، هذا الاضطراب الذي كانت غير قادرة على تعريفه دائما. معجم لاروس يتوقف هنا حيث يبدأ القلب، وكان شارل ربما لهذا السبب قد توقف. في لحظة عودة ناتالي إلى الشركة، لقراءة التعاريف، ليس هنالك من شيء يمكن قوله، ما عدا السماح لردود الفعل البدائية بأن تتكلم.

في الوقت الذي كانت تغادر فيه المكتب، أعلن شارل:

- لقد تناولت العشاء معه، لأنني كنت أريد أن أتعرف عليه..

أعرف كيف اســتطعت اختيار رجل قذر، عديم الشأن، أستطيع أن أفهم أنك ترفضينني، ولكن هذا، كما ترين، ما .. ما لا أستطع أن أفهمه أبدا.

- صه!

- مهمــا كنت تعتقدين بأنني ســأترك الأمــور الآن كما هي، أصبح لدي للتو عدد من المســاهمين، وبــين دقيقة وأخرى، فإن عزيزك ماركوس يتســلم عرضا مهما جــدا، عرضا يعد رفضه نوعــا من الانتحار، ســوى عائق بســيط، ذلــك أن الوظيفة في إســتوكهولهم، ولكن مع التعويضات التي سيحصل عليها، أعتقد أن التردد سيكون عابرا.

- أنت مثير للعواطف، وبخاصة أنه ما من شــيء يمنعني من الاستقالة لملاحقته.

- لا تستطيعين أن تفعلي ذلك! إنني أمنعك.

- ستؤلمني، حقا..

- أنت لا تستطيعين أن تفعلي ذلك مع فرانسوا.

حدقت به ناتالي بتركيز، أراد أن يعتذر في الحال، لأنه أدرك أنــه ذهب بعيدا جــدا، ولكنه لم يكن يعد يســتطيع أن يتحرك، وهي كذلك، لقد شلتهما العبارة الأخيرة هذه، وفي نهاية المطاف غادرت مكتب شــارل بهدوء، من دون أن تنبس ببنت شفة؛ وبقي وحده، مع يقين بأنه فقدها في النهاية. تقدم نحو زجاج النافذة، ليتأمل الفراغ أمامه، برغبة شديدة.

99

ذات مرة، وهي جالسة خلف مكتبها، تصفحت ناتالي تقويمها، نادت على كلوئه وطلبت منها أن تلغي كل مواعيدها.

- ولكن هذا غير ممكن! إذ يجب عليك إدارة اللجنة في خلال ساعة.

- نعم أعرف ذلك.

قاطعتها ناتالي.. حسنا سأدعوك فيما بعد.

لقد علقت كل شيء، وهي لا تعرف ما تفعل، لقد كان اجتماعا في غاية الأهمية. وكانت قد أمضت جلّ الوقت في التحضير له، ولكن من البدَهي ربما لم تعد تستطيع العمل في هذه الشركة، بعد كل ما جرى للتو، لقد تذكرت ولأول مرة أين كانت تأتي في هذه المبنى، كانت ما تزال في ريعان الشباب، وتتذكر الأيام الأوَل، ونصائح فرانسوا، ربما كان ذلك هو الأصعب في اختفائها، غياب مناقشاتهما المفاجئ والقاسي، موت هذه اللحظات التي يتحدث فيها المرء عن حياة الآخر أو يعلق عليها. كانت تجد نفسها وحيدة على حافة الهاوية، وتشعر بأن الوهن يفسدها، وبأنها كانت تمثل الكوميديا المؤثرة أكثر مما كان، وفي أعماقها هي بالذات، لم تكن مقتنعة بأنها تريد أن تعيش، كانت ما تزال تجرب قدرا من الإدانة، الإدانة المنافية للعقل، وهي تفكر بيوم الأحد الذي توفي فيه زوجها، كان ينبغي لها أن توقفه، وأن تمنعه من الذهاب لممارسة رياضته في الركض، ألم يكن هذا دور المرأة؟ محاولة منع الرجال من الركض، كان ينبغي أن توقفه وتقبّله وتمارس

الحب معــه، كان ينبغي أن تضع كتابها، وتقطع القراءة، بدلا من أن تسمح له بتحطيم حياتها.

كان الغضــب ينتابها حتى الآن، تأملت ثانية مكتبها برهة من الوقت، ثم ألقت بعض الأمور في حقيبتها، وأطفأت حاســوبها، نظّمت أدراج مكتبها، وغادرت المكان، كانت سـعيدة لأنها لم تلتقِ بأحــد، ولم تتلفظ بأي كلمة، كان يجب أن يكون هروبها صامتا. اســتقلت سيارة تاكسي، وطلبت من الســائق التوجه إلى محطة ســانت لازار، ثم ابتاعــت تذكرة، وفي الوقت الــذي انطلق فيه القطار، أجهشت بالبكاء.

100

مواقيت الانطلاق التي استقلتها ناتالي
من باريس - ليزيو

* * *

الانطلاق: الساعة 16.33 باريس - سانت لازار
الوصول: 18.02 ليزيو

101

أوقــف اختفاء ناتالي آلية كل طوابق المبنى بشــكل مباشــر، كان يجــب عليها أن تدير الاجتماع الفصلــي الأكثر أهمية، لقد رحلت من دون أن تترك أدنى تعليمات، ومن دون أن تخبر أحدا، كان البعــض يدمدم في الممرات، وينتقد قلة مهنيتها، وفي دقائق

معدودة هوت سمعتها بشكل يرثى له؛ هيمنة الحاضر على الشهرة التي حصلت عليها خلال عدد من السنين، وعندما عرف الناس جميعا علاقتها بماركوس، لم يتوقف أحد عن المجيء واللقاء به: «هــل تعرف أين يمكن أن تكـون؟»، كــان عليه أن يعـترف بـأنه لا يعلم، وهذا ما كان يجعله يكرر القول:

– كلا، ليــس لي أية علاقة خاصة بها، ولســت على ثقة من تيهانها.

كان مــن المؤلم أن تضطر إلى تبرير ذلــك، ومع هذا الحدث الجديد، ســيفقد للتو الهيبة المتراكمة منذ الفترة السابقة، كان وكأنه يتذكر فجأة أنه كان أكثر أهمية من ذلك، وكان هنالك من يتســاءل كيف يمكــن الاعتقاد، وقد يكون ذلــك في لحظة، بأنه استطاع أن يكون صديق ناتالي بورتمان الحميم.

حاول، في مرات عديدة الاتصال بها، ولكن من دون نتيجة، كان هاتفها مغلقا، لم يكن يستطيع العمل، استدار دورة، فكان الأمر ســريعا، وهو يرى ضيق مكتبهــا، ما العمل؟ كانت الثقة بالأيــام الأخيرة تتبدد بســرعة، وكان الغداء يمر برأســه في حلقــة تكرار، «الذي يهم، هــو أن تعرف أي طبق تتناول»، كان يتذكر أنه تلفظ هذا النوع من الكلام، كيف كان ممكنا أن تتكلم هكذا؟ ما كان عليك أن تحاول، لم يكن فخما، ومع ذلك فإنها نعــم ما قالت إنها كانت ضائعــة، أما هو، فقد كان يطفو فوق ســحابته، وكان قادرا على أن يقدم لها بعض الجمل الخفيفة، مثل: «بوسيه الصغير»! ولكن في أي عالم كان يعيش؟ بالتأكيد ليس في عالم فيه النساء يتركن له عناوينهن قبل أن يهربن. كل ذلك كان خطأه من دون منازع، كان يفزع النســاء فيهربن، وإذا

ما وجد واحدة، فإنها تذهب لتصبح راهبة، تستقل القطارات والطائرات لتغادر الهواء الذي كانت تستنشقه. كانت مريضة في تصرفها السيئ، الإحساس بالحب هو الإحساس بالإثم، وهنا يمكن أن تعتقد بأن كل جروح الآخر تأتي من الذات، يمكن أن نفكر، ودائما من خلال الجنون، بحركة صانع الكون، حيث يكون المرء في مركز قلب الآخر، وإن الحياة تختصر إلى إناء مغلق بصمامات رئوية، كان عالم ماركوس هو ناتالي، وكان عالما كاملا وشموليا، حيث كان فيه مسؤولا عن كل شيء ولا شيء في آن معا.

أما العالم البسيط فكان يعود إليه أيضا، وببطء، توصل إلى استعادة السيطرة على روحه، ومن أجل موازنة الأبيض والأسود أخذ يفكر بكل رقة لحظاتهما، كانت رقة واقعية جدا، بحيث إن أحدا لا يمكن أن يمحوها. كان الخوف من فقدان ناتالي يضج في أعماقه، وكان ضجره هو ضعفه، هذا الضعف الذي كان يمكن أن يكوّن أيضا جاذبيته، وإذا ما ربطنا هذا الضعف، يمكن أن ننفذ إلى قوته، لا يعرف ما يفعل، ولا يريد أن يعمل، لم يكن يعد يفكر بيومه بطريقة عقلانية، كانت تستبد به رغبة أن يكون مجنونا، أن يهرب هو أيضا، أن يستقل سيارة تاكسي ويصعد في أول قطار قادم.

102

ومن ثم استدعي إلى مكتب مدير الموارد البشرية، والحقيقة أن كل الناس كانوا يريدون أن يلتقوا به، لقد ذهب إلى هناك من

دون أدنى خشـــية، انتهى الخوف من الســلطة، كل شيء لم يكن سوى بعض الترتيبات في بضعة أيام. استقبله بونيفان بابتسامة عريضة، وفكر ماركوس في الحال بأن هذه الابتسامة ما هي إلا ابتســامة قتل، إن ما هو جوهري بالنســبة لمدير الموارد البشرية هــو أن يكون بمظهر يليق بمهنتــه بوصفه موظفا يتصرف وكأنه يمارس حياته الاعتيادية. لاحظ ماركوس أن بونيفان كان يستحق مركزه الوظيفي:

- آه يا ســيد لونديل.. إنه لمن دواعي الســرور أن ألتقي بك، إنني أتابعك منذ وقت، كما تعلم..

أجاب، مقتنعا (بالمعنى الدقيق) بأن هذا الرجل كان يأتي من أجل اكتشاف وجوده:

- آه حسنا؟

- بالتأكيــد.. كل إجراء يهمني.. ويجب أن أعترف بأنني أكنّ لـــك محبة حقيقيـــة، لطريقتك التي لم تثــر أي غموض، وعدم الســؤال عن أي شـــيء، والأمر في غاية البســاطة، فإن لم أكن منصفـــا إلى حد ما، فإنني بالتأكيد قد لا أســتطيع أن أشــعر بحضورك في وسط شركتنا..

- آه..

- أنت الموظف الذي يحلم كل رب عمل بأن تكون في مؤسسته.

- هذا لطف منك، هل بوسعك أن تخبرني لماذا أردت مقابلتي؟

- آه، هذا كل ما في الأمر! الكفاءة، الكفاءة! لا نضيع الوقت! يا ليت أن كل الناس كانوا مثلك!

- وبالتالي؟

- حسنا.. بصراحة أريد أن أعرض عليك الموقف؛ تطرح عليك

الإدارة منصب مدير المجموعة، مع زيادة مهمة في الأجر، وهذا أمر بدهي، فأنت عنصر رئيس في إعادة الهيكلية الإستراتيجية لشركتنا.. ويجب أن أقول إنني لست مستاء من هذا الترفيع.. لأن الوقت قد مضى لإعلان دعمي له.

- شكرا.. لا أعرف ما أقول لك.

- عندئذ، بالتأكيد، سنسهل لك كل الإجراءات الإدارية للانتقال.

- الانتقال؟

- نعم، لأن المكتب في إستوكهولم، في بلدك!

- ولكن لم يخطر ببالي أن أعود إلى السويد. إنني أفضّل وكالة العمل الوطنية في السويد.

- ولكن..

- لا اعتراض؟

- أجل، أظن أنك لا تملك خيارا.

لم يكلف ماركوس نفسه عناء الإجابة، فغادر المكتب من دون أن ينطق بكلمة.

103

حلقة من المفارقات

تأسست في أواخر العام 2003، بهدف القيام بإبراز الرابطة الوطنية لمديري الموارد البشرية من الذين يمتهنون مهنة الموارد البشرية غير الأعضاء، وتجمع الحلقة مديري الموارد البشرية مرة واحدة خلال الشهر في دار الموارد البشرية لمناقشة المشكلة

التي تطرح على مديري الموارد البشرية الذين يتقلدون وظائفهم في قلب تناقضات الشـــركة. وتهدف هذه اللقاءات الشهرية لأن تكون في إطار مغاير للتقاليد؛ حيث يعالج فيها موضوع حساس، حول الأسلوب المهني المختل، ولكن في إطار مهني ولكنه محايد، والظرافة هي موضع ترحيب، ولكنها ليست بلغة متخشبة.

104

عـــادة كان ماركوس يقضي وقته في الممـــرات، فقد كان يعد هذه التنقلات ما يشـــبه الاستراحة، وكان بوسعه النهوض تماما ويقول: «ســـأمضي لتنشيط ســـاقيّ» عندما كان يخرج الآخرون ليدخنوا السجائر.

ولكن في هـــذه اللحظة، وبعد أن انتهت لحظة الكســـل، كان يندفع، وكان ذلك شـــيئا غريبا أن تراه يندفع هكذا، وكأن هنالك حقدا يدفعه، كان مثل سيارة ديزل، ربما هناك من تاجر بمحركها، فهناك شـــيء ما للمتاجرة عنده، لقد لمســـنا عروقه الحساسة، والأعصاب التي تذهب إلى القلب مباشرة.

دخـــل فجأة في مكتب مديره، تفحص شـــارل موظفه، ووضع يده بشـــكل غريزي على خده، بقي ماركوس واقفا لا يتحرك في وسط الغرفة، كاظما غيظه، فتجرأ شارل وقال:

- هل تعرف أين هي؟

- كلا، لا أعرف، توقف عن سؤالي تماما أين ناتالي، لا أعرف.

- عندي بعض الزبائن علـــى الهاتف، إنهم ثائرون، لا أصدّق

أنها استطاعت أن تفعل بنا ذلك!

- إنني أفهمها تماما.
- ماذا تريد مني؟
- كنت أريد أن أقول لك شيئين.
- بسرعة، إنني في عجلة من أمري.
- الأول، وهو أنني أرفض عرضك، وهذا مثير للرثاء بالنسبة لك، لا أعرف كيف تستطيع الاستمرار في التحديق بالمرأة.
- من قال لك إنني أحدّق؟
- حسنا، لا يهمني ما كنت تقوم به أو لم تقم.
- والثاني؟
- أقدم استقالتي.

ظل شارل مشدوها لسرعة رد فعل هذا الرجل الذي لم يتردد ولا لحظة، كان يرفض العرض، ويغادر الشركة، كيف استطاع أن يدير الموقف بهذه الطريقة السيئة؟ ومن ثم كلا.. ربما كان ذلك هو ما يريده؟ أن يراهما يهربان، بقصتهما المفجعة، كان شارل يستمر في مراقبة ماركوس، ولم يستطع أن يقرأ شيئا في وجهه، لأن على وجه ماركوس هذا النمط من الغضب الذي يتجمد، الذي يمحو كل تعبير يمكن قراءته، ومع ذلك شرع بالذهاب إليه ببطء وبحذر محسوب، وكأنه محمول بقوة مجهولة، وهكذا فإن شارل لم يستطع إخفاء خوفه، وهو خائف بشكل حقيقي.

- الآن، فأنت لست بمديري.. ويمكن لي..

لم يكمل ماركوس جملته، تاركا لقبضته تكمل مكانها، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يضرب بها شخصا ما، وندم لأنه لم يفعلها في وقت مبكر، ففي أغلب الأحيان كان يبحث عن كلمات

لمداراة الموقف.

صرخ شارل:

- هذا غير معقول! أنت مجنون!

اقتــرب ماركوس منه ثانية، وأبدى له حركة تهم بضربة ثانية، تقهقر شـــارل إلـــى الخلف، وجلس في زاويـــة مكتبه، وبقي وقتا طويلا خائر القوى في هذا الوضع بعد خروج ماركوس.

105

29 أكتوبر 1960 في حياة
محمد علي
لقد انتصر، في لويزفيل.
في أول مباراة احترافية
بالنقاط ضد توني هونساكر

106

عندما وصلت إلى محطة ليزيو، استأجرت ناتالي سيارة، وهي منذ مدة طويلة لم تقد ســيارة، كانت تخشـــى ألا تجد السيارات الأوتوماتيكية، لم يكن الطقس حســـنا، فقد بدأت الدينا تمطر، ولكنها شـــعرت ثانية بتعب شـــديد أكثر حتى في اللحـظة التي لم يكن هناك من يخيفها، أخذت تسير بسرعة شيئا فشيئا، على الطرقات الضيقة، وهي تقـــول للحزن: صباح الخير. كان المطر يشوش رؤيتها، وفي خلال لحظات انعدمت الرؤية تقريبا .

عند ذاك، كان هناك شيء ما قد حدث، ومضة لمدة ثانية، هكذا، في أثناء السير، رأت مشهد القبلة مع ماركوس، في الوقت الذي بدت لها الصورة، وهي لم تكن منشغلة بالتفكير به. وبعيدا عن ذلك، كانت الرؤية تفرض نفسها بحدة، أخذت تستحضر اللحظات التي اقتسمتها معه، وهي تغذ السير، أخذت تلوم نفسها لأنها رحلت من دون أن تقول له كلمة، لم تكن تعرف لماذا لم تفكر بذلك، كان هروبها سريعا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تترك فيها المكتب بهذه الطريقة، وكانت تعرف أنها لن تعود ثانية قط، وأن جزءا من حياتها يتوقف الآن. لقد حان الوقت لأن تتابع السير، ومع ذلك، قررت أن تتوقف في محطة الخدمة. ترجلت من السيارة، ونظرت إلى ما حولها، لم تكن تعرف شيئا، لقد أخطأت الطريق على الأرجح، كان الليل يهبط، وكانت هذه صحراء، وأكمل المطر هذه الثلاثية الكلاسيكية من صور اليأس. أرسلت رسالة إلى ماركوس، تماما، من أجل أن تقول له أين هي، وبعد دقيقتين، تسلمت: «سأستقل إلى ليزيو أول قطار، إذا كنت هناك فنعم الأمر وصار»، ثم رسالة ثانية على الفور: «هذه مجرد تقفية».

107

مقتبس من قبلة، حكاية
غي موباسان
هل تعرف من أين تأتي قوتنا الحقيقية؟
من القبلة، من القبلة وحدها! (.....) ومع ذلك فالقبلة، ليست سوى مقدمة.

108

ترجـل ماركوس مـن القطار، وهو أيضا، سـافر من دون أن يخبر أحـدا، كانا يمضيان ليجدا نفسـيهما مثل اثنين هاربين. في الجانب الآخـر من صالة المحطة رآها واقفة، أخذ يمشـي نحوها، بشـكل بطيء، وكان ذلك في فيلم إلى حد ما، كان يمكن أن نتصور الموسـيقى التي قد ترافق هذه اللحظة بكل سـهولة، ومن ثم عم الصمت، نعم، قد يكون الصمت، وربما لا نسمع سوى تصاعد أنفاسـهما، قد نستطيع أن ننسى حزن المنظر، وربما أن سـلفادور دالي لم تلهمه محطة ليزيو، كانت فارغة وباردة، وضع ماركوس علامة إعلان يمثل متحفا يعود إلى تيريز دوليزيو، وفي أثناء ما كان يتقدم نحو ناتالي، فكر: «عجبا، إنه لمن المذهل أنني كنت أفكر دائما بليزيو، على أنه كان اسمها العائلي..»، نعم، كنت أفكر حقا بذلك، وكانت ناتالي هناك، قريبة جدا مني، بشـفتيها صاحبتَـي القبلة، غير أن وجههـا كان مغلقا، وجهها كان محطة قطار ليزيو.

اتجها نحو السـيارة، جلسـت ناتالي في مكان المقود، وجلس ماركـوس في مكان المـوت، وانطلقت، لم يتبـادلا أي كلمة، كانا يشـبهان مراهقين لا يعرفـان ما يقولانه فـي أول موعـد لهما، لـم تكن لدى ماركـوس أي فكرة عن المكان الـذي هو فيه، وأية فكـرة عن المكان الذي يذهب إليه، كان يتابع ناتالي، وهذا يكفي بالنسبة له، وخلال لحظة، ولأنه لم يتحمل الفراغ، قرر أن يضغط على زر راديو السيارة، لقد كان على إذاعة نوستالجي (الحنين)،

فصدحت أغنية (الحب الهارب) لـ آلان سوشون عند ذاك في السيارة.

قالت ناتالي:

- أوه.. هذا لا يصدق!

- ماذا؟

- ولكن هذه الأغنية، يا للجنون، إنها أغنيتي.

حدق ماركوس براديو السيارة برفق، فهذه الآلة سمحت له أن يستأنف الحوار مع ناتالي، كانت تستمر بالقول في أية نقطة كان المذهل والجنون، وهل كانت تعني علامة؟ أي علامة؟ لم يكن ماركوس يستطيع أن يعرف ذلك، كان مندهشا لحقيقة أن هذه الأغنية كانت مكتوبة عن رفيقها، ولكنه كان يعرف غرابة الحياة، والمصادفات، والتوافقات، الشهود الذين جعلوك تشكك بالعقلية، في نهاية المقطوعة سألت ماركوس أن يطفئ المذياع، كانت تريد أن تبقى معلقة بهذا اللحن الذي أحبته كثيرا، ما الذي اكتشفته من هذا الفيلم، الجزء الأخير من مغامرات أنطوان دوانيل؟ لقد ولدت في هذا الزمن، وهو شعور ربما من الصعوبة تحديده؛ ولكنها كانت تشعر بأنها ولدت من هذه اللحظة، كما يهرب هذا اللحن، طبيعته العذبة وأحيانا كآبته وخفته.. كل شيء كان متكاملا في 1978، كانت أغنيتها، وكانت حياتها، ولم تكن تعود إليها مصادفة.

توقفت على حافة الطريق، كانت العتمة تمنع ماركوس من أن يرى أين هما، لقد ترجّلا، وعند ذاك لمح السياج المشبك الكبير، كان سياج مدخل مقبرة، ثم اكتشف أنه ليس كبيرا، وإنما كان واسعا، وهو نفسه من النوع الذي قد نستطيع أن نجده أمام

سجن، ذلك أن الموتى قد حكم عليهم بالمؤبد بالتأكيد، ولكن يمكن أن نتخيله محاولة سيئة للهرب، عند ذاك شرعت ناتالي بالكلام:

- لقد دخل فرانسوا هنا، لقد أمضى طفولته في المنطقة.

- ...

- بالتأكيد لم يتحدث عني بشيء، إنه لم يكن يفكر إلا بالموت.. ولكنني أعرف أنه كان يريد أن يكون هناك.. على مقربة من المكان الذي كبر فيه.

قال ماركوس:

- أفهم.

- أنت تعلم، هذا مضحك، ولكنني أنا أيضا أمضيت طفولتي هنا، وعندما كنت ألتقي بفرانسوا، فقد كان ذلك جنونا من قبيل المصادفة، يمكن أن نتقابل مئات المرات في مراهقتنا، ولكننا لا نلتقي أبدا، وفي باريس التقينا، مثل ماذا.. عندما يجب أن تلتقي بشخص ما..

توقفت ناتالي عند هذه العبارة، لكن هذه العبارة استمرت في عقل ماركوس، عمَّ كانت تتكلم؟ القراءة المزدوجة للكلام كانت تشدد على رمز الموقف، لقد كانت كثافة فريدة، كانا هناك، كلاهما، جنبا إلى جنب، على بعد بضعة أمتار من قبر فرانسوا، على بعد بضعة أمتار من ماض لا ينتهي أبدا لكي لا ينتهي، كان المطر يتساقط على وجه ناتالي، بحيث إن المرء لم يكن يستطيع أن يفرق بينه وبين دموع ناتالي، وكان ماركوس يحدّق فيها، كان يعرف قراءة الدموع، اقترب منها وضمّها بين ذراعيه وكأنه يطوق الوجع.

109

الجزء الثاني من «الحب الهارب»
أغنية آلان سوشون
التي استمع إليها كلّ من ماركوس وناتالي في السيارة
نحن، نحن، لم نتحمل
بو، بو، هذا يسيل على خدك
نفترق ولا شيء نعلله
هذا هو الحب الهارب
الحب الهارب
لقد نمت فجاءني طفل يرتدي الدانتيلا
يروح ويجيء، ويتحرك. هذه هي لعبة طيور السنونو
قلِق، أفارق غرفتي المطبخ.
يمكن أن تدعى كوليت، أو أنطوان أو سابين
طوال حياتي، أركض وراء أشياء تهرب:
فتيات يتضوعن عطرا، وباقات دموع، وورد
وكانت أمي تضع خلف أذنيها أيضا
قطرة شيء ما كان يفوح بشيء لا مثيل له.

110

اســتأنفا الطريق ثانية، وكانت الانعطافة الكاملة للطريق قد أصابته بالذهول. في السويد، الطرق مستقيمة، تؤدي إلى مقصد

يراه الإنســان، استسلم إلى حالة من الهدهدة بسبب الدوار، من دون أن يجرؤ على أن يسأل ناتالي إلى أين هما ذاهبان، هل كان ذلك محسوبا حقا؟ لقد كان من الشائع الحديث عن ذلك، ولكنه كان مســتعدا للحاق بها حتى نهاية العالم، هل كانت تعرف على الأقل إلى أين هي متجهة؟ ربما كانت تريد أن تركب الليل، وتسير وكأن الإنسان يريد أن يتناسى.

وفي نهايــة المطاف توقفت، وهذه المرة أمام باب مشــبك، هــل كان هذا هو موضوع تجوالهما؟ اختــلاف وتنوع الأبواب المشــبكة، ترجلت من أجل أن تذهــب لتفتحه، ثم صعدت في الســيارة، كانت كل حركة تبدو مهمة، في نظر ماركوس، تبتعد بطريقــة ذاتية، لأنه هكــذا يعيش المرء تفاصيــل ميثولوجيا شخصية. سارت السـيّارة على امتداد الطريق الضيق لتقف أمام بيت.

- نحــن عند بيت مادلين جدتي لأمي، فهي تعيش وحيدة منذ وفاة جدي.

أجاب ماركوس بطريقة مهذبة:

- يسرني اللقاء بها.

طرقــت ناتــالي الباب مرة.. مرتــين، ثم طرقته بقـوة، ولكـن لا شيء:

- إنها قليلة السمع، من الأفضل أن نقوم بدورة، بالتأكيد هي الآن في الصالة، وسترانا من النافذة.

ينبغي للدوران حول البيت أن نســلك طريقا موحلا بســبب المطر، تشــبث ماركوس بناتالي، لم ير شيئا مهما، ربما كانت قد ابتلت من الجانب! لا يوجد هناك طريق للمرور بين البيت وأوراق

الشجر المحشوة بالعليق.

انزلقت ناتالي، وهي تسحب ماركوس في سقطتها، فابتلا بالوحل والماء، لقد قام برحلات رائعة جدا، ولكن هذه الرحلة كانت مضحكة.

قالت ناتالي:

- من الأفضل أن ننتهي ونمشي على القدمين واليدين.

قال ماركوس:

- إنه لمن الممتع اللحاق بك.

وأخيرا وصلا إلى الجانب الآخر، شاهدا الجدة وهي تجلس أمام الموقد، لم تكن تقوم بعمل أي شيء، أذهلت هذه الصورة ماركوس، هذه الطريقة في جلوسها هنا، منتظرة، أو ناسية نفسها تقريبا. طرقت ناتالي النافذة، وفي هذه المرة سمعت الجدة، أنارت الضوء في الحال، وأسرعت لتفتح النافذة.

- آه يا عزيزتي.. ماذا تفعلين هنا؟ يا لها من مفاجأة جميلة!

- كنت أريد أن أراك.. ولذلك قمت بالدوران.

- نعم، أعرف، أنا متأسفة، لستِ الأولى! تعالي، سأفتح لك الباب.

- كلا، سنمر من النافذة، هذا أفضل.

قفزا من النافذة، وصارا أخيرا في مأمن.

قدمت ناتالي ماركوس إلى جدتها، ووضعت هذه يدها على خده، ثم استدارت نحو الفتاة الصغيرة وهي تقول:

- يبدو ظريفا.

ابتسم ماركوس ابتسامة عريضة، وكأنه يؤكد ذلك:

- نعم، هذا صحيح، إنني ظريف.

استطردت مادلين:

- أعتقد أنني أيضا تعرفت على شخص يدعى ماركوس منذ مدة طويلة، أو ربما يدعى بولوس.. أو شـــارل.. وأخيرا شيء ما كان ينتهي إلى عادات.. ولكنني لا أتذكر جيدا.

حـــلّ صمت محرج، ما الـــذي تفهم من «تعرفـــت»؟ التصقت ناتالي بجدتها، وهي تبتسم، وكان بوسع ماركوس، وهو يراقبهما أن يتصـــور ناتالي فتاة صغيرة، في الثمانينيات كانا هنا، معهما، وبعد لحظة سأل:

- أين يمكن أن أغسل يديّ؟

- آه نعم، تعال معي.

أمســكت به من يده الملطخـــة بالوحل، وقادته مســرعة إلى الحمّام، نعم كان ذلك، جانب الفتاة الصغيرة التي يســتحضرها ماركـــوس، هذه الطريقة في الركض، وهذه الطريقة في أن يحيا المرء الدقيقة القادمة قبل الدقيقة الحالية. هنالك شيء جامح، لقـــد كانا أمام مغســـلتين الواحـــدة جنب الأخـــرى، وكانا وهما يغسلان، يبتســـم كلّ منهما للآخر ببلاهة، كانت هناك فقاعات، فقاعات كثيرة، ولكنها ليست فقاعات من الحنين، خمّن ماركوس:

- إنه أجمل تغسيل لليدين في حياتي.

كان ينبغي أن يبدلا ثيابهما، كان الأمر بالنسبة لناتالي سهلا، إذ لديها بعض الحاجات في غرفتها.

سألت مادلين ماركوس:

- ألديك ملابس لتبدلها؟

- كلا نحن سافرنا هكذا.

- بقرار مفاجئ؟

- نعم بقرار مفاجئ، هكذا.

وجـدت ناتالي أنهما كانا سـعيدين لاسـتخدام تعبير «قرار مفاجـئ»، كان يبدو عليهما أنهما متحمسـان لفكرة حركة غير متعمـدة، عرضت الجـدة على ماركوس أن يذهـب ويفتش في خزانـة زوجها؛ فقادته في ممر طويـل، وتركته وحيدا يختار ما كان يريـد، وبعد دقائق معدودة، ظهر وهـو يرتدي ملابس بنية فاتحة، ذات لون غير معروف، كانت ياقة القميص واسـعة جدا بحيـث إن المرء ليتخيـل أن رقبته كانت تضيـع الآن. هذا الزي المضحك، وغير اللائق لم يكن ليعيق أي شيء من مزاجه الرائق، كان يبدو سعيدا وهو يجد نفسه يرتدي الملابس هكذا، حتى إنه فكـر: إنني أحلق هنا في داخلها، ولكنني أشـعر بأنني في حالة جيدة. مضت ناتالي بضحكة متواصلة اسـتدعت بعض الدموع، لقد سالت دموع الفرح على الخدين اللذين جفّا بالكاد من دموع الألم، اقتربت مادلين منـه، ولكنه أحس بأنها كانت تتقدم كثيرا نحو الملابس أكثر مما تتقدم نحو الرجل، فخلف كل طية، هنالك ذكرى لحياة، بقيت للحظة قرب ضيفها، مندهشة لا تتحرك.

111

كانت الجدات، وربما لأنهن شـهدن الحرب، يمتلكن ما يكفي من الطعام لإطعام الفتيات اللواتي يصلن في المسـاء برفقة رجل سويدي.

- أتمنى أنك لم تكن قد أكلت، لأنني أعددت حساء.

سأل ماركوس:

- آه صحيح؟ ماذا؟

- إنه حساء يوم الجمعة، لا أستطيع أن أوضح لك، نحن في يوم الجمعة، وعندئذ، فهذا حساء يوم الجمعة.

خلص ماركوس:

- إنه حساء من دون ربطة عنق.

عند ذاك اقتربت ناتالي منها:

- جدتي، إنه يتلفظ بأشياء غريبة، ينبغي ألا تقلقي منه.

- آه نعم، كما تعرفين، إنني لا أقلق منذ العام 1945، عند ذاك كان كل شيء على ما يرام، تعالي واجلسي.

كانت مادلين بكامل حيويتها، والحقيقة هناك فارق زمني بين الطاقة المبذولة من أجل إعداد العشاء والرؤية الأولى لهذه المرأة المسنّة التي تجلس أمام الموقد. كانت هذه الزيارة تمدها بطاقة حيوية، كانت تتهمك في المطبخ، رافضة المساعدة على وجه الخصوص، لقد كانت إثارة هذه المرأة تثير عطف ناتالي وماركوس، فكل شيء كان يبدو بعيدا جدا الآن؛ باريس، الشركة، الملفات، وكان الزمن هو الآخر يفلت؛ كانت بداية العصر في المكتب ذكرى بالأسود والأبيض، ووحده اسم الحساء «الجمعة» كان يتيح لهما البقاء راسخين إلى حد ما في واقع الأيام.

جرى العشاء ببساطة، بصمت، في بيت الأجداد، ومن الملاحظ أن السعادة المذهلة لرؤية الأحفاد لا ترافقها بالضرورة خطب طويلة، يسأل المرء نفسه كيف الحال، وبسرعة يستريح راضيا وعلى وفاق مع نفسه، بعد العشاء ساعدت ناتالي جدتها بغسل الأواني، وتساءلت: لماذا نسي إلى أي درجة يمكن للبساطة أن تكون هنا؟ كانت كل سعادتها قريبة العهد قد اتهمت على الفور

بفقدان الذاكرة، وكانت تعرف أنها تمتلك الآن القوة لاستعادتها.

في الصالة، كان يجلس ماركوس يدخن سيجارا، وهو الذي كان يتحمل بالكاد السيجارة، أراد أن يجعل من مادلين مسرورة.

- إنها تعشق أن يدخن الرجال السيجار بعد تناول وجبة الطعام، لا تحاول أن تفهم، أنت تجعلها تحس بالمتعة، وهذا كل ما في الأمر.

همست ناتالي في الوقت الذي كان ماركوس لديه الجواب على دعوة بنفثات الدخان الحلزونية. لقد أعلن عن رغبة عارمة بالسيجار، مبديا حماسة لا معنى لها، غير أن مادلين لم تر في ذلك سوى النار، هكذا، كان ماركوس يمثل دور الرئيس في بيت على الطراز النورماندي، لقد أصابته الدهشة من شيء، ذلك أنه لم يصب بصداع، والأسوأ من ذلك كان يشرع في تذوق طعم السيجار، الرجولة تترنح فيه، وهو بالكاد مندهش لأنه هنا، كان يختبر هذا الإحساس المفارق لفهم الحياة بقوة عبر نفحات سريعة الزوال، بهذا السيجار، إنه ماركوس العظيم.

كانت مادلين سعيدة وهي ترى ابتسامة حفيدتها، لقد كانت تبكي كثيرا إبان موت فرانسوا؛ لم يمر يوم واحد من دون أن تفكر به. كانت مادلين قد شهدت مآسي عديدة في حياتها، ولكن هذه المأساة هي الأعنف، كانت تعرف أن عليها أن تتقدم، وأن الحياة تنهض على الاستمرار في العيش على وجه خاص. عند ذاك خففت عنها هذه اللحظة بشكل عميق، ومن أجل عدم إفساد أي شيء، كانت تكن تعاطفا غريزيا حقيقيا إزاء هذا السويدي.

- إنه من طينة طيبة.

- آه حسنا، كيف ترينه؟

- أحس به بالغريزة طينته عجيبة.

قبّلت ناتالي جدتها مرة أخرى، كان وقت النوم قد حان، أطفأ ماركوس سيجاره وهو يتكلم مع مادلين:

- النوم هو الطريق الذي يقود إلى حساء يوم غد.

كانت مادلين تنام في الأسـفل، ذلك أن تسـلق السلم يتعبها، بينمـا كانت الغرف الأخرى موجودة فـي الطابق الآخر، حدقت ناتالي بماركوس:

- إنها لا تريد أن تزعجنا، هكذا.

كان يمكـن أن تكـون لهذه العبارة دلالة، أو تلميح جنسـي أو مجرد إعطاء ذريعـة؛ غدا صباحا، يمكن أن أنام بهدوء، لم يكن ماركـوس يريد أن يفكر هل كان يذهب، نعـم أم لا، للنوم معها؟ كان يريـد النـوم بالتأكيد، ولكنه يدرك أنه كان عليه أن يتسـلق درجات السـلّم من دون أن يفكر بذلك، ودفعة واحدة وجد نفسه في الأعلى، لقد ضربته البلادة مرة أخرى، فبعد طريق سـلكته السـيارة، وبعد الطريق الثاني للدوران حـول البيت، كانت هذه هي المرة الثالثة التي شـعر بنفسه أنه في مكان ضيق، ففي هذا الـرواق الغريب أبواب عدة، ومثلها عدد من الغرف، كانت ناتالي تروح وتغدو، من دون أن تتكلم بشيء، لم تعد هنا كهرباء في هذا الطابق، أشعلت الشـمعتين الموجودتين على طاولة صغيرة، كان وجهها برتقالي اللون، ولكن سـرعان ما أشـرقت الشمس بدلا مـن غروبها، كانت هي أيضا مترددة، كانـت مترددة حقا، كانت تعـرف أن عليها هي أن تتخذ القرار، حدقـت بالضوء، بعينيها على التوالي، ثم فتحت الباب.

112

أغلق شـــارل الباب، إنه في حالة أخـــرى، ويمكن أن يبتكر حالة ثالثة، طالما كان يشـــعر بأنه بعيد عن جســـده، فمن جراء الضربات التـــي تلقاها، توجد هنالك كدمات في وجهه، وكان يعرف أنه يدعو للرثـــاء، وأنه كان يغامر في الأغلب إذا ما علمنا أنه من أعلى مكان سويدي يريد نقل موظف لأســـباب خـاصة، ولكـن لا بأس، هنالك فرص قليلة لكي يتعلم، لقد كان مقتنعا بأن أحدا لن يراه ثانية، ذلك أن لهربـــه رغبة حازمة، وبالتأكيد فإن ذلك كان يجرحه أكثر من أي شـــيء آخر، عدم رؤية ناتالي أبدا، كل ذلك كان بسبب خطئه، لقد تصرف بطريقة مجنونة، فكان يلوم نفســـه لوما كثيرا، كان يريد أن يراها لثانية واحدة، يحاول أن يعتذر، ويحاول أن يكون مثار عطف، يريد أن يجد الكلمات أخيرا التي بحث عنها كثيرا، العيش في عالم تتـــاح له فيه فرصـــة أن يكون محبوبا من ناتالـــي، عالم من فقدان الذاكرة العاطفية، حيث بوسعه أن يلتقي بها ثانية لأول مرة.

كان يسير في صالته، ثم وبنظرة لا يمكن تفاديها، وجد نفسه أمام زوجته تجلس على الأريكة، كان هذا المشهد في المساء وكأنه كان متحفا فيه لوحة واحدة.

قال:

- هل أنت بخير؟
- نعم بخير، وأنت؟
- أما كنتِ قلقة؟
- لماذا؟

- ولكن بالنسبة لهذه الليلة.

- حسنا، لا.. ما الذي حدث في هذه الليلة؟

لم تلتفت لورانس عمليا، لقد كان شارل يتكلم من خلف زوجته، أدرك للتو بأنها لم تتوه إلى غيابه في الليلة السابقة، وأنه ليس هناك أي فرق بينه وبين الفراغ، كان أمرا لا يمكن أن يسبر غوره، أراد أن يضربها لكي يوازن عدد اعتداءات ذلك اليوم، أراد أن يرد لها صفعة من الصفعات التي تلقاها، لكن يده بقيت معلقة للحظة. أخذ يراقبها، يده هناك، معلقة في الهواء، وحيدة، وعلى حين غرة أدرك أنه لم يكن يعود باستطاعته فقدان الحب، وأنه كان يختنق وهو يعيش في عالم جاف، لم يكن هناك من يحتضنه بين ذراعيه، وما من أحد كان يبدي أدنى علامة عطف إزاءه، لم كان ذلك هكذا؟ لقد نسي وجود البهجة، فكان بعيدا عن الرقة.

نزلت يده ببطء، ووضعها على شعر زوجته، شعر بأنه في حالة متأثرة تأثرا حقيقيا، من دون أن يعرف لماذا كان الانفعال يطفح هكذا. قال في نفسه إن زوجته تمتلك شعرا جميلا، ربما كان ذلك. أنزل يده مرة أخرى ليلمس رقبتها، وعلى بعض من حراس جلدها كان يمكن أن يشعر ببقايا ما مضى من قبلاتها وذكريات حميميتها، كان يريد أن يجعل من رقبة زوجته نقطة انطلاق لكل غزوات جسده، استدار حول الأريكة ليتموضع أمامها، جثا على ركبتيه، وحاول أن يقبّلها.

قالت بصوت غير واضح:

- ماذا تفعل؟

- بي رغبة إليك.

- الآن؟

- نعم الآن.

- أنت تأخذني على حين غرة.
- وثم ماذا؟ ينبغي أن أتوسّل موعدا لكي أقبّلك.
- كلا.. أنت أحمق.
- وأنت أتعرفين من ذا الذي سيكون لطيفا أيضا؟
- أليس كذلك؟
- أن نرحل إلى البندقية. نعم، سأعدّ للتو لذلك.. نذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معا.. هذا أحسن.
- .. أنت تعرف أنني أشعر بدوار البحر.
- وماذا بعد؟ هذه ليست مشكلة.. البندقية نذهب إليها بالطائرة.
- أقول ذلك بالنسبة للزوارق الفينيسية. إنها لخسارة إذا لم يستطع المرء أن يركب الزورق الفينيسي، ألا ترى ذلك؟

113

رأي الفيلسوف البولوني الثاني
وحدها الشموع تعرف سر الاحتضار.

114

دخلت ناتالي الغرفة التي كانت اعتادت النوم فيها، تقدمت لإشعال الشموع، ولكنها كانت تستطيع التقدم في الظلمة لأنها كانت تعرف زوايا الحجرة تماما، كانت تقود ماركوس الذي كان يسير إثرها، وهو ممسك بأردانها، كانت ظلمة أكثر سطوعا في

حياتها، كان يخشى من أن سعادته، بعد أن صارت أكثر حيوية، أن تحرمه من كل قدرة، ومن النادر أن تصيبه الإثارة المفرطة بالشلل، كان عليه ألا يفكر بذلك، وأن يترك نفسه للإثارة خلال كل ثانية، كل نفحـــة نفس مثل عالم. وضعت ناتالي الشـــموع على الطاولة الليلية، فوجدا نفسيهما، وجها لوجه، في حركة مؤثرة لظليهما.

وضعت رأســـها على كتفه، داعبها من شعرها، ربما بإمكانهما أن يبقيا هكذا، كانا يعيشـــان قصة النوم وقوفـــا، ولكن كان الجو باردا، وكانت أيضا برودة الغياب، زد أنّ شخصا لن يأتي هنا، كان هذا المكان أشـــبه بمكان ينبغي فتحه واســـتعادته ثانية، حيث فيه كان ينبغي أن يضيـــف من الذكرى إلى الذكرى، تمدّدا تحت الغطاء، وكان ماركوس يســـتمر من دون كلل بمداعبة شـــعر ناتالي، كان يحبه حبا جما، كان يريد أن يتعرف عليه شـــعرة شعرة، ويعرف قصته وتفكيره، كان يريد أن يقوم برحلة في شعرها، وكانت ناتالي تشعر بأنها في حالة جيدة مع رقة هذا الرجل الذي كان يريد عدم المخاطرة بالموقف، ومع ذلك كان يحاول، كان يجردها من ثيابها الآن، وقلبه يخفق بقوة غريبة.

كانـــت عاريـــة الآن، ملتصقة بـــه، وكان تأثيرها قويـــا بحيث إن حركاتهـــا بطيئـــة، البطء الذي كان يأخذ شـــكل التراجع إلى الوراء تقريبا، ولما كان منهكا بسبب القلق الهائل، صار مشوشا، كانت تحب هذه اللحظات التي كان فيها يتخبط، وفيها يتردد، كانت تدرك أنها تريد ذلك أكثر من أي شـــيء، العثور على الرجال من خلال رجل لم يكن بالضرورة معتادا على النســـاء، إنهما يكتشفان معا ثانية طريقة استعمال العاطفة، هنالك أمور مريحة جدا لفكرة أن تكون معه، ربما كان فخورا أو ســـطحيا، ولكنه كان يبدو لها أن هذا الرجل ســـيكون ســـعيدا معها، فلديها شـــعور بأنهما معا ســـيكونان في حالة ثابتة

ومستقرة، وأن ما من شيء يمكن أن يحدث، وأن المعادلة الجسدية كانت هي الترياق ضد الموت، كل ذلك، كانت تفكر به كنتف من دون أن تكون متأكدة. كانت تعلم تماما أنها كانت اللحظة المناسبة، وأنه في هذه المواقف، يبقى الجسد هو من يقرر، كان يلتصق بها وكانت تتشبث به، كانت الدموع تسيل طوال أيامها، وهو يقبل دموعها ومن قبلاته هذه تولد دموع أخرى أيضا، هي دموعه هذه المرة.

115

بداية الفصل السابع من ماريل
لخوليو كورتازار
الكتاب الذي قرأته ناتالي في بداية هذه الرواية.

«ألامس شفتيك، ألامس بالسبابة حافة شفتيك، أرسم فمك وكأنه كان يولد من يدي، وكأنه مفتوح قليلا لأول مرة، ويكفي أن أغمض عيني لأتراجع وأبدأ ثانية، إنني أجعل من الفم الذي أريد يولد كل لحظة، الفم الذي تختاره يدي وترسمه على وجهك، فم تم اختياره من بين الجميع، اخترته أنا بحرية مطلقة لأرسمه بيدي على وجهك، والذي يتوافق تماما بالمصادفة التي لم أفهمها، مع فمك الذي يبتسم تحت الفم الذي ترسمه يدي لك».

116

كان الوقت لا يزال فجرا، قد يظن البعض أن الليل لم يكن موجودا، كان كل من ناتالي وماركوس يتناوبان لحظات الاستفاقة

والغفوة، وهما يمزجان الحدود بين الحلم والحقيقة.

قالت ناتالي:

- أود أن أذهب إلى الحديقة.

- الآن؟

- نعم، سترى، عندما كنت صغيرة، كنت أتردد عليها دائما في الصباح، ففيها جو غريب عند الفجر.

نهضا بسرعة وارتديا ملابسهما ببطء (وربما كان ذلك على العكس)، فأخذا يتأملان نفسيهما ويكتشفانهما تحت الأضواء الباردة، كان أمرا اعتياديا. هبطا السلّم من دون إثارة صوت، لكي لا يوقظا مادلين، وهو حذر لا جدوى منه، لأنها لم تكن تنام عندما يكون لديها زائر، ولكنها لم تكن تذهب تشوش عليهما، كانت تعرف مزاج ناتالي وذوقها من أجل هدأة الصباحات في الحديقة (كل واحد له طقوسه)، وطوال كل الأوقات، كانت تأتي إلى هنا في كل مرة، كانت تذهب لتجلس على المصطبة ما إن تفتح عينيها، إنهما كانا في الخارج. توقفت ناتالي لتتفحص كل تفصيل، كان يمكن للحياة أن تتقدم، ويمكن للحياة أن تصاب بالعطب، ولكن هنا لم يكن يتحرك شيء ونعني بذلك المحيط الذي لا يقبل التغيير.

جلسا، كانت هناك حقيقة عجيبة بينهما، حقيقة المتعة الجسدية، الشيء الذي كان عجيبا في الحكايات، واللحظات المحلقة نحو الكمال، الدقائق التي حفرت في ذاكرتها في اللحظة ذاتها التي عاشاها، والثواني التي تعدّ مستقبل ما نملكه من حنين.

همست ناتالي:

- أشعر بأنني في حالة حسنة.

وكان ماركوس سعيدا بحق، نهضت، حدّق فيها وهي تمشي

أمام الأزهار وأمام الأشــجار، كانت تروح وتجيء ببطء، في حلم يقظــة عذب، تاركة يدها تلمس كل شـــيء عنــد متناولها، كانت علاقتهــا بالطبيعة هنا علاقة ألفة كبيــرة، ثم توقفت تماما إلى جنب شجرة:

- عندمــا كنت ألعب لعبة الغميضة مع أولاد عمي، كان ينبغي أن أقف جنب هذه الشجرة لأعدّ، كان العد طويلا، كان يصل إلى 117.

- لماذا 117؟

- لا أعرف! هنالك من قرر هذا الرقم، هكذا.

اقترح ماركوس:

- أتريدين أن نلعب الآن؟

ابتســمت له ناتالي، كان يعجبهــا أن يقترح عليها اللعب، فأخذت مكانا جنب الشجرة، وأغمضت عينيها، وأخذت تعد، وذهب ماركوس بحثا عــن مخبأ جيد، إنها لرغبة غير مجديــة؛ كان هذا هو ميدان ناتالــي، عليها أن تعرف أفضل الأماكن، أمــا هو، فكان وهو يبحث، يفكر بكل زواياها التي كانت تختبئ فيها سابقا، كان يمشي عبر أزمنة ناتالــي. في الســابعة كانت قد قررت الوقوف خلف هذه الشــجرة، وفي الثانية عشــرة توارت تماما في هذا الدغل، وفي زمن المراهقة، تخلت عن لعب طفولتها، وكانت تمر أمام أشجار العليق مستاءة، وفي الصيــف التالي، حيث صارت امرأة في ريعان الشــباب كانت تجلس على هذه المصطبة، بوصفها حالمة وشاعرة، والأمل الرومانتيكي يملأ قلبهــا، لقد تركــت حياتها وهي امرأة في ريعان الشــباب آثارا على أماكــن عديدة، وعليه فهل مارســت الحب خلف هــذه الأزهار؟ لقد كان فرانسوا يركض وراءها، وهو يحاول أن يخلع قميص النوم الذي

ترتديــه، مــن دون أن يثير صخبــا كي لا يوقظ جدّيها، آثار ســباق محمــوم وصامت عبر الحديقة، ثم أمســك بها، لقــد كانت تحاول مقاومته، من دون أن تبدي مصداقية، كانت تدير رأســها، وهي تحلم بقبلاته. لقد كانا يسافران كثيرا، ومن ثم وجدت نفسها وحيدة، أين كان؟ أكان يختفــي في مكان ما؟ لم يعد هنا، ولن يعود إلى هنا أبدا، في هذا المكان، لم يعد هنالك عشــب، لقــد كانت ناتالي ممزقة من جراء الغضب، هنا، كانت خائرة القوى، لســاعات، حتى إن محاولات جدتهــا من أجل إدخالها إلى البيت ذهبت ســدى، كان ماركوس وهو يمشــي في هذا المكان تحديدا يــدوس على آلامه، يجتاز دموع حبه، وكان يمشــي، وهو مســتمر بالبحث عن مخبئها، مــارا بكل الأماكن التي كانت ناتالي تذهب إليها، وفيما بعد، هنا وهناك، كان في حالة متأثرة وهو يتصور امرأة مسنّة ربما ستكون هي.

وهكذا، في وسط كل مراحل الحياة من عمر ناتالي، حيث وجد ماركوس مكانا يختفي فيه، وشعر بأنه ما زال صغيرا، لقد كان شيئا غريبا بالنســبة لهذا اليوم الذي كان يشــعر فيه بأنه كبير أكثر من أي وقت مضى. كانت الغرائز من الضخامة بمكان وهي تســتيقظ في كل مكان من جسده، وذات مرة وهو في مكانه أخذ يبتسم، كان سعيدا وهو ينتظرها، وأكثر سعادة في انتظار أن تكتشفه.

117

فتحت ناتالي عينيها..

النهاية



كامل عويد العامري

- مواليد 1953.
- بكالوريوس لغة فرنسية من كلية اللغات بجامعة بغداد 1998.
- يعمل أديباً وكاتباً ومترجماً.
- عضو اتحاد الأدباء والكتّاب في العراق في العام 1976.
- عضو اتحاد الصحافيين العرب.
- لـــه العديد من المؤلفات والكتب المنشـــورة، منها: «الحب في زمـــن الكوليرا» (رواية لـ غارســـيا ماركيز) بغداد 1987، «اســـم الوردة» (رواية أومبرتو أيكو) دار سينا القاهرة 1995، «المجري» (مســـرحية للشـــاعر مارين سوريســـكو) جامعة بوخارســـت 1998، «قصائد حب غنائية» (ميهاي أيمينسكو) دار إبداع 1999.
- حاز العديد من الأوســـمة والشـــهادات التقديرية، منها: وسام إيمينسكو الثقافي مع شهادة تقديرية في الترجمة من دولة رومانيا 2000.



ليلى عثمان فضل

- مواليد 1950.
- عملت أستاذة جامعية في قسم اللغة الفرنسية بجامعة الكويت.
- حاصلة على شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه في آداب اللغة الفرنسية.
- حضرت العديد من الدورات التدريبية الأكاديمية في كل من جامعة الكويت وفرنسا.
- شاركت في لجان إعداد مناهج مقرر اللغة الفرنسية في جامعة الكويت.
- قامـــت بإدخال تدريس اللغة الفرنســـية عن طريق الكمبيوتر وعن طريق اســـتخدام الإنترنت عام 1998.

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون و القلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة	تأليف : جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين و أساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافللي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف: أرتور شنيتسلر
342	آرنجندن والحارس الليلي	تأليف: إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: تنغ - هسنغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف: إيريش كستنر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف: سليمان جيفو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر
348	حكايات وخرافات أفريقية (2) الأدغال والسهول العشبية تحكي	تأليف: سليمان جيفو ديوب

ما صدر من هذه السلسلة

349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	مسرحيتا: -1 محنة الأخ جيرو -2 تحوُّل الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «آنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيتا: -1 صناعة تاريخ - 2 ترجمات	تأليف: برايان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتتزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيتا: -1 تلاميذ الخوف -2 الغزاة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام سارويان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصُّــورة (مسرحية)	تأليف: سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجي ماليشكا ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروچيك
364	سبع نساء... سبع قصص	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	تأليف: نويل كاورد
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: رُوبين دايڤيد غونساليس غاليغو
367	مسرحيتا: -1 سهرة في المقهى -2 موت ممثل مشهور	تأليف: تيان هان
368	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: مايكل هلمان
369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجى شانيافسكي
370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوستر
371	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو همباطي با
373	الليلة التي أمضاها ثورو في السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي

ما صدر من هذه السلسلة

374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فروغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونيكا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونيكا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراس
383	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: إرنست همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: إرنست همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: إرنست همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: آرافيند آديغا
387	موطن الألم (رواية)	تأليف: دوبرافكا أوجاريسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باسكال كينيارد
389	الإحساس بالنهاية (رواية)	تأليف: جوليان بارنز
390	ياسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل إبرهاردت
391	المغامرة الغامضة (رواية)	تأليف: شيخ حامد كَان
392	الرجال الذين يحادثونني (رواية)	تأليف: أناندا ديفي
393	أنطولوجيا القصّة الإيرانية الحديثة	تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين
394	حكايات حكماء أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	تأليف: أمادو همباطي با
395	خرائط (رواية)	تأليف: نور الدين فرح
396	إله الصدفة (رواية)	تأليف: كريستن توروب
397	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	تأليف: ألبرتو ميندیس
398	الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	تأليف: تيه نينغ
399	اذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	تأليف: سوزانا تامارو
400	الحضارة أمي (رواية)	تأليف: إدريس الشرايبي
401	فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	تأليف: أنيتا ديساي
402	عيناها (رواية)	تأليف: بزرگ علوي
403	السباحة إلى المنزل	تأليف: ديبورا ليفي



البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك

الاسم:
العنوان:
اسم المطبوعة: **مدة الاشتراك:**
المبلغ المرسل: **نقداً/ شيك رقم:**
التوقيع: **التاريخ: / / ٢٠٠م**

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

أسماء وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ – الحرة – قسيمة 34 – الكويت – الشويخ – ص.ب 64185 – الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	+971 242629273	+971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية – الرياض – حي المؤتمرات – طريق مكة المكرمة – ص.ب 62116، الرمز البريدي 11585	+966 (01) 2128000	+966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية – دمشق – البرانكة	+963 112127797	+963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية – القاهرة – 6 شارع الصحافة – ص.ب 372	+202 25782700- 25782632	+202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب – الرباط – ص.ب 13683 – زنقه سجلماسه – بلقدير – ص.ب 13008	+212 522249200	+ 212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس – ص.ب 719 – 3 نهج المغرب – تونس 1000	+216 71322499	+216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان – بيروت – خندق الغميق – شارع سعد – بناية فواز	+961 1666314/5 01 653259	+ 961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية – صنعاء	+967 2/3201901	+ 967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان – تلاع العلي – بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	+962 65300170 - 65358855	+ 962 65337733
البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	——	+973 17 617733	——
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص.ب 473 – مسقط – الرمز البريدي 130 – المنيبة – سلطنة عُمان	+968 24492936	+24493200968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر – الدوحة – ص.ب 3488	+974 4557809/10/11	+ 974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله – عين مصباح – ص.ب 1314	+970 22980800	+ 970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان – الخرطوم – الرياض – ش المشتل – العقار رقم 52 – مربع 11	+2491 83242702	+ 2491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	+213 (0) 31909590	+ 213 (0) 31909328
العراق	شركة الظلال للنشر والتوزيع	——	+964700776512 780662019 +964	——
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	+ 1718 4725488	+1718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	+ 44 2087499828 + 44208 7423344	+44208 7493904
ليبيا	شركة الناشر الليبي	——	+218 217297779	-----


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب



دافيد فونكينوس

- روائي فرنسي.. ولد في باريس 28 أكتوبر عام 1974.
- درس الآداب في السوربون، وترجمت رواياته إلى أكثر من خمس وثلاثين لغة، ومن أهم رواياته:

1 - الطاقة الأيروسية لزوجتي - عن دار غاليمار 2004، حصدت جائزة روجيه – نيمييه.

2 - قلوب حرة - عن دار غراسيه، 2006.

3 - انفصالنا - عن دار غاليمار، 2008، وفي عام 2010 صدرت عن فوليو.

4 - الرقة – عن دار غاليمار، 2009، وحصدت أكثر من عشر جوائز.

5 - شارلوت– عن دار غاليمار، 2014

6 - اقتبست روايته (الرقة) لعمل سينمائي بالتعاون مع شقيقه ستيفان، وظهرت كفيلم عام 2011.

- حصل على عدد من الجوائز ومنها: جائزة دون 2010 عن رواية (الرقة).

الرِّقَّة

استطاع الكاتب دافيد فونكينوس أن يجعل من قصة بسيطة رواية ذات امتداد إنساني في معالجة الأحداث، من خلال تقنيات السرد العجائبية، وتقنيات السينماغرافيا، في طريقة متابعة الشخصيات، وكأن القارئ يحمل كاميرا في متابعته لتحركات وإنتقالات الشخصيات الروائية، لنجد بين الفصول واللحمة السردية أحاديث بوح ذاتية تضيف لمسة من الخيال لا يمكن تجاهلها.

«وتخيل أن تطلب قهوة من دون كافيين، أنهض، وأمضي. ليس من حق أحد أن يشرب القهوة من دون كافيين في مثل هذا النوع من المواعيد. إنه الشراب الأقل ودّية مما يكون، أما الشاي فمن النادر أن يكون هو الأفضل. لقد التقيا بالكاد ومنذ الآن يقيم في نوع من الشرنقة الهشة إلى حد ما. يشعر المرء بأنه سيقضي أيام الآحاد بعد الظهيرة في مشاهدة التلفزيون، وفي أسوأ الأحوال في بيت والدَي الزوجة. نعم إن الشاي هو ما يضفي على جو العائلة نوعاً من المرح من دون منازع. إذن بماذا؟.. يمكن للمرء أن يخشى من امرأة تتناول الشراب جرعة واحدة. كان فرانسوا يواصل انتظار ما تختار لتشربه، وهكذا كان يتابع تحليله للمشروب لأول انطباع نسائي، ما الذي بقي الآن؟ الكوكا كولا، أو كل أنواع الصودا.. كلا، ليس ممكناً، فهذا لا يثير اهتمام أي امرأة إطلاقاً، الأحرى أن يطلب شيئاً زهيداً، ما دامت هي هنا، وأخيراً حدّث نفسه عن عصير، فهذا سيكون مناسباً، أجل عصير، إنه ممتع، إنه مناسب وليس عدوانياً كثيراً، يشعر المرء بالفتاة رقيقة ومتزنة، ولكن أي عصير؟».

رقم الإيداع: 2014/796
ردمك: 978-99906-0-438-2

